

بائے الحزین

ادار و تہذیب و نشر
الذکر و احباب عکاوہ

تالیف
کذاقیہ دو موتیان



ریاحین

www.lilas.com

بأسمة الحبيب



تجري أحداث الرواية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي برزت فيها الروايات الشعبية التي كانت تنشر على حلقات بهدف جذب أكبر عدد من قراء الصحيفة التي كانت تلحقها في قبل كل عدد من أعدادها. وكانت «بأسمة الحبيب» الرواية الأكثر رواجاً من بين الروايات المعاصرة، بحيث عرفت طريقها بعد إقبال القراء عليها إلى المسرح والسينما والتلفزيون.

تتلخص الرواية كما رسمها دو مونتان تشازاغها هو أطلب شتى، هي عوالم إنسانية تنطق بالمشاعر والأحاسيس تستحضر الماضي سعياً وراء كشف الحقيقة التي تبقى غاية الإنسان.

إنها حالة من المشاعر المتداخلة تتأرجح بين الموت والحياة، الإخلاص والإنقاذ، الحب والكراهية، واليأس والأمل، وهي تلك المشاعر التي راجت في روايات القرن التاسع عشر، والتي حفلت بها صحف تلك الحقبة من الزمان.



دار الحرفاء للطباعة

للطباعة والنشر في الكويت

كزافييه دومونتيان

١٨٢٣ - ١٩٠٢

وُلد كزافييه في أبرمونت بيهوتساون عام ١٨٢٣ ، وتوفي في باريس عام ١٩٠٢ : كاتب فرنسي ، ومؤلف روايات متسلسلة ومآسي شعبية ، نشر عام ١٨٦٣ حلقات مسلسل رواي جديد بعنوان «طبيب الفقراء» لاقت رواجاً متقطع النظير . نال شهرة واسعة كروائي شعبي إضافة إلى أنه كان مؤلف رواية كانت الأكثر مبيعاً في القرن التاسع عشر «بائعة الخبز» صدرت عام ١٨٨٩ ، واقتُبست بالتوالي في المسرح والسينما والتلفزيون .

من أهم مؤلفاته :

- بالمة الخير La porteuse de pain .
- فرسان لانسكوت Les chevaliers du Lansquenot .
- عربة جياد الرقم ١٣ Le Fiacre n° 13 .
- بنات المشعوذ Les filles du saltimbanque .
- فتيات الجبس les filles de plâtre .
- طبيب الفقراء Le médecin des pauvres .
- مقبرة السيدات Brekan de dames .
- سمو الحب Son altesse l'amour .
- الأمير توتور Le prince Totot .
- كبريتيك الزواج le vitriol .
- الأخت سوزان Sœur Suzanne .
- جوهرة القصر الملكي La perle du Palais Royal .

كزافييه دومونتيان



وقد برزت الرواية المتسلسلة مع بدايات تطور الصحافة في القرن التاسع عشر، وخصوصاً أنَّ الغاية منها كانت للترفية المادية لأصحاب الصحف الذين كانوا يردون جذب جمهور كبير مخلص. سميت بهذا الاسم لأنها كانت تظهر على حلقات في ذيل الصحيفة، حيث تشكل رواية تاريخية أو قصة عادات وتقاليد.

وقد أصبح تطور الكتاب الشعبي شيئاً فنيئاً بالياً ومن الماضي. ولهي جملة الروايات المتسلسلة يمكننا ذكر بلزاك، وجورج صند، وبصورة خاصة أوجين سو (السرار باريس، ١٨٤٢ - ١٨٤٣)، وألكسندر دوما (الكونت دو مونتني كريستو، ١٨٤٤)، وهول فيفال (السرار لندن)، وبيونسون دو تيراي (روكاسبول)، وزيباكو (هارديان)، وإميل غليزويو، وغاستون لورو، وموريس لوبلان، وغوستاف لوروج.

وإذا كانت الرواية التاريخية تحظى بحصة الأسد، فإن العرق العاطفي (دللي)، والمجرم والشرطي مستطور جميعاً حتى الثلث الأول من القرن العشرين.



- اعترافات مُشترد Confessions d'un bohème .
 - عميل الشرطة L'agent de police .
 - وردة في المزادات Une fleur aux enchères .
 - حورية البحر La sirène .
 - عيشة الماضي Les viveurs d'autrefois .
 - متنزه الغليات Le parc aux biches .
 - تجارة الرقيق الأبيض La traite des blanches .
 - دمي السيدة لوديبال Les pantins de Madame Le Diable .
 - الأسة ميلي Mamzelle Mélie .
 - بدايات نجمة Les débuts d'une étoile .
 - الوصية الحمراء Le testament rouge .
 - الصغيرة الهبة Mignonne - Maritre .
 - الأم الشرسة ابنة المجنون La fille du fou .
 - زواج لاسكار Le mariage de Lascars .
 - قراصنة نهر السين Les pirates de la Seine .
 - ساحرة الصفصاف La fée des saules .
 - الجانزة الكبرى Le gros lot .
 - المشنوق (مأساة) Le pendu (roman dramatique) .
 - ابن حائلة Un fils de famille .
 - العرافة : لوبارون البيضاء La voyante: Blanche Vaubaron .
 - اقتناص الميداليات La chasse aux médailles .
 - آخر سلالة كورتناي Le dernier des Courtenay .
- وتجدر الإشارة إلى أنَّ روايته أفنيث الجبس أثارت فضيحة أدبيـ
بـيها . وقد اقتبس عديـدون رواياته مسرحيات ناجحة .

شخصيات الرواية

جان فورتييه : أرملة لها ولدان ، قُتل زوجها في أثناء عمله في مصنع ، عيَّنها صاحب المصنع ابوية لتكسب قوتها وقوت ولديها .

جول لا برو : صاحب المصنع ، توفيت زوجته وتركت له طفلاً يدعى لوسيان .

جاك جارود : مدير مصنع لا برو ، كان صديق زوج جان ، وكان يهرس الزواج على جان بعد مقتل زوجها .

لوسي : ابنة جان ، كانت أمها قد أسلمتها إلى مريض منذ طهرتها .

جورج : ابن جان ، عُرف باسم جورج داربييه (نسبة إلى عائلة المرأة التي رثته صغيراً) .

بول هرمان : الاسم الذي انتحلته جاك جارود ، وهو اسم عامل في المصنع كان توفي في المستشفى .

أوليفد سوليفر : ابن خالده بول هرمان المتوفي .

ماري : ابنة بول هرمان (جاك) وحفيدة نيومي مورتيير .

إيتيفن : رسّام ، صديق الكاهن الذي قتل جورج فورتييه .

لوسيان : ابن جول لا برو .

فرمي : مريض لوسي فورتييه .

أماندا : عاملة في مشغل الخياطة لأوغستين .

أوغستين : صاحبة مشغل الخياطة الذي تعمل فيه لوسي .

ليزا بيرين : الاسم الذي انتحلته جان فورتييه بعد فراقها .

الكورت دي ويس : اسم انتحلته أوليفد سوليفر

تجوي : أحداث الرواية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وهي الفترة التي برزت فيها الروايات الشعبية التي كانت تنشر على حلقات بهدف جذب أكبر عدد من قراء الصحيفة التي كانت تلحقها في ذيل كل عدد من أعدادها . وكانت «بائعة الخبز» الرواية الأكثر رواجاً من بين الروايات المعاصرة ، بحيث عرفت طريقها بعد إقبال القراء عليها إلى المسرح والسينما والتلفزيون .

جان فورتييه سيّدة لها حظ من الجمال قضى زوجها في أثناء قيامه بعمله في مصنع المهندس الميكانيكي جول لا برو ، ما اضطر جول إلى جعلها بوابة لمصنعه إكراماً لذكرى زوجها ومساعدة لها في تربية ولديها جورج ولوسي .

أوكلت جان أمر رعاية لوسي إلى مريض كانت تجوي عليها مبلغاً من المال في آخر كل شهر ، فيما راحت هي تعني بالصغير جورج ابن السنين الثلاث .

أحب جاك جارود - مدير المصنع - جان حباً جارلاً ، وطلب يدها بعد وفاة زوجها ، ولكنها رفضت وفاء لعهد قطعت على نفسها . وظن جاك أنّ المال هو العائق الذي يحول دون قبولها به زوجاً ، فأقصر في نفسه أن يحصل على ثروة كبيرة تجعلها تقبل الاقتراح به . يتوصل صاحب المصنع إلى «اختراع» جديد يمكن أن يدرّ عليه مالاً وفيراً ، وفي خطوة من إنجاز هذا الاختراع يطلب إلى جاك جارود مساعدته في تطويره وإخراجه .

يجد جاك في هذا الاختراع الفرصة - الأمل التي كان ينتظرها ويمثي النفس بها . ويصادف في الوقت نفسه أن جول صاحب المصنع يهتد جان بالطرد لخطأ اقترفته في أثناء قيامها بحراسة باب المصنع .

استعدت جاك لتنفيذ الخطة التي رسمها وحددت وقتها ، وبعث برسالة إلى جان يفيدها فيها أنه سيشرى قريباً وأنه يطلب إليها موافقاته في مكان حدده لها ليتزوجا ويرحلا عن فرنسا ، وتقرأ جان الرسالة ثم ترمي بها أرضاً وتقرر عدم موافقاته .

يخسب جاك خسرته فيسرق مال صاحب المصنع المودع في الخزنة ، ويحرق المصنع ، ويقتل جول ويفتر هارباً .

تتهم جان بالجرائم الثلاث ، بفعل تهديدها لصاحب المصنع الذي كان قرر طردها ، وتسجن فيما كان الناس يظنون أن جاك قضى ضحية شهادته في إنقاذ جول صاحب المصنع .

ينقطع المال عن مريض لوسي بعد سجن جان ، فتضطر المريضة إلى إبداع لوسي الملجأ ، بينما يتولى رعاية جورج الصغير كاهن البلدة وأخته التي تعطيه اسم حائلتها بعد وفاتها .

يفتر جاك جارود من فرنسا إلى أميركا متحلاً اسم عامل قضى في المستشفى ، كان يعمل في مصنع لابرو اسمه بول هرمان ، وعلى متن السفينة التي أقلته يتعرف إلى أوليفر سوليفر (ابن خال بول هرمان المتوفى) .

وعلى متن السفينة أيضاً يتعرف جاك (بول هرمان المزعوم) إلى الأميركي مورتيمر وابنته ، ومورتيمر ثري كبير وصاحب مصنع للصقل ، وينتهي التعارف بزواج بول من ابنة مورتيمر ويتم بشاركة تجمله من أغنى الأغنياء .

وفي فرنسا تخفي جان عقوبة السجن المؤبد - تتبعها لونة جنون تُسيها ماضياً - ويصبح ابنها جورج محامياً مشهوراً ، بينما تصبح لوسي ابنتها خيالة في مشغل تملكه السيدة لوغرين .

يتعرف لوسي إلى لوسيان لابرو - ابن الضحية - فيتحابان ويخططان لزواج سعيد .

يفتح جورج (داريه) مكتب محاماة له في العاصمة باريس . وتشاء المصادفة أن تعود جان إلى وعيها بعد سنين طويلة ، وتخطط وتهرب في محاولة منها للبحث عن ولديها ، مؤمنة ببرائتها ، واثقة من أن جاك (الضحية المفترضة من قبل الشرطة) هو مقترب الجرائم الثلاث ، وكانت قبل فرارها بعيد الحادثة الغاجمة قد رأت جاك يقتل جول صاحب المصنع ، ولكن دون دليل يوثق زعمها ، وما كان الدليل إلا الرسالة التي بعث بها إليها قبل يوم من إحراق المصنع وقتل صاحبه .

مقت أحداث مؤلمة وتلتها أحداث مفاجئة :

لوسيان لابرو (ابن الضحية) يقع في حب لوسي (ابنة الجانية) وكل منهما لا يعرف الحقيقة .

جورج داريه الهامي لا يعرف أن لوسي شقيقته ، وهو صاحب لوسيان خطيبها .

يعود جاك جارود (بول هرمان) إلى فرنسا نزولاً عند رغبة ابنة المريضة ماري (بعد وفاة والدتها) . . . وينشئ مصنعاً جديداً !

لم نجد جان ولديها فتعمل بائعة خبز متحلة اسم ليزا بيرين . وتتعرف بائعة الخبز على لوسي . . .

ويتعرف لوسيان لابرو إلى ماري هرمان (ابنة جاك) . . . وتبدأ الحقائق تتكشف . . . ومعها تتلاحق المفاجآت . . .

ماري ابنة القاتل تقع في حب لوسيان (ابن القاتل) . لوسي تحب لوسيان (ابنة الفتاة المفترضة تحب ابن القاتل) .

جان تصبح قريبة من لوسي ولا تعرف بعد أنها ابنتها .

وجورج يجتمع بجان (اليزا) دون أن يعرف أنها أمه .

وجاك (بول هرمان) يعرف أخيراً أن جان هربت من السجن .

وتشابهك الأحداث . . . ويرمز أوليد سوليفر ابن خال جاك جارود

(بول هرمان) كأداة لتصفية جان ولوسي . ١ .

لما هو مصير جان بعد أن قرّر جاك قتلها وقتل ابنتها لوسي . .

الأولى كي لا تشي به ، والثانية بهدف إزاحتها من طريق ابنته ماري التي تحب لوسيان لأبوه . .

لماذا أوكّل بول هرمان (جاك) إدارة مصنع الحديد إلى ابن الرجل الذي كان ضحية غدوره؟

كل هذه التساؤلات وما يستتبعها من مفاجآت ومواقف أليمة يتركها المؤلف كزافيه در مونتنيان إلى نهاية الرواية دون أن يشمر القارئ يقرب جلاء غوامض ما يجري .

فهل يفلح أوليد سوليفر في القضاء على جان؟

هل لموت لوسي ليناح لماري الزواج بلوسيان؟

وهل ينعم جاك (بول هرمان) بثرائه بعد القضاء على جان الشاهد الوحيد على جرمه؟

وتبقى الرسالة التي قيل إن النار التهمتتها يوم إحراق المصنع . .

فهل تظهر كدليل على براءة جان؟

*

شخصيات الرواية كما رسمها دو مونتنيان تتنازعها عواطف شتى ،

هي عواطف إنسانية تنبض بالشاعر والأحاسيس تستحضر الماضي

سحياً وراء كشف الحقيقة التي تبقى غاية الإنسان :

فجان فورتيه تتنازعها عاطفة الأمومة والوفاء للمكبري زوج أحببته والأمل في العشور على ولديها بعد سنين طويلة قضتها في البحث عنهما . بينما تتنازع جاك جارود سلطة المال وحباً لتلك امرأة يهيم بها ، وهو حب دفع به إلى ارتكاب جريمة ثلاثية اضطر بسببها إلى إلصاق التهمة بالمرأة التي أحببته ، وحين تفتح الدنيا له ذراعيها بتملكه حزن الأب على ابنته الوحيدة المريضة ، والتي من أجل إسماعها سعى إلى الخلاص من الفتنة التي تنافسها في حب الشاب الذي رأته فيه غارس أحلامها . والواقع أن جاك هذا قضى على حياة المرأة التي أحبها ، وحاول بالتالي قتل ابنتها حباً بابنته .

إنها حالة من المشاعر المتعاضدة تتأرجح بين الموت والحياة ، الإخلاص والانتقام ، الحب والكراهية ، اليأس والأمل ، وهي تلك للمشاعر التي راجت في روايات القرن التاسع عشر ، والتي حققت بها صحف تلك الحقبة من الزمان .

القسم الأول

الحريق

- ١ -

كان ذلك في عام ١٨٦١ . وفي يوم من أيام أيلول/ سبتمبر القارسة الباردة .

وفي الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم . وفي شارع الفورت في مدينة الفورتفيل . كانت امرأة نير وعليها ثياب الحديد السوداء . . بسيطة الهننام ولكن في بساطتها أناقة لا تخطئها العين .

وكانت تبدو جميلة . . ولكنه جمال فيه من الختان أضعاف ما فيه من الفتنة . . جمال تتجدد فيه الوداعة أكثر مما تبرز منه الرشاقة .

وكان شعرها الذهبي يتسدل على منكبيها في جدائل طويلة غزيرة . . وقوق جبينها الرضاء انعقدت خصلاته في حلقات ملتوية فاتنة .

ولكن على رغم هذا فإنك حين تأمل عينيها الجميلتين تقرأ فيهما آية من آيات الحزن . . وفي ثنايا وجهها تشيع سحابة من الاكتئاب . . كأن بين الحنايا همًا دقيقاً .

وكانت تمسك بيدها اليمنى آية من الزنك . . أما اليسرى فكانت آخذة بيد طفل في الثالثة من العمر .

في إثر الأم كان الطفل يسير بخطوات بطيئة متمهلة . . يجر خلفه جراداً مصنوعاً من الخشب والورق المقوى . وتعثر الجواد وانقلب على جنبه .

وهتف الطفل بالأم يستمهلها ويستوقها .

وكانت تلك هي المرة الرابعة أو الخامسة التي استمهل الطفل فيها أمه في خلال الدقائق القليلة الأخيرة .

وبصوت وديع تنبعت نبراته بالحنان قالت الأم :

- احمل جوادك يا عزيزي فإن الطريق أمامنا طويل شاق .

- نعم يا ماما .

وحمل الصغير حصانه الخشبي وسار إلى جوار أمه وهو يوسع الخطى على قدر طاقته .

وأخيراً .. حين انتهى بها الطريق إلى الدور القائمة عرجت على حائوت للبقالة .. فبرزت إلى استقبالها من إحدى الغرف الداخلية امرأة بدينة .. هي صاحبة الحائوت .

وقالت صاحبة الحائوت :

- أهذه أنت يا سيدة فورتيه ! طاب يومك أيتها خادمة أسدي إليك ؟

- أريد زيت بترول من فضلك .

وبدت أمارات الدهش في وجه المرأة البدينة وهتفت :

- زيت بترول ! مرة أخرى ؟ عجباً .. وما صنعت بما اشترته بالأمس ؟

فأجابته السيدة فورتيه :

- قلب ابني الإناء وهو يلعب فسأل ما فيه .

- آه ! فذلك إذاً هو السر .. أي قدر تريدون ؟

- أربعة لترات حتى أوقر على نفسي مشقة التردد عليك يوماً بعد يوم -

وراحت المرأة تكيل زيت البترول - ثم ما لبثت أن قالت :

- ولكن ينبغي أن نحاذري فالأمر ينطوي على خطر شديد ..

اتعلمين أن انقلاب الآنية بما فيها من بترول قد يقضي إلى اشتعال النار في المصنع ! إن هوداً من الشباب يُلقي في غير اكترات كليل بإحداث النكبة الدامعة !

- هذا صحيح .. ولقد هتفت جورج وزوجته زَجراً شديداً .. وإن

كان المسكين قد أتى الأمر عن غير قصد أو تمهّد .. كان يجري فحشرت قلبه بالإثناء .. ووعدني بالآ يعود إلى مثلها أبداً .

- عساه إذاً يبرأ بما وعد .. وكيف حالك أنت ؟ لأرضية عن عملك

الجديد يا سيدة فورتيه ؟

فهزت الأم غضبها وقالت :

- ينبغي أن يرضيني على أية حال .. فما كنت لأجد لي نكبتني

هذه ما هو خير من ذلك .

- كيف ؟ أما كان في وسعك أن تربحي من الحياكة أضعاف ما

تقاضيه الآن ؟

- هذا صحيح .. ولكن كيف أحترف حياكة الثياب وليس لني

مال مدخر أبتاع به ما أحتاج إليه من آلات ؟ إن تربية الطفلين تستنفد مالاً كثيراً .

- ولين صغيرتك لوسي الآن ؟ لما زالت عند الموضع ؟

- نعم .. في برجوني في جواني .

- لا ريب أنها تقاضاك أجراً كبيراً ؟

- ثلاثون قرناً في الشهر .

ثم فدت عن صدرها تهدة عميقة فيها بؤس وشقاء ..

وضممت :

.. أه .. نشد ما انتقد زوجي ! لو أنه كان الآن على قيد الحياة لما أبهظتني هذه التفقات !

.. صدقت يا سيدة فورييه ! وكيف كان يمكن أن تضيره التفقات الكبيرة وهو يريح في اليوم الواحد سبعة أو ثمانية فرنكات !
فهضمت الزوجة المنكوبة بمرارة :

.. وكان أميناً عطوفاً .. وشجاعاً .. وكان يحبني ! رياه ! إن تلك الآلة التي انفجرت قتلته إنما قتلت في الوقت ذاته هاتين وسعادتني .
ورفعت الزوجة الحزونة إلى وجهها بدأ مرتعدة فمسحت دموعاً انعدرت من عينيها .

وقالت صاحبة الحانوت :

.. لا ينبغي أن تسلمي نفسك إلى الأحزان يا ابتي .. ففي هذه الدنيا نكيات تصغر نكتك إلى جانبها ! ومع ذلك يجب أن تحمدي الله على أن صاحب المصنع ترقق بك وأسبغ عليك عطفه .. إذ يقال إن زوجك هو الذي تسبب بإعماله في انفجار الآلة .. فهل هذا صحيح ؟

.. نعم .. صحيح وأسفاه !

.. ومع ذلك فقد تولى صاحب المصنع تفقات الدفن كلها .. ثم أقامك بوابة لمصنعه ورغم علمه بأنها مهنة لا تصلح للنساء .. ولكنه أراد أن لا يتدخل عن مساعدتك .

فغمضت السيدة فورييه بلمهة تطوي على الأسى :

.. هذا صحيح .. لقد كان السيد لا يرو عطوفاً علي .. عطوفاً جداً .. إنهم يمزون إليه القسوة والضرامة .. ولكن سلوكه حيالي ينفي عنه هذه المزاعم .. ومع ذلك فلست أستطيع أن أنسى أن

زوجي قتل في مصنعه ! إن هذا المصنع عندي لدير الشوم والنكيات . ولولا أنني مسؤولة عن القيام بأود طقلي لما قبلت هذا العمل الذي أتولاه الآن ! رياه ! ما أشق على نفسي أن أعيش في المكان الذي سُنك فيه دم زوجي ! أية أعصاب يمكن أن تحتمل هذه الذكري المرعبة المفجعة !

فقالت صاحبة الحانوت تسري عنها :

.. تحمدي يا ابتي فما يجديك هذا الاستسلام للأحزان شيئاً ! إن من الحماسة أن نعيش للأسوات ! إنك ما زلت في عتفوان الشباب .. ولك من الجمال حظ موقور .. وإن عاجلاً أو آجلاً ستلقون شاباً جميلاً يهيم بك ويسألك الزواج .. فاحذري أن ترديه غائباً وإلا ارتكبت بذلك زلة لا تغفر .

فهضمت المرأة :

.. أتزوج ؟ محال ! محال !

وكان في ثبرات صوتها عزم وأصرار .

واستمت صاحبة الحانوت إستماعة المرأة الجريئة وقالت :

.. هذا كلام لا يلبث أن يعثي عليه الزمن ! إن كثر الأعوام كفيل بأن يغير من رأي الإنسان ! ومن كانت في مثل سنك مخلوقة أن لا تبقى مثومة مدى العمر .

.. قد تكونين على صواب فيما تقولين .. وقد يكون لمن تتزوج أسباب قوية تدفعها إليه .. أما أنا فلدي من الأسباب ما يصرفني عنه ! على أنني شيئاً واحداً هو أن أقطر بألفين أو ثلاثة آلاف من الفرنكات !

.. وما تصنعين بها ؟

« ما اصنع بها؟ أوه! أشياء كثيرة لا يحيطها الحصر! »

على أنها ما لبثت أن هزت كتفيها وأردفت بأسي :

« ومع ذلك فما جدوى التفكير في هذا الأمر؟ إنها أحلام داهية في الهواء... أنصني علي بالعقر ولا سبيل لي إلى الثراء! وسألزم اللصع ما استطعت حتى أربي طفلي... وإذا كان لي رجاء في المستقبل فمن أجل هذين الطفلين لا من أجل نفسي! »

تروذي بالأمل يا أنسي... لأن الأمل يعيصر على المرء صبراً وشجاعة! هناك بئروك! وإذا أحدثت مصححي أودعته حرانة بمجرد وصولك وأغفلتها بالفتحاح.

« اطعني يا أماء... سأتحذ الخبطة الواجبة... فليس ثمة من هي تشد مني توجساً من النار »

وانصرفت الأم وحملها يش إلى جانبها وقد تأبط جواده الخشبي وبمسندتها صاحبه الحادوت يصرها برهه ثم عسعت تمحاطب نفسها.

« يا لها من امرأة بيضة وشجاعه! ولا ريب عندي في أنها تفعد روحها كثيراً فربما أرى امرأة طموح جنة انطامع أليد شعري لأية عالية تسمى أن ثمان هذه الثلاثة آلاف فربك انني تحمم بها! »

ثم تحركت إلى مساعدتها ما زلت وزاحت لقطعان الوقت بالحدث في هذا الشأن.

كادت جان مورتيه قبل زوجها حياة بلرعة تكسب من إيرها مالا غير قليل.

ولاد معب الثانية والعشرين اقترت برجل يدعى بيير مورتيه كان يعمل ميكانيكياً في مصنع الحديد جنوب لا بور.

وانفق يوماً أن ارتكب بيبير غلطة فبئة كان من عوائبها أن انصهرت إحدى الآلات فتك لساعته

ورئي صاحب العمل للأزمة المكيئة

كان يعلم أن له طعنين تمويههما وأن لا مال لديه تنفق من عليهما فأقامها بوابة لصعده برأ بها وتوحيها بها عن مصرع زوجها

وكانت جان صجرة بهذا العمل لا يما خيال روحها يتحرى لعيبيها!

في هذا اللصع سالت دماؤه... أهاية أعصاب يمكن أن تحمل هذه الذاكرة؟

ونكتب ارضت هذا العمل وراضت نفسها على الصبر رحمة بونديها؟

لها لا تفكر إلا فيهما... ولا يطوف بصدري رجاء إلا كأننا مبعثه ومشاره... وحين تمك الثلاثة آلاف فربك إنما غمتها لكي تنش داراً لحياة الشباب تقصاعف منها دحجها... لأجل طفليها!

وفجأة... فيما هي تسير بها لهذه الخواطر سمعت صوتاً يناديها امتقع وجهها... ولكنها تابعت سيرها دون أن تغير رأسها إلى صاحب هذا الصوت.

بل لقد اشتدت في السير وجذت مرعة

وعاد الصوت ينادي

« سيده مورتيه! أم سمعني! اني ماضى مثنت إلى المصنع فدعيني احمل عك هذا الإثم »

ونكتها تظهرت بأنها لم تسمع شيئاً

وانتعت الطفل وراه وهتب

- أماء . إنه صديقي جارود الذي أعطاني هذا الجوارد .

وب كاد بها ماضي من التريت

وحن بهما جارود

حال إلى الطفل قبله ثم تحرك إلى الأم يقو

- نو رآه أحد تجنتين في السير يا سيده فوربيه حين مديتك لرمع

في روعه أنك خائفة مني ! إنك ما كدت تسمعيني أناديك حتى

أسرعت في السير . هليت شعري هل أسأت إليك ؟

فقلت نجده بشيء من الأرنك

- إني ما أسرعت إلا لأبلغ المصنع عاجلاً . وم سمعتك

تاديئي

ولكن إنكارها لم يحدده .

وعاد يعو .

أصبح يا جان فوربيه أنك لم تسمعيني حين مديتك ؟

- طبعاً . ما دمت أقول لك هذا !

فكنت هيبه ثم عاد يقو :

- ليس خافياً عني يا جان أنك تتحاشون لقالي ! إنك تعلمين أن لا

شيء يسعدي كما يسعدي أن أبادل الحديث معك !

فالت المرأة بحرم

- سيد جاك ! أرجوك أن لا تعارذ طرق هذا الحديث مرة

أخرى . . إنه حديث يبحث في نفسي أولاً

وأن يا جان ! أحببتي سعيداً هائلاً ! الا تعلمين أنني أتعذب

وأنكم أصعب من سحدين أنت وتالين ! جعاًؤك وصدك لي

وأعراضك عني . كل هذا بهج لي مني ! لا يطلق ! إني أحبك يا

جان . مكن جوارحي ! إن قلبي لا يرض إلا بحبك ! وأنت تعرفين

هذا !

فقاطعت الأرملة يقو بها

أرايت إذا أنني كنت على حق حين أسرعت الخطى حتى لا

أنصت إلى هذا الحديث !

- وكيف يسمى أن أسكت مؤادي وأحمد صوت الحب ! إني لا

أفكر إلا بك ! وأسعد ساعه من حياتي تلك التي أكون فيها إلى

جوارك . أنظر وأصغي إليك بلا انقطاع !

وأنا أيضاً بلا انقطاع لا أفتأ أقول لك إن هذا الغرم حماقة

ومخافة

- حماقة ! ومن ؟

- لأنني لم أستطيع أن أحبك !

- أنظير هذا ؟

- إنه ليس مجرد ظن ! إني موقفه ثما أقول !

أما أن حلبي موقن من العوض ! أنه أشياء مستحيلة في هذه

الحياة لا يمكن أن تقع ! إنك في عتوان الشباب . ولت جمال يدبر

جميع الرؤوس . فكيف تقضين بقية أيامك في التروص . منقطعة

عن الناس موصدة بابك في وجه الحياة ؟ وكيف يمكن أن تطيب لك

هذه الوحدة . هيه ؟ أجيبي !

- أرجو أن تكف عن هذا الحديث يا سيد جارود !

- ولم أكف عنه ؟

يعني لو نددكر أنه لم تحص شهر خمس على وفاة بيير

وأنت كان صديقت !

- وسبحان أن أنساه! ولكن انخسب أن حي بك يدس
ذكراه! وكيف يكون هذا وما كاشفتك بحي إلا بعد أن أصبحت
حرة طيقة؟ أليكون تديساً لذكراه أن أقول لك يا جان إن
وطني بير سيكومان ولدي؟ ؟ أليكون تديساً لذكراه أن أقول لك
«جان» إني سأكمل بك وبولديه العيش الرغيد؟ إن دخلني
في العام أكثر من خمسة آلاف مارك وأنت امرأة مسفرة
مفتقدة وفي رأسي مشاريع كثيرة! مشاريع رائعة! وفي
وصفنا أن وأنت أن تصبح من الأغنياء، وما يدريك أني قد أصبح
بوماً صاحب مصنع وتحت إمرتي مئات العمال! إذ ذاك تصبحين
روحة سعيدة وأماً سعيدة! وإلى جانبك طفلان سعيدان
والأمر بعد متوقف عليك! إني أحب حتى الجوع فلا تبلي! إن
الحب جسر لا يتراجع... فلا تلعيني بإفراحتك عني إلى ارتكاب
الخطايا

وأمسكت جان فجأة عن السير وراحت نظر إليه ثم قالت
بصوت أسبق عليه لا تعمل تهادياً ملحوظاً

- أصح إلي يا جرود... تذكرني المرة الرابعة أو الخامسة التي
حدثني فيها عن حبك... وإني لأعلم أنك مخلص أمين...

فقاطعه جاك بحماسة:

- أقسم لني أحبك بمجامع قلبي

- دعي أتم حديثي - إني مقدرة بإخلاصك لي ومع ذلك فلا
أستطيع لأك إلا أن ألقى إليك الجواب نفسه الذي ألقيه عليك في
المرة الأولى وهو لقد عرمت على أن أظن امرأة! وليس في بيتي
أن أتزوج مرة أخرى!

وأحسن جاك جرود صند سمعه هذه الكلمات أن قلبه يوشك أن
يتحطم بين حبيبه

واستسلمت سيدة فورتيه تقول:

- لقد أحببت بيير حباً عظيماً طمى على قلبي وحواشي فلا
يسمي أن أحب سواه! كان قلبي له وحده، ويعوده مائة الحب
في قلبي

ونلت في ثيابا وجهه لمرات اليأس وانحدرت من عييه
عبرتاه... وبصوت مختنق قال

- آه... إنك فاسية يا جان فورتيه! لس في فؤادك درة من
الرحمة! لقد خلجتي هدباً شديداً!

ورأه جان يركي... وما كانت تجهل أن دمة تنحدر من صبي
رجل ليست بالشيء النافع الضئيل.

وبصوت رقيق عطوف قالت

- إني أعلم أنك تتألم وتو لني أنك لأجفك! ولكن هل يسعي
أن أكم الحقيقة دونك! هل يسعي أن أخدعت وأموه عليك؟ إن
هميري يحتم علي أن ألتحدث إليك بصراحة... فلا تفكر في بعد
الآن!

فصاح في غنوط:

- لا أذكر فيك إلهاء! وهل هذا ممكن!

- لس حبي... الزهه من فؤادك... وسجد من هي أكثر مني
جداً وأعظم مالا!

فنهض يائساً

- أفضي، إذا على كل أمل لي في المستقبل؟

- هذا لا بدّ منه .

فأمسك يدها بهنم وقال :

- حان إليّ اليوم رجل فقير وأنا أعلم أن فقري هو الذي
يسوجب ارتدائك لي . ولكن هيبني أصبح حياً فهل ترضين
بي روحاً لك؟

وراعها ما بدا من اضطرابه وعنفه فقال

كفى ! لا تحاطبي بهذه اللهجة إنك تحت الخوف في قلبي ؟
فصاح :

- سأصبح ثرياً . وسأصعب ثروتني عند قدمك وأقدم طفلك
فهل تقبلين؟

- كفى ! اصمت !

- كلاً لي أصمت ! يعني أن تصني إلى حديثي كله ! إن
عرامي بك ليس حديث العهد ! إني أحيك مد حمسه أعوام وقد
ظمي هذا الحب على فني وعيني حتى كاد يعمدي الصواب
ونكي صيرت وتجلدت وكشمت ما يدور في صلبي ! لأن
روحك كاذب صديقي !

لما الآن وقد مات روحك وانراحت العفصات القائمة بيبي
وبيبك من الطريق فلم يعد ثمة ما يحور دوبي وانتقدم إليّ
بحبي ! جان إني أحيك ولا بد أن أتحدثك روعة لي هكذا سطر
العصر في لوحه الخالدة . ومحال أن تعرض كلمة الأقدار .

وحسني عليه الانفعال فمال إلى يدها وأدنى منها شفتيه أفلتفتين
وفئها قبلة من تار .

وفي هذه اللحظة دعا الصعير من أمه وقال وهو يتعلق بثوبها

- ماما . حيا بنا ! ثم نقت هكدا وسط الطريق ؟

وتابع الثلاثة طريقهم من جديد

وقال جارود يحاطب الأرملة :

- دعبي أحمل عنك هذه الآثمة

شكراً ههنا خمسة ليس فيها إلا أربعة ثمرات من ريت

البشرون

فبدت أمارات الدهش على وجهه وقال .

- أنصتي . غرفتك برب البرول ؟

- نعم فهو رخيص النسي

- ولكن ألا تعلمين أنه شديد الخطر وأن السبد لأبوه حرم

ادخله إلى نطاق الملح ! لو أنه علم بأمرك تتوالاه العصب ؟

فقالت جان في وداعة :

- ما كنت أصم ذلك من قبل . ولن أستمعه بعد اليوم .

- حسيت أن أستمعي الشموع أو القناديل

- سأفعل ذلك من بعد

وحين يعمو المصع سار جارود برفقتها حتى باب غرفتها ثم

لهل هبة هناك وقال

- أناأنس لي بكلمة؟

بكل تأكيد

- لا توصدي في وجهي باب الأمن اهيري لي موعداً مهما

يكن بعداً !

- لا أستطيع يا جارود

فشدت به العصب فجأة . وخرب الأرض بقدمه وقال :

- ماذا ! أنا بين علي حتى حق الرجاء البعيد !

فردتها ما يد من انقلاب سحتة وهتت بالانفلات إلى خرقتها
ولكنه اهترض طريقها . وقال بصوت صارم :

- جان ! لياك أن تهيجي ياسي ! خير لك أن اخل لك صديقاً !
فقلت لكي تحمله على الانصراف

- حساً ! سرى فيما بعد !

- حقاً !

ملا ريب

فاتخرجت لسور جارود وهتت

- شكراً لك ! كاد صدك يقتلي !

ودخلت جاك إلى خرقتها فأودعت ريت البترول رقاً من رفوف
الخزانة وهي تقوى

- هذا رف مرتفع لا تصل إليه يد جورج

ويست إليها جارود يده يصافحه قلماً رأه متردده قال :

- ماذا . لفافمة أنت علي . ؟

- كلاً ولكن

- تكلمي ! قوسي ما يداك ولكن اعلمي قبل كل شيء أنني
أحييت وأسي لا أعيش لأن لا بهل الأمل ! وفي يوم من الأيام
سأحضر إليك وألقي بشروتي عند قدميك وأقول لك هأنذا قد
أصبحت من الأغنياء فهل ترضين بي زوجاً !

فقلت وفي صوتها اضطراب ملموس :

- نعم . إذ ذاك أرتضيك زوجاً ! من أجل طفتي ! من أجلهما
هتت .

- ولست أجمع فيما هو أكثر من هذا ! هاتي يدك

وسطت إليه يده .

وضغط عليها بحرارة وكانت ضغطته عهداً مقطوعاً

- ٢ -

كان جاك جارود من أسرع العمال ميكانيكيين الذين يعملون في
مصنع السيد لايرو . فبسط عليه هنا لأخير رعايته . وراح يرفيه
ويرفع من أجره حتى أصبح مراقباً للعمال

وكان السيد لايرو لا يعك يسأله الرأي كلما عرضت له عقبة أو
كنا أشكل عليه اختراع من الاختراعات

وكان جارود سحراً بنعمه يؤمن بدكاته . ولا يفتأ يمتي النص
بأن يصبح يوماً من كبار المخترعين . فذا من جئ الليل وصرع من
عمه راح يخالج أحدث الكتب الميكانيكية استمراة لمعلوماته
والمساهمة لعلاقاته

وما كان ينسى إلا أن يوقى إلى خراع يدر عليه مدلاً وميراً
وحين ذكرت له حاك أنها ترتضيه زوجاً حين يصبح من أهل
الثراء اشتد افتتانه بالثروة . وراح يفكر كيف السيل إليها ؟

كانت هذه الخواطر تدور في رأسه وهو داخل المصنع

واقترب من كهل بين العمال وقال له

- فانسان . . لقد قابلت ابنتك الأب .

فقال الكهل مقاطعاً بنبرة تدل على القلق .

- وماذا قال لك عن زوجي . ترى هل اشتد العله عليها ؟

- كلاً . ولكنه يرحوك أن ترجع إلى النار عصف انصرافك

مباشرة .

- ألم يزد على هذا القول شيئاً ؟

- كلا .

فهر الكهل رأسه وقال :

- وما حاجه إلى الإسهاب ؟ إنه ما كان ليستوقعك في الطريق ويسألك أن توصيني بالإسراع بالعودة ، لا لئلا يأتى الداء قد اشتد على أمه ! سيد جارود أناأد بي بأن أمضي إلى البيت على أن أعود بعد نصف ساعة ؟

فهز جارود رأسه وقال :

- آسف يا فلانسان ! أنت تعلم أن انصراف العمال في أثناء العمل محظور .

- ولكن العنوف محرم وحظير وأحسب أن السيد لا يروى
نقاطعه جارود بقوله

إن السيد لا يروى غائب الآن عن المصنع ولا يسمعك أن تنصرف إلا بعد استئذانه

وسكت العامل الكهل على مضض .

وما كاد جارود ينصرف حتى اشتدت هواجس السكين . وألحّت عليه الوسواس ورح ينصور امرأته وقد اشتدت عنقه وأدركها الاحتضار فلم يطق على الأمر صبراً .

غادر مكانه ومنى إلى الباب هالعي جان جالسة عنده فسألها أن تأذن له بالمرور فقالت :

- لئديك تصريح بالخروج ؟

- كلاً فإن المدير غائب .

وقصر عينيها ما كان من مقابلة ابنه لسيد جارود وقال مسترسلاً

- ولا شك أن وطأة الناء قد اشتدت عينيها ولا يسعي أن أنصرف

إلى صلي إلا إذا اطمأنت عليها .

فدالت جان وقد أدركتها الشفقة عليه

- وكيف يسعي أن أفتح لك الباب وليس لئديك تصريح خاص

بالمخرج ؟

- وامرأني التي تعاني منكرات دون الثمسين آني أبالي بالنظم

الموضوعة ؟

- ولكن ما يكون من أمري حين يعلم المدير أنني أذنت لك

بالمخرج دون تصريح منه ؟

- ولكنه هائب وس يعلم أنني خرجت !

- إذا استأذن المراقب .

- لقد أبى أن يأذن لي .

- إذا ينبغي أن نترث حتى يعود المدير

ولكنه لي أن يترث . .

راح يتوسل إلى جان وحدثها عن زوجته المريضة وكيف أنها في

دور الاحتضار وما زال بها حتى أثار عظمها ففتحت الباب

وسمحت له بالمخرج وهي تعلم أنها سوف تتسهدف لغضب

صاحب المصنع .

بعد فترة وجيزة مر جارود بالمكان الذي كان قد سأل يعمل فيه

فهم يجده . . فمأ سأل عنه فبين له أنه خرج

استشاط جارود غضباً ومضى إلى جان مسرعاً يسألها حقيقة

الأمر . فلأبانه بما فعلت . وقالت

.. وقد وعد بأن يعود علي عجل .

نقال جوارود

.. لقد ارتكبت خطيئة ما كان ينبغي أن تنور علي فيها .. إن المديبر
لن يعمر لك هذه الهموم .. أما أن فلا يسمى إلا أن أطرد فانسان عفاهاً
به

.. كيف .. أنطرده وهو ما أفقد لأ لعنة الرحيم ؟ إنه مسمود
عاجلاً فلا يعنى بالأمر أحد سواك أرجو أن تصصح عنه
فترث جاك جوارود هتبه ثم قال :

.. حساً ! سأصصح عنه إنكراً بك علي أن لا تعودني إلى ارتكاب
مثل هذه الهموم مرة أخرى وأرجو أن يعتزل بالعودة قبيل قدوم
المدير

وفي تلك اللحظة قُرح الباب

عقانت جاك .

.. ها هو فانسان قد رجع فاطش !

وإذ فتحت الباب ارتفعت أمارات القلق في وجهها

لم يكن القادم فانسان وإذ السيد لأبرو صاحب المصنع

سار لأبرو نحو جوارود وقال له :

.. أنت الذي أدت بفانسان بالانصراف ؟

لاد جوارود بالصمت لا يجيبه . واضطربت جان .

وبان العصب في وجه المدير وعاد يكرر سؤاله

وعال جوارود في صوت للتردد :

.. كره

.. إننا فقد انصرف فانسان دون استئذان !

.. لا أدري .. قلني لم أجده في مكانه فبحثت أستعصر عن الأمر
من السيد هورتيه .

فتحوك السيد لأبرو إلى جان هورتيه يتعطر عنها جواباً فقالت :

.. نعم . لقد خرج

.. إذا فأنت التي فتحت له الباب ؟ !

فأصت رأسها إيجاباً .

فبان بصوت تم بمراته عن الصراخ .

.. وما الذي دعتك إلى مخالفة التعيين ؟ وأي عذر ماف فانسان

إليك !

.. أراد أن يطمئن علي امراته إذ اشتدت بها العنة

.. وبم أبي أن يتعطر حتى أعود فيستأفني ؟ إني أعطيت علي

فانسان ولكني في الوقت ذاته لا أحب أن يكون قدوة سيئة

بمزاله .. إذا ما عاد فانسان فلا نفتحي له الباب إذ ينبغي أن

يطرد . لا أنكر أنه من حيرة العمال ولكن لا بد لي أن أجعله هبرة

لسوء

ثم سار إلى مكانه يتبعه جاك جوارود .

.. ٣ ..

كان جون لأبرو صاحب المصنع في خضمه والأرحم من العمر

تزوج وهو في الثانية والثلاثين بأمرأة موهوبة الشراء فكان له من

أمواله ما استعان به على إنشاء مصنعه .

ثم ماتت امراته وخلفت له طفلاً يدعى لوميان عازمه أبوه

إلى أخته في الريف تتولى تربيته وانصرف هو إلى إدارة مصنعه

وتربيته .

دخل لآبرو إلى مكتبه يشعه جارود . ثم كهولك إله وقال .

- لا ريب أنني أخصات بتعيين السيدة فورتييه بوزارة للمصنع .
وينبغي أن أقوم رجلاً مكتب .

فاشتدت حيرة جارود ولم يدر ما ينبغي أن يقول وعصم
- إنها امرأة أمته يا سيدي

ولكنها صعيه الإزاده لا تصلح لأداء هذه المهمة

وخرج ابنت ودخل المحاسب يحمل برقة كبيرة من المال وكفيه من
لجبهات الذهبية ووضعها على مكتب رئيسه وقال :

- جئتك بالدخل يا سيدي كي تتولى إيداعه المصرف

وحين انصرف المحاسب وخلا لآبرو بجارود قال له :

- إني مهتم في هذه الأيام في اختراع آلة تصنع ، فإذا تحقق
رجائي أصبحت من ورثتها مالاً جسيماً ، على أن بعض العقبات قامت
في طريقي وأريد أن أعهد إليك بتدليلها على أن يكون لك حصص
الأرباح

واستطاع جارود فرحاً بهذا العرض وقال :

- إني دهر إشدرك يا سيدي فحدثني بما أفكر عليك

وراح السيد لآبرو يعضي إلى مراقب المصنع بتفاصيل الاختراع
الذي وفق إليه ، ولما فرغ من حديثه قال .

- والآن ما رأيك في هذا؟

- لا ريب عندي في النجاح

- سأعهد إليك إذا بالأوراق على أن نجس نفسك في مكبي
هذا فإني لا أحب أن يقف أحد من العمال على سر هذا الاختراع
أو أن يرى النموذج خشية أن يخفي سرنا إلى غير من الناس

- حسناً يا سيدي . - وسأشرع في العمل من صباح الغد .

- امض الآن إلى المصنع وابحث إليّ بجان

حين عصب جان أن السيد لآبرو يدعوها إلى مكتبه ملأت قلبها
الفرح وراحت تفور جارود

- أتدري لم يدعوني إليه؟

- نعم - أظنه سيعتقد على ما فعلت . - فلا تعارضي بكلمة
ودعها يقول ما يشاء ! فإنه كريم القلب وإن كان حاد الطبع

ومضت جان إلى مكتب المدير على حين لآ جارود يعرفه

كان يادي الاضطراب لا يتأ يروح وبجيء وهو يقول لصاحبه

- صدق لآبرو إنه اختراع جميل العائلة مضمون الزواج وما

أشك لي أن صاحبه حليق بأن يصبح من كبار الأغنياء ! آه هذا

هو سبيل الثراء الذي كنت أنشده ولكن هبني ظفرت بهذا الاختراع

فمن أين أمان الذي أنشده به المصنع وأستجلب الآلات؟

وراح يدور في العرلة كالمعهد المنسور . ثم قال :

- وهدني بأن يحضي خمسم الأرباح فأية حفاقة تخمسي على أن

ألتزم بالخمس وهي وسعي أن أقال الربح كله لنفسه؟

واخرجت أسنيره هيهه وقال

- وإذا ما أصبحت ثرياً فهل تردني جان خائياً حين أسألها الزواج؟

فقال

إن السيد لآبرو ماقم عليها الآن أولشد ما أتمنى أن يطردها

لأنها إن أصبحت بلا عمل لم يكن لها ماصر من الالتجاء إلي
لأهلها وأعوول طفلها .

وارسمت على شففيه ابتسامة كان فيها من الشر ما أحياها إلى

إتسامة أشبه بتكشيرة وحش ضار مكشّر عن أنبابه !

طرق جان باب المكتب وتقدمت إلى السيد لايرو قائلة

- أدهوتني يا سيدي؟

- نعم - فقد علمت أنك عهديت بالباب بعد ظهر اليوم إلى أحد العمال فلم فعلت هذا وأنت تعلمين أن في ذلك مخالفة لتعليمات؟

- لقد مضيت يا سيدي لأتبع بعض الحاجات الضرورية .

- أما كان في وسعك الترتيب حتى ينصرف العمال

ودون أن ينتظر منها جواباً أردف يقول :

- هذا إلى أن تصرفك حيال الناس لم يكن صالحاً وقد دلتني

على أنك لا تصلحين لهذا العمل .

فانصرفت حينها بالمعيرات وقالت

- ولكي لم تسألت يا سيدي أن تقيمي بوابة المصنع أنت

التي عهديت إليّ بهذا العمل من تلقاء نفسك تعويضاً بي عن مصرع

زوجي الذي قضى وهو قائم في خدمتك . - لماذا كنت ترى يا

سيدي أنني لا أصليح لهذا العمل فقلت أرى ما يدهوك إلى الإنهاء

عني باللائمة دون سبب !

فقطب السيد لايرو جيبه وقال :

- كيف؟ أنكرين إذاً أنك خالفت التعليمات المقررة؟

- لا أنكر أنني جعلت عن حرامه الباب ساعة أو أقل ولكي

عهديت بالأمر إلى أحد العمال فتولاه مكاني .

ولكني انتدبتك أنت حراسة الباب ولو أنني أردت نكاح في

وسعي أن ألتصّب هذا العامل الذي أنبتته مكانك . ومع ذلك فنتت

ههوه قد تخنصر ولكن ما تقولين في همزتك الأخرى؟ أهني

صباحك للعاسان بمخاترة المصنع دون إذن مني؟

- لا أنكر يا سيدي أنني أحطأت في هذا ولكن ما كان يسعني

أن أردت خاتماً وإن أعلم أن امرأته طريحة للفراش نعماني سكرات

أدوت !

وصاد الصبغت هبته - ثم رفع السيد لايرو رأسه وقال

- يؤسعي أن أراني مكرهاً على فصلك من عمك فإني فبما

أرى تحيين الحذل والتفش وبسا أحب من عصائي إلا الطاعة

والإدهان

وفي هذه اللحظة دخل المحاسب وقدم إلى رئيسه بعض الكشوفات

وقال معقفاً -

- أرحوك يا سيدي أن نأمرها بأن لا تدخل ريت البيترول إلى

المصنع

وما سمع السيد لايرو هذه الكلمات حتى فر واقفاً وصاح -

- ريت يترول ! أهي مصعبي يترول؟

- نعم يا سيدي . . فبها قضى عرفتها بريت البيترول .

فاستشاط لايرو غضباً وصاح

- كيف هذا ! أتجهلين أن إدخال البيترول إلى هذا المصنع محرم

محظور؟

فكانت حاد

- كنت أحسن ذلك يا سيدي

- كنت تجهلين؟ لا أستطيع أن أصنفك !

- وب الذي يدهوسي إلى الكذب يا سيدي ولا فائدة منه تعود

علي؟ أنت ههناشي من العمل منذ لحظات ف لا تكرار لي يجديني
معاً

صباح السيد لا يرو وهو يحاول أن يكظم غبطة

- قد أغصرت لك الهموتين السنين ارتكبتها - أما ان أتجاوز عن
إدخالك البتروو إلى مصغي فمحال أبحتي لك عن عمل آخر
ففي نهاية هذا الشهر تغادرين مصغي

فيدا اليأس في وجهها وقالت

- أنطودي بعد أن صاب روجي في خدمتي؟ وما يكون من أمري
بعد أن ترصد أبواب الروو في وجهي؟! وما يكون مصير رندي؟
ثم تهتج صوتها وأردفت

- حذر يا سيدي فإذ طودي لن يجلب لك حيراً

فألقى إليها السيد لا يرو نظرة فاحصة وقال

- ماذا تصبر يهه الغول؟

صباح المحاسب :

أنهذين رتوولين؟

فألت جان :

- لا أهدد ولا أقعد إلي احتمل نكثي محمد وشجاعة لمد
أوتكت هموة فلاكن إذا على استعداد لتحمل تبعه ما فعلت إلي
لن أنظر يا سيدي حتى ينهي هذا الشهر وإنما سأليت بديك أسبوعاً
واحداً أعتن العمل بعده - فلك أن تختار سواي -

وأدركت الشفقة السيد لا يرو ومال بصوت عطر -

لا تحسبي يا أمتي أنني أنطردك طرداً كل ما في الأمر أنني
أدركت الآن أن حراسة الباب ليست بالعمل الذي يوكل إلي النساء
فألت بانفعال

- كتاب يجي يا سيدي أن نترك هذا قبل أن تكمل هذا العمل
إني

- هذا صحيح ولكن علب عني الرعة في مساعدتك وفتح
أبواب الرورق أم لك عهديت إليك بهذا العمل ومع ذلك مسوف
أفقي لك عملاً آخر

فأجهشت جان باسكاه وقالت :

- بر سأعذر بعد أسبوع واحد يا سيدي فإني ما كيدت في
هذا المصع غير اليأس والشقاء وما تجوب فيه خطوة إلا برى في
شح روجي غرقاً في الدمع!

ورفعت يديها إلى وجهها في أسي - ثم دارت على عينيها
وعادرت القاعة تمشي عشية اليأس والقنوط

لسمعها صاحب المصع يصره ثم غصم يقول

- يا لها من بالة مكية إني أعلم أنها ما أدت للانسداد
باطروج إلا رحمة به

فأبرى المحاسب يقول

- إنك يا سيدي كريم رحيم المعب

- ألوانع آني ملين لهذه المرأة لقد فن روجي وهو مائم في
خدمتي - فمن حمها علي أن أرحمها وأن أمد لها يد المعونة . .
وسأجد لها عملاً عند أختي .

- ولكن يبغي يا سيدي أن تحو هذه المرأة فقد عهديت

- أنظن ذلك!

- هذا لا ريب فيه . . فقد كانت تحب زوجها حباً شديداً . . وما
في شك في أنها تعتقد أنك مسئول عن مصيرها . . فلا عجب أن

فهر السيد لا يرو رأسه وقال .

- إنك شديد الوطأة على هذه المرأة ولكن ينبغي أن لا نسي
أنها امرأة منكوبة مات زوجها ولديها طفلان يعويهما ومهما
يكن قلا معر من أن تزودها بقدر من المال إذا تعثر عني أن أقيمها
في خدمة أختي

ثم ما لبث أن أوقف يقول

- أجتني بحساب الصدوق؟

- نعم يا سيدي

ودفع إليه كسفا وهو يقول :

- في الصدوق لك ٧١٢٣ مراكاً وثلاثون ستمياً . وسانيك

الآن بهذا المبلغ

- ولم لا تهبه لديك؟

- إني لا أنام في بلصع يا سيدي وأخشى تبة السرقة

- حساً هاته إدا

وفي خلال ذلك كانت جان لائدة بغرقتها تبكي بكاء مرأ بعد أن

رأب أبواب الورق لشد في وجهها .

وجاءها جارود يسألها عما حدث بينها وبين المدير فسمت أنباته

بالأمر قان

- هـ ما كتب أتوقع ! لا ريب أنك أثرت عصبه بجذل والعاش

فقلت بأنعمال

- ولكنه طردني من خدمته طرداً

- إنه ما كان ليعمل ذلك لو لا أن أثرت عصبه

- وكف كنت تريد مني أن ألود بالصمت وهو يوجه إلي أنسى

الكلمات ومحاسني على همة لا تستحق كل هذا المصيب؟

- والآن ما الذي تثبت أن تصمي؟

- لا أدري ولكن ينبغي على أية حال أن أتمس عملاً أعون به

ولدي وبسي

فسم رأى اليأس بدياً في وجهها قال :

- دعك من القسوط يا جان . - فقد يرجع المدير نفسه في الأمر

ويستقيث

دهرت رأسها بإصرار وقالت

- ولكني لن أبقى . . إني راحلة؟

- حقاً!

- نعم فعلى هذا عوت

فقال بهجة تنطوي على الأسى

- وما يكون من أمري حين ترحلين؟

- إنك لا تبيت أن مساني

مهتف بحرارة

- جان ألا تعلمين أن من المحال أن أعش بعيداً عنك لحظة

واحدة؟ كلا سأحدث في شأنك إلى المدير وأرجعه في أمرك

- لا تفعل ذلك بالله عليك!

- إنك تعلمين أنني أحبك حباً محضاً فسم لا تباديني هذا

أحب فعش سعيدين؟

فقطت جيها وقالت وقد بدت الازدراء في ثيابها :

- ماذا؟ أتسألني أن أكون خليله لك؟ هذه إهانة لي يا سيد

جارود !

فقال معتدراً .

ما قصدت إلى إهدائك يا جان . كن ما في الأمر أنني أعرض عليك أن تعيشي في كنفتي وأنت أنتجدين من ولديك ابني لي حتى إذا انتصب شعور الحداد لتحذرك زوجة لي .

ثم ما بك صوته أن تهتج وقال معقلاً

جان . علمي أنني مجنون بحيث وهأنا أعرض عليك حمايتي ومعونتي لك وولديك . إنني أحبهما كأنهم ولداي ! فإذا بذلتني وأعرضتني بعد أسات إلى هذين الطغيان قتل أن تسيئي إلي !
هيا خبريني كيف يتاح لك في المستقبل أن تسعي عليهما وتلحقيهما بالمدرسة ؟ وهل تطيقين أن تريهما جانعين مشردين ؟

واستمع وجه جان وقال

إنك تعرف في الوصف لكي تهتج عن عيني إذا ما صوبت لي المستقبل على هذه الصورة البشعة !

.. إنني لا أسرف ولا أبالغ وإنك أكتشف لك الحجب عن المستقبل الذي ينظر ولديك !

فهتجت

.. ريتاه ! إنه لا يرحمني ! إنه لا يريد أن يصمت !

صباح جارود

نعم لا أريد أن أصمت . إنني أرى الهرة فاعمره ما عجب قديمك فكيف أدعك تسيرين إليها وأنت معمضة العين ؟ ها أنت منصرفت منك . ولكن اعلمي أن مستقبل طفليكم رهبي بكلمة تصدر من بين شفتيك

وأولاهما ظهره وانصرف . فتهالكت على أحد المقاعد متحاذيه في لعب .

وداحت تقول نصفه

.. نعم . إنه لم يبالغ ولم يسرف لقد صدق فيما قال . فأن لن أستطيع أن أعول طفلي مهمل التفتت من أبواب الورق ! ريتاه ! أنقصي على هذين الطفلين المسكينين بالغاثة والمقر ؟ !

ولكن كيف أتزوج هذا الرجل وقد أفسدت بروحي وهو على سرير الموت أن لا أتزوج سواه ! كيف أحيي بهذا العهد المقدس ! ريتاه ! إنه لنكون بذاته مني لو أنني نروجه ! كلاً . لن أراجع مهمل حدث !

- 4 -

في صباح اليوم التالي انزوى جارود بمكتب السيد لابر واثكب على أوراق الاغشع الذي وقع إليه رئيسه وراح يدرسه ويحاول أن يتقنه . وأضى سحابة بهاره وهو منهك في العمل

ولحماً قبل المساء عادر النصح واسطلق إلى شاطئ النهر فارتقى على الرمال ونادى طعاماً حقيقاً . وصل مكانه حتى انتصف الليل

وكان في خلال هذه الساعات انطوية يرمس بصره إلى صفحة الماء وقد استولت عليه الخواطر وغرق في تفكيره حتى كاد يغفل عما حوله

وإذا عاد إلى المصبح في الصباح كان يادي الاضطراب تمتنع الوجه فكان المريض الذي يرم غراشه هيبلاً طويلاً

وأقبلت عليه جان بسأله عما به . فرماها بنظرة مبهمة ألم واضطراب وقال .

- 43 -

- لا شيء -

ثم ما لبث أن لردف .

كنت أريد أن ألتصق إليك من

ولكنه ما لبث أن أمسك وقال في اضطراب

- كلاً . . كلاً . . ليس الآن . فيف بعد . . فيف بعد !

ثم أولاهما ظهره ومضى مسرعاً إلى المصع

شبعه جان بظرة مليه بالدخش . وراحت تقول لنفسه

- عجباً . ! ليت شعري أي حديث أراد أنه يمضي به إلي . . وما

سر هذا الاضطراب الذي يعرفه ! كأي به يكتفم سرّاً خطيراً !

وهي مكثت التفكير جلس جارود مهكاً في تحييد آلة المصقل

على حين جلس السيد لابرو على مقربة منه يكتب بعض الرسائل

ويعد برهة جاء المصعب وقال

- ها قد جئت بدمال يا سيدي فتودعه المصرف .

- أبقه لديك حتى أفرغ من عملي .

وإذ سمع جارود كلمة المصعب سرت الرعدة في بطنه وعبره رجفة

أحدها بجهد ممنوم

إنما اذاك هو الرجاء الذي يمشي من أحده وهداه هي الأمانة

التي يشدها ويرجوها .

وبعد هبة دخلت جان تحمل رقعة روقاه الملون وقالت

- جاءك برقية يا سيدي .

سأول السيد لابرو البرقية ونصها على عجل . وما كاد يتلوها

حتى انصاع وجهه وهتف

- أبي مريض . رباه أهو في خطر !؟

وتحوك إلى جارود يقول .

- جاءني برقية من أختي تخبرني فيها بأن أبي مريض

مريض ولا معر لي من أن أسافر إليه فوراً . . فاجمع أوراق

الاختراع يا جارود لأودعها الخزانة

وانتمص جارود وأبرفت عيناه ابتهاجاً . . وراح يجمع الرسومات

والأوراق

ودق السيد لابرو الجربس يدعو إليه المصعب وينبشه بسفوفه

وعتب إليه أن يبقى معه من المال ما يكفي لتعلمات العمل في أثناء

حيته

ثم دها إليه جان وأمره بأن تعد له مركبة

ورجعت جان بعد دقائق فقال لها المدير

- انتظري لحظة حتى تساعدني في إعداد حقيبتي

ثم جاء المصعب بعد لحظات وهو يقول

- أقيت لذي حمسة آلاف فرنك وجئتك بالياقي .

- حسناً . - إني أوجو أن لا أغيب أكثر من يومين . . بكم جيتي ؟

- جئت بمبلغ ١٣٣ ألف فرنك . . فإذ أضفته إلى ما في خزانة

كان المجموع ١٩٠ ألفاً و٢٥٣ فرنكاً .

فتأوب لابرو الأوراق النقدية ودفعها إلى خزانة دون أن يحصيها

وفي خلال ذلك حانت من جان لفته إلى جارود

رأت في شيا وجهه انفعالات غريبة ثم تمهدها فيه من غير .

كأن مضطرباً . . خائفاً . . كمن أقترف جريمة يحشى أن تكشف . .

وكان في الوقت ذاته مضطرب النظرات متحد العينين

وعجبت لأمره ولم تدرك ما دهاه !

وعندم جارود رسومات الاصرار إلى رايه فأودعها هذا الأصرار
الخرافة وهو يقول

- منعود إلى الاهتمام بها عقب عودتي

وإذا رآه بهم بالانصراف قال له

- انتظر لحظة فاني بحاجة إليك .

ثم تقول إلى جان وقال لها -

- لا بد لي يا سيدة فورييه من أن اهتم بأمرك عقب عودتي

واعلمي أنني لن أودع بلا عمر وأرجوك أن تسي ما جرى بيتا
كما بيته أنا

ولادت جان بالصمت وقد استعربت ما ابتاه نحوها فجأة من

عطف لا يتفق مع صرامته المعبودة

وكان المناسب يختلص إليها النظر ويقون في نفسه :

- ويحها ! إنها لم تفلح إليه ولو كلمة شكر واحدة ! لا ريب أنها

حاقدة عليه وليست بالمتعصب منه !

ثم أمرها السيد لابرو بأن بعد حقيقته فاعطفت دون أن تحب

كلمة واحدة .

ولمّا أغلقت الباب خلفها قال السيد لابرو :

- أخشى أن تكون السيدة فورييه باقمة علي لقد عنتها تعسفاً

شديداً ولكنّها هي التي أهدت عصبي بعددها ومهما يكن

فأجد بها عملاً عند عودتي .

ثم ألقى بعض تعيانه إلى جارود واضارب وعاد المصع

صافراً إلى الريفة ليعود ولده المريض

عندما حلت ساعة الانصراف مرّ جارود يعرفه جان فألقى إليها

النجية وهم بالذهاب . . ولكنها استوفته وقالت له :

- ما الذي كنت توي أن تحدثني به هذا الصباح ؟

مرت المرحمة في ألحباله وقال مرّوفاً .

- كنت أريد أن أتحدث إليك في مسائل كثيرة

- بكنتم إذنا فاني مصعبة إليك !

بهر رأسه وقال

- كلا ليس الآن فقد تزيّنت في الأمر واستقر في الرأي على

لرجاء الحديث إلى فرصة أخرى . والواقع أنني لا أجرو .

- لا أجرو ؟ على أي شيء ؟

- على مكاشفتك بـ في عني . ولكني قد أكتب إليك بما

أبني !

وكان يندى لاضطراب والتردد . فطالت له جان :

- ولكن ما سرّ هذا الاضطراب الذي أراه مثلاً في عنك ؟

- أرجوك لا تسأليني لأنّني لا ضاحاً ولكنني ببشي . هل تدبرت

أمر مستقبلك ومستقبل ولدك ؟

- نعم . تدبرتهما !

- وما توي ؟ أمومة أم عس ما اقترحت عليك ؟

- نعم . . ولكن بعد أن تكاشمني بـ في نفسك .

- مكاشمتك بكل شيء . ولكن تريثي حتى العد . . فمعه ينصرف

عصيرنا

- ولم العد بالذات ؟

- هذا سري ولا أحب أن أزيدك لأنّني لا ضاحاً بصبري حتى

العد . . هذا كل ما هالك . .

ومضى هب مسرعاً كأنها يحشى أن يزل لسانه في أثناء الحديث
فيجري بي يحزن أن يكتم
سار جازود إلى مطعم قريب تناول طعامه وهو مضطرب شارد
الخواطر

وبد فرج منه عائد لانية إلى انصاع
وبكنه هذه المرة ثم توجه إلى الباب الكبير العدم الذي اعتاد العمال
الدخول منه وإلى سار إلى باب خلفي صغير يعضى إلى مكتب
السيد لأبرو الذي اعتاد أن يحتفظ بمفتاحه .

اقرب من الباب وأخرج من جيبه قطعة من الشمع دسها في
تقب القفل حتى انطبع عليها شكل المفتاح ثم جذبها ودسها في
جيبه وانطلق إلى غرفته مسرعاً وجيبه يتصطب عرقاً
في ذلك الوقت معه كان السيد لا يزر جالساً مع أخيه وهي
تحدث إليه عن ابنه لوميا .

أبأنه أن الطفل أصيب بحمى شديدة ولكن الطبيب صرح لها
اليوم بأن الخطر زال عنه ومن بعد ثمة ما يدعو إلى القلق .

فقال الأب المكين أليخرج القواد :

« وأين هو . . فإني أريد أن أراه ؟ »

« إنه مستغرق في نومه فدعه ولا توقظه . »

وسار الأب إلى غرفه ابنه يحتس الخطى وإذا به ينام هادئاً
سري عنه ورجع إلى أخته فراححت تروي له بإسهام تفاصيل
المرض الذي حل بلوسيا

وقال لها الأب :

« ما دام الخطر قد زال عنه فلا أرى ما يدعو إلى إطالة إقامتي

ها وسأعود غداً إلى معنعي

وبما سأله عن أعماله حدثها بأمر الاختراع الجديد الذي وفق
إليه وقال

« وإني أرجو أن يثني هذا الاختراع باللائين من المركبات »

فابتهجت أخته . . ولكنها قالت بحدو

« ولكن ينبغي أن يبادر إلى إحراجه وتسجيله رسمياً وإلا سيقف
إليه آخرون . »

« إني لا أتوقع شيئاً من هذا القبل ومع ذلك عما من مخترع
إلا استهدف للمنافسة الخطرة ولا سيما إذا انكشف بعض سره
لخصومه فإنهم « يسرقون » الفكرة ويدخلون عندها من التطوير
والتحوير ما يكمل لهم النجاح ولكني أتحذرك خبيثه فإني
أعمل بنفسى ولا يساعطني غير رجلى يدعى جازود أثق به ثقة
عمياء

ورح يتحدثها عن جاك جازود وبوغه وكيف أنه أشركه معه
ليعطيه خمس الأرباح .

فكانت تسأله

« هل أعدتته على سر الاختراع ؟ »

« لم يكن لي ماض من ذلك إذ كان هناك بعض عيوب في
الاختراع سأله أن يتلافى إذ استعصى امرها عليّ

فهرب الأخت كعبيها وقالت

« إنه ما دام الرجل محلاً للثقت فلا فاع بلاستولية في أمره

ولا سيما أنه قاسمك للريح

وبعد بركة عادت تسأله

في صباح اليوم التالي كانت جان شاردة اندعن شارقة في خواطرها تفكر في جارود وتساؤل نفسها عن هذا الاضطراب الذي وراءه وأي سر خفي أقيم يطوي بين جنبيه . حين دخل عليها خادم المنصع يسألها مفتاح غرفة السيد لا يرو يستقها ويكسها فطر الخادم إلى م يدار على وجه جان من امارات الشروود وكافة قد انتهى إليه أن صاحب المنصع أندود بالفرود بأبل عليها يقول

م بك ؟ لريضة أنت ؟

كلا

إذا لم اراك مضطربة ؟

- نيت مضطربة إنك واهم

- وب الذي توس فعد الكا ؟ ألي يتك الإقامة في هذه البلدة ؟

- فساءه قوله وأجابه يحشونة

- لا أعلم

- وهل يوي السيد لا يرو لا يرى ألا يمنحك مكافأة ماله ؟

- نقالب به بالفعال

- إني لست ممن يقبلون الصدقات !

- ومن قال لك إنه سينصدق عليك ! إن تعويض العمال هم

لصلهم أمر مقرر قانوناً ولكن يدوح بي أنك حافلة عليه .

فدعت إليه مفتاح المكتب وقالت بمنظلة

- هاك مفتاح المكتب فانصرف عني

فدوله منها وعادر العرة وهو يقول في نفسه

- وكيف حال تلك الأرملة المسكينة التي تئن زوجها في مصعبك عند انفجار إحدى الآلات ؟

- لقد أقسمها بوبه بمصعب كما تعلمين وبكتي بكرو على فصلها بكى

فقالت الأخت منكرو

- كيف ؟ أطردها وقد مات زوجها في خدمتك ؟

وبكى إبقاءها في هذا العمل مستحيل إنها عاطفية رقيقة الإحساس وقد سمعت اليوم لأحد العمال بمحادثة لمصعب دور بدون خلاص . والنساء في رأيي لا يصلحن لهذا العمل

- كاد يسعي إننا أن تفرد هذا من قبل . وكى م يكون من شأن هذه المسكينة حين تطرده ولا عائل بها أو لولديها ؟

- وهذا م أردت أن أتحدث إليك في شأنه يا أختاه إنك في حاجة إلى امرأة تدبر لك شؤون هذا المنزل فلم لا تتحدثين جان عموماً بك ؟ إنك الآن في حاجة إلى الراحة وليس من الإلصاف وفد بيعت هذه النس أن ترهقي نفسك بالأعمال الصرية إن لها ولداً في الثالثة من العمر يمكن أن يتحده لوسيدك رفيقاً به فإتبعها في من واحدة

فصارت الأخت

- هذا الاقتراح يا أختي يدن على م طمعت عيه نفسك من الخير وإني نسمري أن أقبه نعم . يمكنك أن تبعث إلي بجان فائرها من نفسي مرلة الأخت فمكون لها من دنت بعض العراء عن قدما زوجها المسكين .

- لا ريب عندي في أنها تضر له شراً؟

وراحت جان تثنى غرقتها بعد انصراف الخادم

ثم أتت برجاجات مازغة أفرغت بينها ريت البشرون من لآنية
الخاصة بالصنع وهي تقول في نفسها

- أن التي أشربها هنا البرول عمالي الخاص فمن حمي أن أحمله
معي إلى غرقتي .

وحرق الباب في هذه اللحظة وكان الطارق هو محاسب
المصنع .

دفع الباب ودخل وهو يقول

- أما حذرك مدير من استعمال البشرون؟ ومع ذلك فما أزال أشم
رائحته !

- إنني أزرعه في رجاجات خاصة لأحمله معي إلى غرقتي الجديدة
بعد معادري للمصنع ومع ذلك فممكنك أن تطمئن إلى أنني لن
أحرق المصنع قبل رجوعي

فقال يغاطيها بمظ مكنوم

- طمأني الوجه الوديع بـ شجرة !

وأولاهما ظهوره وانصرف

بعد ظهر ذلك اليوم كان جورج الصغير يذهب جواده الخشبي

وعصبي قهجاً على الجواد فتناول عصاه وانهاك بها حبه غسراً .

وكانت صرباته عيفة فاشق بطن الجواد

يكنى جورج بـوهة ، ثم ما لبث أن سمع دموعه وقد غشي أن
تعدم أمه من فعل فواح يجمع أروافاً من الصحف بحشو بها بطن

الجواد

ثم رجع إلى اللعب كمن لم يأت فنبأ

وهي أثناء ذلك كانت جان واقفة بالقرب من باب المصنع تتربص

خروج جارود

ورائه مقبلاً

افترب منها وقال لها

- هاته الرسالة دوت بها كي ما أبقي أن أكشعك به

تولنها الدهشة وقالت

- وب الذي يدعوك إلى الكلبه ، وهي وسعت أن تصارحتي بما

تشاء ؟

فقال في اقتضاب

تمة أشياء لا يمكن أن يجري بها اللسان وإن كان هياً أن يجري

بها اللسان ! أقرأي هذه الرسالة حين تلودين يعرفين راعلي أن
مستحيلك ومستحيل طفليك وهي بكلمة منة .

ثم انطلق مسرعاً دون أن يريد حرقاً وحناً على ما قال

ومضت جان إلى غرقتها وقد اشتدت بها الدهشة

فضب الرسالة وراحت تقرؤها باهتمام فإذ هذا يصيح .

«حييتي جان

الآن أنت حدثت عن ثروة منتظرة تضم لك وبونيك الهاء

ولكن أستطيع أن أؤكد لك أن ميل هذه الثروة أصبح ممهداً جيوراً

«عداً سأصحب من الأغنياء أو من الأقرب ستكون بين يدي جميع

الأسباب التي تهين لي ثروته لا شبهة فيها كما سيكون بين يدي

خراع جليل المصنع عظيم الزوج سيد عمي منات الألف كما

سيكون بين يدي في القدر ما يقرب من مائتي ألف فرنك .

جان اعلمي أن طفلك سيصيحان ولدي إله هذه الفكرة
وحدها حقيقة بأن لمحمدك على قول القتراسي . .

«في هذا المساء سأكون في انتظارك في الساعة الحادية عشرة عند
جسر شارتون فاحضري وفي رقتك جورج وستون في أحد
الصادق وقدأ مبرح فرب إلى أحد البلاد الأجنبية حيث نصح من
الموسرين لأغنياء؟

اعبادي بلا ندم ذلك المصح الذي قبل فيه روجك والذي
مردك منه صاحبه

«تعالني إلى ذلك الذي يحبك والذي يجعلك أسعد أناء
«إذا لم تحضري فلا أدري إلى أي نوع من الخرافات يدعي
اليس . ولكنك متحضرين .»

٧ أيلول/ سبتمبر سنة ١٨٩٦
جاءك جارود

فرغب جان من ثلاثة الرسائل وأخذتها موجة من الدهش
والاستعراب

أي اختراع هذا الذي يتحدث عنه جاك جارود؟ وكيف وفق إليه
لجأة وما حدثت عنه من قبل؟ وما مناب الألف من الفونيكاب هذه
التي يرغم أنه سيألفها غداً ١٩ من أين نه هذا المال وهو عامل فقير
ليس نه غير مرتبه؟

العلّ لوثة من الجنوب طغت عليه فجمته يتصور الأوهام حقيقة
راسحة* أو لعله أراد أن ينصب لي شركاً وهو يحب أني عاذلة
سادجه؟

ولكن لا . محال أن أنقاد لشرهات هذا الوعد إله لي يلمس مي

إلا الأثرهراء والاحتقار

ومررت الرسالة بين يديها وألقتها على الأرض مخفية
ونظر إليها جورج إلى الورقة اسكورة ثم انقضى عليها فتأربها
ودسها في بطن الجراد المشقوق يحشو الشق بها
وأقبل الليل وأدلهمت السماء

ومضت جان بوجه إلى برامش وأرقدته في عطفه وحنان
ورحب بقي له أنشوفة حنوه بصوب عذب وريق

وإن هي إلا لحظات حتى أزعجت السعء وأمرقت ويدات
العاصفة ترسل مذبذبا الرهسة فحنّاح الأرض بغير رجعة

- ٦ -

في الموعد المضروب كان جارود عند جسر شارتون يشرق قدوم
جان

كانت العاصفة حادثة عاتية ومع ذلك لم يبال بها وإنما انطلق
إلى النهر يلتقي سبون النهر على كتفيه في غير اكتراث
وراح يقول لنفسه .

- نعم - إن العاصفة لن تردنا عن القدوم ! إنني صوف من أنها
ستحضر حتماً في الموعد المضروب . إذ كان لي بينها أن تحضر !
وإذ ذاك امضى بها إلى غرفتي فأدسها هناك برهة مع طفلها وشعاع
أشكر ما بيته عليه العرم

ومضى يتحرك في المكان حنة ودعماً وكلما سمع حركة كلما
حسب أن جان هي القادمة

وطال الانتظار وجان لا يبدو لها أثر وقال في نفسه

تنبأ بها . . . أنيذرت حبي وأنت أن تدعيني ! - مشري أدأ كيف
أنضم منها إلى هذا القلب الذي يضطرم غراماً مستقلب الآن مساجعاً
بالعصب والكراهية

ورجاء طاف بعده خاطر ارتعد له

هذه الرسالة التي كتبها إلى جان يدعوها فيها إلى موافقة
الجسر ألا تحمل رسالته اتهام حصيره ؟ أليس ديبلاً على خريجة
وما يكون من شأنه ؟ أوبرت جان هذه الرسالة ودفعتهما إلى
المحقق ؟

وغرق في غموظه برهة وقد أخلقه غاشية من الخوف

ثم رفع رأسه وقال بشدة

- كلاً - سأدفع المهمة عن نفسي بأن أرجو سمرى أميرة
بن شهراً

على أن الرجاء هي تدومها ما ليث أو عاود - فأقام مكانه
برهة - ولما أدركه المرح سار صوب المصنع وه، يقو عي به
- لأن مات بهب في قلبي واضطربت مكانه البضلة ! والويل
بها ! لقد دامت غرامي بقلبيها وليس لي عدي إلا الانتقام

دخل جازود إلى المصنع من الباب الخلفي الصغير الذي اعتمد
السيد لابرو أن يدخل منه

ولقد رأياه من قبل بأخذ للمصنع ثلثاً من الشمع صغ على
سبعة مفتاحاً استعمله في فتح الباب .

وإذ صار في السماء رأى الضوء يبعث من غرفة جان فعض على
أسنانه وقال في نفسه

إنه الآن تهرأ بي وتعتقد أنني قائم تحت وابل من لطر أترقب

قدومها - ويكنها مشري لأن كعب يكون انتقامي ! ولحب الذي كان
أغنية تتحدث عن هائها قد انقلب الآن نارا فحشاج كل ما في
طريقها !

كانت جان قد أودعت الزجاجات البلى بالبشرون غرة مجاورة
لغرفتها - فمضى إليها جازود بعير تردد وهو يحتسب الخطى

حمل بعض الزجاجات وسار إلى مصبع الجارة نصباً للبشرون
فوق مشاة الخشب

ثم انطلق إلى مكتب صاحب المصنع - معالج الخيانة بما لديه من
أدوات وآلات حتى هتم قعها - (أودع حبيبه ما بيها من أموال
ورسومات خاصة باختراع آلة الصقل ثم صاب البشرون فوق المكتب

ارتد جازود ثابة إلى ورشة الجارة وأخرج من جيبه هوداً من
الكبريت أشعله في المشارة - وإن هي لا تخطأ حتى التهمت
وصارت تشبه بأنون محتأجج البيران .

وبما كانت هذه الحوادث الرهيبة توالى في باريس - كان
السيد لابرو قد غادر القرية راجعاً إلى لندينة العظيمة بعد أن حصل
على صحة ولده

بلغ باريس فحبل منتصف الليل ساعة فساوول حمامه في أحد
المصانع ثم استقل مركبة أمر سائقها بأن يمضي به إلى المصنع

ويلغ السيد لابرو لمصنع حين فرج جازود من إشعاع النار في
ورشة التجارة . . . وارتد إلى مكتب يسير يشعل فيه النار .

رأى العائد المسكين البيران تلتهم مصنعه مجرى راقصاً صوبها
لهشيش لأمر - وحانت منه نغمة مرأى باب مكبه مصوحاً وألقى النار
لم تشتعل عموماً - وأن بدأ آتمة ألتعنشها عمداً . . . قد كان منه لا أن

جری إلى المكتب واقتحم الباب

وأي جازود صاحب المصنع مقبلاً عليه فلم يَرَهُ وهو في هذا
ملوك المخرج أن يتراجع

استلّ إحدى الأدوات التي هبتم بها الخوذة الحديدية الصغيرة
وانقض على السيد لابرر وسدّ إلى قلبه طعنه كانت القاضية
صرخ المظلمون المسكين صرخة هائلة ثم تربع وهوى على الأرض
والدماء تتسجر من صدره

وفي هذه اللحظة كانت جاك قد أقبلت مسرعة على وقع الأقدام
ورأت القاتل وهو يعمد الأداة المعتادة في صدر السيد لابرر
التهمت النار المصنع وتعالى الله وتراءى على البعد فاقبل
رجال المطافئ مسرعين وراحوا يكافحون السرور بجهود صادقة

ولم يخف على جاك سوء موقفها وأبقت أن التهمة ستلصق بها
أنهم يطردونها صاحب المصنع في اليوم السابق ألم يمت زوجها في
مصعد كل هذه دوافع يعتنقها على إضرام النار في المصنع
وريت السرور الذي ابتاعه إنما هو الدليل على ما فعلته على
أنها ما شب أن تهت

- وبكني سألقي التهمة عن نفسي إن الخطاب الذي كتبه إليّ
دليل قاطع على أنه هو الجاني الأليم
وانطلقت تهرى إلى غرفتها لتأني بالرسالة تلك الرسالة التي
ستفقد من هذه التهمة الرهيبة .

وفي الطريق إلى غرفتها تذكرت أنها ألقت بالرسالة إلى الأرض
بعد أن تركها بين يديها حرقاً

ودفع ابنته وألف نظرة عجيبي في أرجاء الغرفة من بعد أن رأ

الرسالة

أدركها أجبرج وهتعت

- رياء . أين الرسالة إذا ؟

وراحت تبحث عنها في كل مكان . تحت المقاعد وتحت
السرير وعبر المائدة

وعينها هي حادة في البحث تنادت إلى سمعها أصوات حادة
تنبئت من سمع صوت الحاسب
سمعته يهون .

لا ريب عني في أن السيدة فورتيه هي التي أشعلت النار في
المصنع فقد سمعتها بأدبي تهتد السيد لابرر وتكرهه
وغاص قلبها في صدرها خوفاً حين سمعت هذه الكلمات
وقالت هي نفسها

- رياء ! إن لم أجد الرسالة تُضي عليّ حقاً
وراحت جهودها في البحث عن الرسالة عثاً
لقد أفلت من بين يديها الدليل الوحيد الذي كان خبيراً بأن
ينقدها من مصيرها المجمع

حسبت أنها جورج وغادرت الغرفة وانطلقت من المصنع هائمه
على وجهها وانصغر المسكين متعلني بعنفه خوفاً وفرها .
ولكنه في غمرة خوفه لم يمس جواده الكرونوي

وأنى بلام المسكينة أن تعلم في تلك اللحظة أن الرسالة المنشودة
في بطر الجراد المشقوق

احتشد القوم حول المصنع انتأجح يظرون إلى الساعة الذهب وهي
تتعالى في الخو رجال المصانع يتسلقون السلالم لكافحوا البيروا

إذا كانت الأبواب لا تزال موصدة

وهب أحد الخاصير .

- أين جاك حارسه الباب؟ وكان جاك جارود بين المحتشدين فابصر يقول

- أين جاك؟ لا ريب عدي أنها هي التي أشعبت السيران! لقد طردها المدير فأقدمت على هذه العملية انتقاماً منه!

ثم أهاب بمن حوله قائلاً

- هيا أيها الأخوان بتل حرائه المدير من السيران

واسطلق يحري صوب المصح وفي أثره بعض المتحمسين .

بعد أن ارتكب جاك جارود جريمة الهائلة وعرف أنه جاني رآه وهو يقتل المدير اطلق هارياً وهو موقن أنه سوف تقتله وتكثف الناس بما فعل

وبكنه ما إن ابتعد عن المصح مئات من الأمتار حتى استرد رباطه حاشه فقال في نفسه

- نعم إنها مسترمي بالتهمة ولكن أي دليل عندهم على صحتها! الرسالة؟

ولكن لا ريب أن النيران قد التهمت الرسالة وأتت عيبها وبعد فإن الناس جميعاً يعرفون أنها ناقصة على المدير وأنها تغيب عرضها ميت السيرول فإذ ما رأوا الرججات المعارضة إلى جانب السيران أيقنوا أنها هي الجانية!

وحين أهاب بالمتحمسين أن يحقوا إلى انتشارال حرائه المدير كان له من وراء ذلك غرض جهمي كان يريد بإبعاد التهمة عنه

انطلق القوم صوب المكتب فرأوا ألقة السيوان تندفع منه بقوة وتصددهم عن الدخول إليه

وقال المحاسب :

- إن الدخول مستحيل!

فهتب جاك جارود

- أم أنا ضاحون! لا بد لي من انتشارال حرائه!

- ولكنك ستعرض لخطر شديد!

- سأكون حريصاً

ووثب إلى داخل المكتب

وإن هي لأعطت حتى ساهى إليهم صوته المتهدج يقول

- هنا جئت!

ثم برر ثانيه من المكتب وهو يعمل حثه السيد لا يرو موضعهم على الأرض وهو يدهن

يا إلهي جئت من هذه؟

فهتب المحاسب

- ربأ! إنها حثة السيد لا يرو!

وانطلق جاك جارود ثانية إلى المكتب

وبعد هبته تعالت من داخل المكتب صرخة دائية . وتناهى إليهم صوته وهو يقول

- أسرعوا إلي! إسي أحتق! أنقدومي . إني أحتق!

ثم نصاهن الصوت وما لبث أن حصد

ووثب بعض الرجال صوب المكتب ولكن اشتداد النيران صدعهم حائلي كما أن الحمار ما لبث أن انهار فسد السيل إلى المكتب

وراح بعضهم يقول بعضهم

- مسكين جاك جارود! لقد ذهب ضحية شهامة!

وعلى رغم اجهود الهائمه المتواصلة التي بذلها رجال المطافئ فقد
أنت السيران على المصنع ولم تبق منه شيئاً باستحال ركاباً وحذراناً
متعددة

وكان الجمهور الغتشد يشهدك في هذه النكة وشهدك من
سرهما . وهذا الحاسب أشد القوم وطأة على السيدة فورتييه إذ كان لا
ينمك بضرب كفاً بكلف ويعون

- تبا لهذه الأثمة ! إنها هي التي أحرق المصنع وكانت سبباً في
مصرع السيد لايرو وجاك جارود !

وهنا فتا منه رئيس الشرطة وقال يسأله :
- من أنت ؟

- إني محاسب المصنع

- لقد فهمت من حديثك أنك تتهم أحداً فمذا تعني ؟

- نعم إني أتهم بوبية المصنع السيدة جان فورتييه
- ألدراك دليل ضدها ؟

- حقاؤها إذ فرارها في هذه المحطة المخرجه هو في ذاته أقوى
دليل على إجرامها ! وإني مؤمن أنها ما اشترت ريت البترول إلا
لتحرق به المصنع

- وما الذي يدعها إلى ارتكاب هذه الجريمة ؟

- حفيدها هي صاحبة المصنع . فقد أئدرها منذ يومين
بالاستماء عن خدماتها

- وأين جثة القتييل الثاني فقد سمعتك تقول إنها فتت رجلين ؟

- القتييل الثاني يا سيدي هو مراقب المصنع السيد بجاك جارود .
لقد انسحق المكتب المتأجج بنقد حرارة المدير معشر على الجثة

وأخرجها إلنا . ثم ارتد إلى المكتب ثانية ولكن السيران أهدقت به
فسمعته يصرخ مستجداً ولكن استحال علينا إنقاذه إذ تهدمت
بعض الجدران

فقال رئيس الشرطة

- حيا - منقل اجثه إلى محروى المركبات فإن المار لم تحتد
إليه وهناك أقوى التحصين اعينني ريشم يحصر القاضي

وأمر من ثم بعض رجاله بنقل الجثة

ثم دعا إليه المحاسب وطرح عليه طائمه من الأسئلة عرف منها أن
السيد لايرو مترس ولك له وبدأ في الثالث من العمر يقيم عند عمته
في الزيف . وأن السيد لايرو ذهب إلى زيارة أخته وولده ولا ريب
أنه عند بعة يلقى حتمه

فقال رئيس الشرطة

- ابعث إذا برفيقه إلى أخب السيد لايرو أتيها في مصرعه

- نعم يا سيدي

وداع رئيس الشرطة يقطع تقريراً تهديداً بسعيه إلى قاضي
التحقيق الذي سيتولى الأمر

- ٧ -

محاسب جان معلها وانطدعت حائمه على وجهها صوب الهر
وكانت تتوسط عن السير خائفه مدعورة وترسل بصرها من حين
إلى آخر ناحية للسيران المتوجهه فيشده وعنها وتشتد رغبة في الابتعاد
عن هذا الأتون المتأجج

وكانت كلما أدركها لإعياء كلما انطرحت على الحشائش تلتهمس

- 63 -

الراحه وضمت طعنها إلى صدرها وراحت تقبّله فيكمش مكبش إلى صدرها كأنه يجد في هذه الغبيلات ما يبرد به لدعات البرد القلوس .

وكانت لا تغفأ تقول لنفسها -

- برى إلى أين أمضي ولم سررت هاربة ! نعم إني أعلم أنهم سيتهموني ! وقد اتعم الدليل الذي كنت أركن إليه لإثبات براءتي . . فسم أجد مخرجاً من الهرب

ودكرت النظرة الوحشية التي رماها بها جالك جارود حين رآته يطعن مدير المصنع وبردّت في سمعها عبارته حين قال بها في سك المحطة

- ستبكت التهمة من كل جانب ولا سبل لك إلى إنكارها !

رباه ! ماذا فعل هذا الأثيم ؟ وما الذي دبر ؟

إنها هي التي ابتاعت السروى من احابوت ومبيجودون الرجائيات العارضة ومارها عقب الحادث والكدمات التي ألقيها إلى السيد لابرو حين قالت له إنك لن تلقى غيراً ! كل هذه التبهات وقرائن تدعقها بالاثم !

واد طاف هذه الخواطر في ذهنها اشتدت إيماناً في الهرب

نشرت الشمس وهي لا تزال مائة على وجهه .

وعسى بعد وأب شرطيين يقودان امرأة مكبته بالأغلال

أدركها اسرع وانزوت خلف بعض الأشجار وهي تقول هي معها

- رباه ! أليكون هذا مصيري ! ألساق إلى السجن كما تساق هذه

امرأة ؟ إني بريئة لم أجد ثلماً ، ومع ذلك أراهم بما افتروا غيري !

وقراري ؟ إنه عمل يطوي على الحماقة ! كان ينبغي أن أبني وأن أصبح بالشرطه : هو ذا القاتل فاقضوا عليه !

والآن ما عساي أصنع ؟ هل أعود ثانية ؟ وهل أستطيع لو أنني عدت أن أنهي التهمة عن نفسي ؟ !

وقطع عليها هذه التضرّرات صوت طفلها وهو يقول - أماء ! إني جائع .

عصر الحزن قلب المسكينة وانهمرت عبراتها وغمعت تقول

- صبراً يا بني ! إذا ما وصلت إلى القرية جئتك بالعطام .

- إني تمب يا أماء لا أقوى على السير !

فحملته من جديد وسارت به وهي ترتجج لشدة إهانتها

وأخيراً لاحت لها مبانئ القرية فأرقدت طفلها على المشب وقالت

- انتظري ها يا جورج حتى أعود إليك بالعطام

- سأنتظرك يا أماء !

- ألا يحلف وحدثك ؟

- كلا . . فون جوددي عمي يدافع عني !

ودخض جواده وأغمض عبيه وما بث أن غرق في النوم

فبعثت عنه أمه رقبها يتضجج .

في غضون ذلك كان قاضي التحقيق قد حضر إلى المصنع وتولى

التحقيق وأمر بتفتيش المصنع تبشاً دقيقاً لمعرفة السبب في اشتعال

اليران

ورجع إليه رجال الشرطة يحملون رجالات وبت البيروك الفارغة

وقال للقاضي يسأل المحاسب .

- أرايت هذه الزجاجات من قبل؟

- نعم - فقد رأيت حذاء فورييه تمزقها يريت البرون

- هل لك أن تذكر لي كلمات الوعيد التي ألقتهما جانا إلى صاحب المصنع؟

- نعم يا سيدي حين أُنذره بالاستعداد عهد قال له - احذر إنك لن تصي حياً! وهنا قول صريح في التهديد يا سيدي القاضي وكان سوكها حباله يفل على العقدة وعلى أن اليغض يتأجج في صدره .

- أعتقد أن الانظام وحده هو السبب في هذه الجريمة؟

- لا شك في ذلك يا سيدي

- أكانت الخزانة فارغة؟

- بل كان فيها ما يقرب من مائتي ألف فرنك .

- أيعلم أحد سواك بذلك؟

- نعم جاك جادود وجان فورييه

وتفرجت أسرار القاضي وأمس أنه يوشك أن يميظ الثام من هذا السر . واستمر المحاسب يقول .

- نعم كان الاثنان يعملان بالأمر ولكن ها هي البرون قد

التهمت جاله للسكير حين حاول أن يشعل الخزانة من النار

وتابع القاضي تحقيقه ثم تحول إلى رئيس الشرطة وقال له -

- صدق ظني إن الانتقام وحده لم يكن هو الدافع إلى

الجريمة . لقد كسرت الخزانة واستولت على المال ثم أشعلت النار

في المصنع إخفاء لمعالم جريمتها - وعند معانقتها المكتب فاجأها

السيد لامرو على غير انتظار فما كان منها إلا أن مستند إلى صدره

هذه المعينة القاتلة!

وقال رئيس الشرطة

- وهل يستطيع امرأة أن تهشم خزانة حديدية؟

فابري المحاسب يقول

- نعم فهي من طراز قديم يسهل كسره بأقل جهد

فعاد رئيس الشرطة يقول .

- وما يدري أن النار لم تلتهم المال؟

فقال المحاسب

- هذا محال يا سيدي فقد كان في الخزانة ثلاثة آلاف فرنك

ذهباً ولو أنها بقيت في النار لانصهرت ولربما دويها

وقال القاضي يسأل محاسب

- أعرفت نوع الأدلة التي قتل بها السيد لامرو؟

- إنها في الغالب مدية كبيرة وقد أصبحت القنب .

- ولكن ما الذي حمل جانا على أن نترود بهذه المدية وهي

نعرف أن صاحب المصنع غائب في الريف؟ إنني أعصت أن لها

شريكاً من أمراء لا يستطيع وحدها أن تترك كل هذه الجرائم

- ربما جاءت بالمدينة لتعلم به الخزانة

- هنا جائز

واستدعى القاضي صاحبة حاليوت البقالة فشهدت بأنها باعت

جنان بروتيه منذ يومين أربعة ثروات من زيت البرون

ثم قصت عليه ما كان من أمر جانا وكيفية أنها هالت لها إنها

تخشى أن تحصل على ألفين أو ثلاثة آلاف من الفرنكات

وبدول قاضي التحقيق في الأمر مع رئيس الشرطة والنهي به

الأمر أخيراً إلى إصدار أمره بالقبض على جان فورييه

إنَّ الشهادة لأصدق بهد ومحال أن تفند أدلته التي أخذتها من كل
مسيحة

- ٨ -

في منتصف الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم بدسه كان القطار
لنصار إلى الهائل يقسم في أحد صالوناته رجالاً تذل هبتته على أنه
من رجال الأعمال الأثرياء
وكان ناشراً أمامه أوراقاً يظر فيها باهتمام وقد استغرقه التفكير
ونمت أساريره من الاختباط

أما هذا الرجل فما كان إلا يطرب جاك جارود وقد تنكر وصيغ
شعره وما كانت الأوراق المنشورة أمامه إلا رسومات الاختراع
الذي سرقه من خزانة السيد لايرو.

والواقع أنه حين اقتحم جارود النيران وانعما أنه ينبغي انشغال
الخزنة بادر بالخروج من باب المكب الخلفي بعد أن أرسل صرخة
استغاثة داوية حين رأى اخطار يهادر حتى يوهم القوم اهتشدلين أن
الجدار سقط فوقه وأنه ذهب طعمة لتلار

تسلل جارود من الباب الخلفي وقد اتخذ من الظلمعات سترأ
وانطلق إلى غرفته ولقوم يطوب أنه ذهب ضحية شهادته وشجاعته
وقد أمضى صحبه النهار مريضاً في العيادة حتى لا يقع عليه بصر
إنسان ولما أمسى المساء التالي تسكن من محنته وسافر إلى الهائل
وتوزن في أحد الفنادق متخلاً اسم يود هرمان

إنه اسم صديق له من العمال كان يشاطره غرفته ثم مول به
للخروج فنقل إلى المستشفى وهناك أدركته نية فما كان من
جاك جارود إلا أن استعطف بأوراقه الشخصية

والآن أصبح في وسعه أن يستعمل هذه الأوراق وأن يتخذها درعاً
يرد بها شهباب الشرطة . وإن لارتاب أحد في أنه بس يود هرمان
أبهر أوراقه الشخصية فتكون الدليل القاطع الذي يقطع كل شبهة أو
روية

حين جاءت جاك فررتيه بالطعام أصابت منه هي وطفلهما
كفايتهما ثم استلقى الاثنان على العشب واستمرقا في النوم
وحين استيقظا كانت أشعة الشمس قد عموت الأرض وانجابت
العاصفة العاتية

ورغم جرج يقول

.. أمه .. إنني جانع .

لضمته إلى صدره وامتلأت عيناها بالعبرات . إذ تصورت
المصير المتجمع الذي يتظر ولدها من عري وتشرذ .
وراحت تقدم إليه الطعام ولحبه من يفسد لأنها كانت تعلم أن
القبل الذي يديها لا يسد جوع اثنين .

وتدبعت الساعات وهما مريضان في العاية إذ رأت من الحكمة أن
لا تدخل القرية في وضح النهار

وحط القليل واشتعلت الظلمة الأرض

وقامت جاك نهر رجليه جراً ونسرع قدميهما من الأرض بجهد
كأنها دق إليها بادسامير . وسارت صوب قرية شعري القرية
ثم اقتربت جاك من منزل كامل القرية الأب فيكس بوجيبه وفي
إعياء شديد رفعت يدها تطرق الباب

وانبثت الخادمة مربعة تظر من الطارق فتحت الباب ونظرت
إلى جاك وهي تحمل جرج والإعياء باد على وجهها

وقالت جان بصوت خافت يذو على الضعف

- أمكنني أن أقضي الليل عندكم

- بكل تأكيد - لحظة واحدة حتى أتي الأب

وبعد حظات جاء الأب بنفسه ليجد جان طريحه على الأرض وقد أدركها الإغماء.

وبدى ابتكاهر أخيه كلاريس ونقلها امرأة المسكينة إلى داخل البيت - وما رآها حتى أقامت وقال الكاهن :

- أعلب علي أن أجرح هو سبب هذا الإغماء

وحمل إليها مع أخته قدراً كافياً من الطعام - ومضى الاثنان يتحدثان إليها برفق وعطف حتى شعرت أنها بين أهلها وفي كتب قلوب يحبوها ويحفظون عليها

وتدوت جان يد الأب فانهالت عليها لثماً وثقيلاً وقالت

- أشكرك يا ابتاه! أشكرك بكل جزائي

- ٩ -

حين انتهى ساء تلك المصاحبة الأليمة إلى أخب السيد لابرو حضرت إلى مدينة الفوريفيل على عجل وقد استولت عليها العشة كانت المسكينة لا تصدق ما رأت أو سمعت؟ كيف؟ منذ أربع وعشرين ساعة كان أحوها في دارها يتحدث إليها سديماً معلقاً ويكاشفها بمشاعره المسعليه وما يوي أن يفعل باحترامه لمصاحبة ثروته

وفجأه تنهد هذه الأحلام يُفلس أحوها ويحرق مصعبه

وبدوب الثروه الهائنه فلا يبقى لها أثر!

وإذ أنساه الحاسب ويكو أن جان هورييه هي لجانيه هتعت المرأة الكريمة القصب المصجوعة

- ما هذا الذي تفعله يا سيد ريكو؟ لم يكن أخي يشد إلا هذه هذه المرأة - وقد سألتني أن أتخذ من سميرة بي فكيف يمكن أن تقدم على هذه الخرائم! هب مستحيل! لا - لا ريب أن القضاء أخطأ... وعندما أخطأ القضاء في أحكامه! **تذكرتك الأدلة ضدها شامعه قويه!**

هبرت كتبها مرة من تذكر هذه الأقوال وقالت

- إن قلبي يحدثني أنها يرثه لم تحب ذناً!

ورج الحاسب يتحدث إلى السيدة برفق عن مركز أحياء لثاني بعد احتراق المصعب - إن المصعب مدين بمئة ألف فرنك ولكن شركات التأمين ستولي دفع هذا الدين من قيمة التأمين - فقلت السيدة برتان

- ما كان لأخي أن يوافق مؤدعة في التصاريح؟

- كلا - فقد شحبها كلها من المصروف قبيل مصرعه وأودعها خزانته إذ كان في مسه أن يشتري آلات جديدة لتتعبد اختراجه لأخبر

- وأين هذا المال؟

وروي لها ما كان من سرقة هذا المال

فقلت الأخت الشكسى -

- إذا فلم يبق لأبي أخي شيء من المال؟

- نعم - هذا لأرض التي كان المصعب مقدماً بوقها ولكن من

قالت السيدة برتان :

- إن لومين سبعم في كمي يحسنولي الإتفاق عليه وأجعل من رجلاً يحبي ذكرى أبيه

بعد أن وري السيد لبرو معره الأخير ساقوت أخته برتان إلى باريس لقللة قاضي التحقيق .

استهل القاضي حديثه معها بأن أبدى أسفه للشكبة التي نزلت بها ووعدها بالاعتصاص من القطة فتنهدت بأسى وقالت :

- وما بجدسي القصاص ؟ ليس في ذلك ما يعيد إلي أخي الكبير

- هذا صحيح بكل أسف ولكن يسعي ألا يدعب دمه هذراً ؟
وقالت السيدة برتان :

- ولكن هل أنت موفق يا سيدي من أن جاد مورتييه هي القاتلة ؟
ليس لدي شك في هذا يا سيدي

- ولكن كيف يمكن لامرأة أن تقدم على اقتراف هذه الجرائم كلها ؟

- إنه احد يا سيدي بحث العوة والجراة في أضيق النساء

- وعلام الحقد وقد كان أخي شديد الاهتمام بمقتل هذه المرأة ؟

- يلوح لي أنك تجهين أنه أخذها بالطرد منذ يومين

- لا أجهل ذلك يا سيدي ولكني أعرف في الوقت ذاته أنه

كان شديد الاهتمام بأمره وقد سألني أن أخدها رقيقة لي

وأنيحها عني وبنت ذلك فعلاً وهو ما كان يوي طردها

فعلاً وإنما أراد إقصاءها عن حمل يعتقد أنها لا تصح له .

فقال القاضي

- ولكن أكانت جان تعرف بما يوي أعرك من أجهها ؟

- لا أعلم ذلك .

- إذا فلا شبهة في أنها كانت حاقدة عيه وليس لدي ذرة من الرية في أنها هي اجانة ومع ذلك ما ي دليل أقوى من قرارها عقب الحادث ؟

فهزت السيدة برتان رأسها وقالت :

- لا شك أن قرارها خديق أن يشير الشبهات ؟ ولكن ما يدريك أنها هربت رعباً وقزحاً ؟

- وما الذي يعررها إن كانت بريئة ؟ ثم إن شراء ريت البرول هو في ذاته دليل لا يعرض على اقترافها هذه الجريمة .

فسكتت السيدة برتان هيهة لم قالت :

- إذا فالتهمة ثالثة عليها ؟

- كل الثبوت

- ألم يتطرق الشك إلى ذهني في شأن سورها من المحال في

المصع ؟

فرمما القاضي بنظرة فحصة وقال

- سيدي إن هذا الإخاح في بيع التهمة عن جاد مورتييه لا يمكن أن يلقي عسواً لا ريب أنه قامت في بك شكوك ضد

سورها بأنصحي إذا وكشعبي بكل هواجك

- أصبت يا سيدي عندما راري أخي بالأسر أنبائي أنه في

سبيل اختراع آلة جديدة لنصقل يدو عليه الملايين فهو من

استبعد أن تكون هذه الجريمة الزوجة قد ارتكبت ابتغاء سرقة هذا الاختراع؟

- وهل أطلع أحبك أحداً على سر اختراعه؟

- نعم - أطلع أحد مراقبي المصنع - وسأله لعمري في منزل الاختراع ووعده بأن يبعده خمس الأرباح

- إذا فأنت تتهمين هذا المراقب بأنه هو المخترع؟

- هذا رأيي يا سيدي

- إنه رأي له وجهته على أية حال - ويغني أن يؤخذ بالاعتبار ولكن من هو هذا المراقب؟

- إنه يدعى جاك جارود

مهر القاضي رأسه وقال

جاك جارود؟ إذا فقد انهارت شكوكك يا سيدي

- ولم؟

- لأن جاك جارود كان مثالا لنسجاعة والشهامة - فقد التهمت البرهان حين اتضح لها محاولاً أن يتشغل حرارة أخيه

- حقاً - ما كنت أعلم ذلك - إلي أسفة إذ جرى لساني بانتهامه

وبعد حديث قصير انصرف السيدة برتان بعد أن أكدت لها قاضي التحقيق أن دم أخيها لن يذهب هدرًا

- ١٠ -

لقيت جاك مورتييه في بيت الأب لوجيبه من المصنع ما يبدو من أحزانها - أصابت طعماً شهباً - وراحه بعد إعياء - وموماً

بعد أرق - - وأما لطيفها -

وفي قاعة الاستقبال حمى الأب لوجيبه يتحدث في شأنها إلى أخيه كلاريس وإلى صديق له من المصورين السابقين يدعى إتيان كلانت

قال لأب إنه عزم من هذه المكونة أنه قادمة من المصورين وتلكها لم تذكر له سبب هجرتها - - وقال معقلاً

- ولا ريب عدي أن العاقبة هي التي دفعتها إلى الرحيل - فإن هيئتها سم من سلامة الطوبى - وفي نيتي أن أجد لها عملاً أو أن أزودها بقدر من المال -

وفيما كانوا في هذا الحديث إذ أقبل ساعي البريد يحمل الصحف

بشر الأب إحدى الصحف وراح يقرأ - وعلمت عيناها عرونا ياروراً عن حريق المصنع -

وما إن قرأ فيه سطوراً حتى هب

- وباه - ما معنى هذا؟!

فالتفت إليه أخيه والمصور يسألانه الأمر - فروى لهما ما كان من حريق المصنع وقتل صاحبه واتهامهم من تدعى جان مورتييه بهذه الجريمة وكيف أنها برأت هاربة عقب الحادث مع طفلها جورج

دهش القوم لذلك دهشاً شديداً - إن أوصاف الجانية تطبق تمام الانطباف على هذه المرأة التي لا زالت بهم - وابها يدعى جورج كابن هذه المرأة -

وما عاد لديهم أدنى شك في أن هذه المرأة هي تلك المجرمة التي تطبقها الشرطة على كثر مكان

قال المصور

هذا عجيب .. فإن لها وجه شريفة طاهرة !
وقال الكاهن ،

- مهلاً إنها هي كذا وبعائنا الآن فليس من الديانة أن يبدد
إلى اتهامها قبل أن نتيقن حقيقة أمرها .. وسأحدث إليها برهة
فماست أخته

وما الذي سوي أن تفعله إذا كانت هي الصخرة المشردة ؟
سأزودها بعدد من المال ولأسألهما الرحيل فها كتب لأشي بامرأة
لأدت يسقف مني وطلبت حمايتي ! ..

حين استبظت جان من نومها دخل عليها الأب لوجيه مع أخته
والمصور فشكرته على ما لقيت من عطفه وحمايته .. فقال لها

- وهل صار في وسعك مواصلة سفرنا الآن يا ابنتي ؟

فصرخ وجهها احمراراً وعظمت من بصرها وقالت :

احتق يا سيدي أنني ما مضت هذه القرية إلا وهي بيتي أن أقيم
فيها .. وقد كتب على وشك أن أرجوك أن تجد لي عملاً أعوز به
طعني !

- ألك طفلان إذا ؟

- طفله تدع العام أقمتها عند مريض في الريف .. وجورج هذا

- وأين زوجك ؟

- لقد مات

- ولكن كيف أحمس لك عملاً في هذه القرية قبل أن أعرف
اسمك وقبل أن أطلع على أوراقت الشخصية ؟

سرت الرعدة في أوصال انسيكية .. صدق الأب لوجيه .. بس

في وسعها أن تكتم أمرها طويلاً

وقطن الأب إلى ما عراها من اضطراب وقال يسألها

- ما اسمك يا ابنتي ؟

- جان

- وما لقبك ؟

فوريه

فقال الأب على عجل :

- إذا غابت فاقدة من الفورتميل ؟

رفعت جان بصرها إلى الأب بنظرة مبهمة بالدهر وقالت -

- بأنت عالم بكل شيء إذا ؟

- نعم .. إني أعلم أنها انسيكية أن الشرطة تطبت في كل
مكان ..

- راية تهمة يوجهون إلي ؟

- إحراق المصح وقتل صاحبه !

وهبت بصرخة حاوية

- أشهد الله على أنني بريئة لم أجن ذنباً ! أقسم يا بني هذا الذي لا

أحب سواء في العالم أنني لم أرتكب هذه الجريمة

وكانت ليرات صوتها متهدجة .. حاملة بالصدى

وبانت الكاهن وأخته والمصور نظرات تدل على مرط ما نالهم من

تأثر

وقال الكاهن مترسلاً

ولم هربت إذا ما جئت بريئة ؟

لم هربت؟ نعم . لم هربت؟ هذا هو السؤال الذي لا اكاد
أعلم به جواباً! كانت ظريب والشبهات تكسفي من كل جانب
وكان لديّ دليل قاطع على برائتي . وحين تفقدته ولم أجده طمى
عليّ اليأس فانطدقت هاربة

- وأين ذهب هذا الدليل؟

- لا أدري . . وإن لم يكن لديّ شك الآن في أن السار النهمته
علماً اشتعلت في عروفي

ساد الصمت برهة . . ثم قال الكاهن :

- هل لك يا ابنتي أن تروي لي قصتك كلها؟

وراحت جاك تحذّته بكل ما كان من أمرها . مد مات زوجها
حين انفجرت الآلة فقتلته . إلى أن قرّت هاربة عقب الحريق حين
رأب جاك جارود يقتل صاحب المصح

ولا مرحت من قصتها قال لأب لوجيه

- قصة عجيبة . ولكنني أصدقك . . إنني أعدم أنك لا تكذبين

ولكن الشيء الذي أعينني فهمه هو موت جاك جارود

فقلت جاك في دهش :

- وهل مات جاك جارود؟

- نعم . . فقد جاء في الصحف أن

دروى لها ما قرأ

فهمت حان

- هذه حادثة يا سيدي! جاك جارود يعدم على هذا المصل

للتظوي على الشهامة؟! إي أعرفه يا سيدي . إنه أشدّ الأندال حنة
وجاهة!

- ولكن الشرطة تحققت من موته!

- تحققت من موته . . ويلاه! إذا موته هالكة! إذا كان قد مات

فلا سبيل إلى إثبات . . بي ألفد كب أرجو أن تحميه للمو جهة على

الإقرار بما فعل!

فقال الأب -

إني موقن من برائتك يا ابنتي وإن كان فردك قد أثبت البهمة

عديت . وأرى أن تمضي إلى الشرحة فتسفي بمسك وعناولي أن

تثبني برءتك . فقد يكون هذا أجدي حيث لأنك من تستطيعي أن

نظري حرة طبقه طويلاً

- وما يكون من شأن ولدي يا أباه إذا ما ألقبت في السجن؟!

إني لا أعتق فراقه!

هذا ما لا معرفه يا ابني . لا بد من هذا العراق عاجلاً لم

أجلاً!

واتهمرت العبرات من عينيها وراحت تقول .

- ويلاه . . تمضي عليّ بأن لا أرى ابني . . وابني التي عند

المرضع في الريف؟!

فقال لها الأب يسري عنها

- وبكتك ستثني برءتك وتعودين إلى واديت!

ولفس صغيرها جورج حين رآها بكى وألقى يده بين درعها

وهو يقول :

- لم تيكين يا أماه!؟ دعيني أقبلك!

شدت ذراعها حول يده الصغير وعصر آخرن قلبها وقنوت

أولئك الذين شهدوا هذا الموقف

وفي هذه اللحظة قرع الباب .

دعرت جان سراً سمعت القرع والذغط الذي يصحبه . وهتفت
يجرح .

- وياه ! لقد جاءوا ! لقد اعتدوا إلى مكاني !

وضعت يدها إلى صدرها كأن تشد منه أن يحبسها وأن يرد
عنها القادمين !

فتح الباب ودخل العمدة يصحبه نفر من رجال الشرطة

تقدم من الكاهن وحياء واحترام واعتذر إليه عن تهجمه وقال

- أنا قادم باسم القانون يا سيدي الأب

- أعلم ذلك - لاعتقال امرأة تدعى جان غورييه !

- هو ذلك يا سيدي الأب - إنها متهمّة بالإحراق والقتل والسرقة !

فتقدّمت جان خطوة نحو العمدة وصاحت :

- هذا كذب ! إني بريئة !

فقال لها العمدة

- أنت جان غورييه بوابة مصنع لأبرو؟

نعم

- فلإني أقبض عليك باسم القانون إذا .

بهذه صوته واشتد بها اليأس وصاحت :

- انفضوا علي ! واحكموا بالإعدام إن شئتم ! ولكن هذا السب

معناه أنني اجانيه ! إن أحكمكم من تهدم براءتي أو تشوّهت إن
دعك شهيد علي برائتي .

اقترب منها أحد الجود وهم بأن يضع للعيد الحديدي في يديها
عارلدت مدحورة إلى اللوراء وهتفت

كلّاً لا تقبّديني !

فقال لها الكاهن

- امثلي يا لتي . . فما تجدك المقاومة !

ومدت يديها إلى القيد .

ويكسى طفلها ! راح يشج ويحول . وينظر إلى أمه من خلال

عيّين ملائحتها العبرات

وحين صار بها الجند تغلق بثوبها وهو يقول .

- أماء . لا تدعيني ! إني خائف ! لا تدعيني !

فقال

- لا سك يا بي - يكتك أن تأتي ممي !

فقال رئيس الشرطة

- كلّاً هذا محظور

فاشتد ياسها وصاحت :

- ماذا ؟ أتباعون يسي ويين ولدي ؟

- إنك متدهين إلى السجر - أما أبك فسيرسل إلى الملجأ !

شحب وجهها حين سمعت هذه الكلمات وصاحت :

- الملجأ ! أبي يودع في الملجأ ! محال ! الملجأ !

وتحوّلت إلى الكاهن - بطل إليه يده بتوسل وخراعه

وصاحت

- أبي ! لهم سيرعون مي اسي ويودعونه الملجأ - سألتك بالله

أن تفهمهم أن من اهل أن تعارق أم طفلها !

فقال الكاهن

- ادعني يا انثي والمقاومة غير مجدنة ولكن انك لن يرسل
إلى اندسجا! سأبقيه عدي وأتولى أمره حتى تثبتى براءتك وتعودنى
إليه! أما إذا حكم عليك بالسجن قسبطل جورج في رعايتي
ومحال لك أنطلى عته اعطيتى يا انثي!
وجدت منها كلاريس أخت الكاهن وقال
- ثقي يا أخوتاه أن انك سيجد في أمّا ريثت تعود إليه أمه
الحقيقية

واتحدت العبرات من عيني جان وهنتت -
- ريكاه! أنفسي صلي بأن لا أرى ابي!؟ أي قلب يمكنه أن يحسن
هذه الكبة؟! لا أبالي بانتهامات نهال علي ولا أبالي بالسجن
اللقى في ظلماته أما أن يفرق بيني وبين ولدي...!
وكان الموقف أليماً معجماً لم يكن قلبه وحده هو الذي
يشطر وني نفطرت معها قلوب جميع الاخافيس . وحتى أفراد
الشرطة سم يمتك بعضهم أن درف الدموع!
وحشت كلاريس للطفل وكان لا يزال يركي وقال له الكاهن
إن أمك مسافرة يا بني وستعود عاجلاً ونفثك بعجه جميلة
- وهل أبقى هـ؟

- نعم يا بني . وسلاصك كثيراً
- إذا كانت أمي تريد أن أبقى هن فسأبقى!
فقلت جان وقدها يتوجع
- نعم . ابق هنا يا بني!
- على شرط أن تعودني عاجلاً
- نعم . . سأعود عاجلاً

ثم تحوشت إلى أخت الكاهن وقلت لها
- خديبه يا سيدتي . اجعليه كأنه ولدك! أحببه . وذكريه دائماً
بألمه وعلميه أن يحبني قولي له إنها بريئة لم نكن دبا!
ثم صمتت وبعدها إلى صدرها وانجحت عيه بالقبيلات وهنتت
- بي! إن أمك تغارقت قهراً صها لو أن الأمر كان بيدها
نظمت أدء الليل وأطراف النهار تصمكت إلى صدرها وتعمرك
بالبيلات إني أحبك فلا تنسي! لا تنسي!
ثم أركته ظهرها واسطقت مسرعة قبل أن تحوينا قراها
وهي ركن من الغاء كان المصور يثيب والعدا يتأمل هذا المشهد في
سكون

ولما انصرف القوم التحت إلى الكاهن وقال
- سأجعل من هذا المشهد لوحة خالدة
وأخرج معركته ورسوم عيه خطوطاً ودق بعض المدكرات
مشت جان عورتيه أمام نقاشي التحقيق فقال لها
- ولأن سم تحبب من هذه النهضة الثلاثية المرححة إليك?
- ليس لسري إلا جواب واحد . . هو أنني بريئة .
- ولم قررت حلوة إذا ما تمت بريئة؟!
فلادت بالصمت وسم تحب
فعدا يقول

- تكلمي ما بالك لا تحبب?
- وما اعدوى وأنت لن تصدق حروماً ما أتول?
- هذا لأنك تكدين!
- إي لا اعطى بغير الحقيقة ولكن الأدله كسها بلويد الشهمة

- أتكرهين إذا أنت قتلت صاحب المصح ؟

- بلا ريب

- وهل تنكرين أنك كنت حاقلة عليه ؟

- طبعاً . . إذ ما الذي يدعوني إلى الحقده عليه ؟

- لقد طردك من مصنعه .

- إنه لم يطردني يا سيدي . لقد وعدني بأن يجد لي عملاً آخر

حين أدرك أنني لا أصلح خراطة الباب .

- وهل تنكرين أنك أنت التي أحرقت المصح ؟

- كل الإنكار .

- وما دليلك على براءتك ؟

- لا دليل لدي .

- ولكن الأداة قائمة تثبت أنك أنت الجانية أما اشتريه من

بيت البرول قدرأ كثيراً في يومين متتاليين ؟

- هذا صحيح

وقد وجدت الزجاجات مارة في ورشة الجارة وفي المكتب

- إنها إنفا مكيدة دبرت للإيقاع بي !

- وقد كسرت الخزانة وسرق ما فيها من أموال فلما فجاك

السيد لا برو لم تردددي في قتله

فقلت بإصرار :

- أنا لم أحرق . . ولم أسرق . . ولم أقتل !

فصاحك قاضي التحقيق هارثاً وقال

- وبأية حجة تلتجئين إقناعي ؟ اتعيني غراً سافجاً ؟

- كنت أتوقع منك هذا من قبل يا سيدي ! نعم . . إنني أعلم أنك

من تؤمن بما أقول .

- ووعيدك بسيد لا برو . أتكرهين أنك توعدته قبل الحادث بأن

قلت له إنك لن تلقى خيراً بعد مرقدي ؟

- نعم قلب له هذا . وسكبي لم أكن أرمي إلى الوعيد

فعدت أن أقول إن اضطهاد أرملة مسكينة مثلي لا يمكن أن يكون

لدبر حير . إنها كلمات عادية يجري بها اللسان دائماً دون أن تحمل

معنى الوعيد

- ولكنك كنت تعلمين أن هي خرائته مالا إذ كنت حاضرة عندما

حدثه لمحاب

- هذا صحيح يا سيدي . ولكن لما يعلم الإنسان بوجود ملك إلا

أقدم على سرقة ؟

فقال القاضي وهو ينظر إليها يتحكم

- وفراولك ؟ إنه وحده دليل قاطع على إجرامك !

- بل دليل على صحتي . فقد أزعني ما سمعت من القاتل

- ويحك . . أتريدن أن تقولني إنك تعرقين القاتل ؟

- بل رأيته وهو يسلم للطلعة للقاتلة إلى السيد لا برو .

- ومن يكون هذا القاتل ؟

- جاك جارود مراقب المصح ؟

فقهقه القاضي ضاحكاً وقال

- أما كان في رسلك أن تنتهي رجلاً آخر ؟ أم وجدت غير ذلك

الذي مات شهيد مروحته وشهيدته ؟

لقد بلغني أنه مات
إذاً كيف خطر بك أن تهيم به بعد ذلك؟
- لأن تلك هي الحقيقة
- وما برهانك عليها؟
- كان لدي برهان فاطع
- وياي هو؟

التهمت النيران قبة التهمة ،
فضحك هارثاً مرة أخرى وقال
- عجباً لك أنيسين مي أن أصلق كل حرف يجري به
لسانك إذا سألتك البرهان وأندبل هجرت وعصرت؟
- هل لك يا سيدي القاضي أن تسمع حكايتي كلها؟
- نكلي

عراحت بروي له قصتها كما رويها لكاهن من قبل
ولكن إذ كانت جاد قد نليت من الكاهن يوماً وتصديقاً فم
نليت من قاضي التحقيق إلا إنكاراً وسفورة
وحين فرغت من قصتها قال لها ،

- ينبغي أن أشهد بأن لك خيالاً خصباً واقعاً
ومع ذلك نقصت منقمة تهدم نفسها بتعها تقويين إذ جاد
جارود بعث إليك بكتاب فيه اللبس القاطع على برءك فما كان
مسير هذا الكتاب؟ ألقيت على الأرض فهل هذا ما يفعله المرء
برسالة لها هذه المظورة؟

وتقوين إذ السيد لا يرو كان شديد العطف عليك وإنك كتب غير
حقيقه عليه ومع هذا لم يحاولي أن تحدي يدأ إلى إعادته وأنت

تريين القاتل يسدّد إليه الطعنة الممسة؟

ثم إنك اخترت لتوجيه اتهامك رجلاً ميتاً حتى لا يفض كلمة بما
تقولين؟

كلا يا سيدي إن هذه القصة الملفقة وإن بلغت من الحبكة
والإتقان حداً عظيماً إلا أنها لا يمكن أن تقتضي
فهمت المكينة بياض :

- لا دليل لدي على براءتي .. ولكني أقومل إليك أن تؤمن بأنني
لا أتعق إلا بالحققة
فقال لها القاضي

- ألا تترى أنه يحسن بك أنه تقري بالحقيقة بدلاً من هذه
المداورات والمساورات التي لن تمضي بعيداً والتي قد تريد مركزك
سراً وجرماً؟

- ولكنها الحقيقة هي تلك التي أكاشمت بها يا سيدي
فأدركته السامة وقال

- إذا فأنت ما زلت متشبته بالإكثار ! هذا شأنك
ودق الجرس وأمر بوصولها إلى السجن .

بعد أيام مثلت بجان فورتييه أمام المحكمة

كانت الأدلة هامقة براحم بعضها بعضاً ، أما المسكينه فلم يكن
لديها دليل يمي وحده وكانت قصتها هي رأي الجمهور والقضاة
أشبه برواية حائلة أوحى بها خيال حسب

وأخيراً حلت المحطة الزهيدة وعطى للقاضي بالحكم

السجن المؤبد؟

وأطقت المسكينه صرخة داوية وبربحت معصى عنها

صرخة أودعتها أحرانها الساحقة أودعتها حبها الراسخ بذلك
الصغير الذي حبل بينها وبينه . . مدى الحياة

- ١١ -

كانت الباخرة بوردمير مشى البحار صوب البلاد الأميركية وعنى
منتهى جاك جارود . . وقد اتخذ لنفسه اسم بول هرمان
وجاء أحد ضباط الباخرة عقيب إقلاعها وراح يهدي بأسماء ركاب
الدرجة الأولى ويدفع إلى كل واحد أوراقه الشخصية
وكان جارود مستأ إلى المهاجر مرسلاً البصر إلى البحر وهو
يعصل بينه وبين تلك البلاد التي ارتكب بها جريمة القتل
على أنه كان من حين إلى آخر يحتسب النظر إلى كهل نذل سمته
على أنه أميركي الحسنة . . وكانت يرفعه ابنته الحسنة ،
ويطلق الضابط باسم بيومي مورتيمر والأستاذ مورتيمر قلبى الكهل
رأبته النداء ثم دفع إليهما أوراقهما .

وأخيراً نطق باسم جاك جارود ودفع إليه الأوراق .

وكان بين ركاب الدرجة الثانية شاب يرهف ركاب الدرجة الأولى
بعضه ودرن قصد معين . . وكان يدعى أوليفر سوليفر .
ولكن حين سمع اسم بول هرمان سرت في أوصاله رجفة وقال
في نفسه

- عجباً ! بول هرمان ابن خالي ! لقد حبته ميتاً فإذا هو حي
برق !

وأرسل بصره إلى جاك جارود في نظرة فاحصة ثم قال في
منه

- هد عجيب ! إنى لم أر ابن خالي إلا مرتين ومع ذلك فلا
أرى بينه وبين هذا الرجل لا شبيهاً عتيلاً ! ولكن ما يدري أنها
رجلان مختلفان وإن كانا يحملان اسماً واحداً ؟

تروى أوليفر سوليفر في الأمر برهة ثم قال في سره

- لا بد لي أن أكتب لمر هد الرجل ! هو حقاً ابن خالي ! ولكن
كيف السبل إلى الاتصال به وركاب الدرجة الثانية محظور عليهم أن
يصعدوا إلى جناح الدرجة الأولى ؟

فلأبحث إليه إذا برسالة أدعوه فيها إلى مقابلي .

وفجأة مقصودته وصعد إلى متن السفينة ووقف على كنب من
حاجز الدرجة الأولى

واتفق في هذه اللحظة أن أكتب الأميركي بيومي مورسي فأنشأ
إليه أوليفر وقال

- سيدي أسمع بأن تسدي إليّ خطمة ؟

بكل أرياح

- إن بين ركاب الدرجة الأولى ابن خال لي كنت بحسبه ميتاً

فهل لك أن تدعوه إلى مقابلي إذ محظور علينا نحن كلاب الدرجة
الثانية أن نتقل إلى الجناح الخاص بكم ؟

- بكل أرياح . . وما اسم ابن خالك هذا ؟

- بول هرمان . . أنا أنا فأدعى أوليفر سوليفر .

- حسناً . . سأدعوه إليك إذا

ومضى الأميركي إلى مكتب الإدارة وعهد إلى أحد الخدم بأن
يجعل الرسالة إلى من يدعى بول هرمان

ولمّا أفضى الخادم إلى حاك جارود بالرسالة التي جاء يحملها
امتدح وجهه وقال :

- ولكني لا أهرق أحدا بهذا الاسم ؟

- إنه من أهالي ديجور يا سيدي وهو يقول إنه ابن حالك
وكان يحبك مينا

فهذه جاك جارود

- آه ابن عمي أوليف سوبير هنا إني ذاهب إليه

ومضى إلى غرفته مسرعاً فراجع أوراق تحقيق شخصية الخاصة
بيول هرمان لتبين ما فيها من أسماء والألقاب وأيهما أن يول
هرمان يحدد من أسرة سوبير حقاً

ثم راح يقول في نفسه

- وما عسائي أنه أفعل الآن؟ إذا تخلف عن لغائه هرب أثرب
شبهاته وإذا ذهب فقد يتبين أني مدع كاذب ومع ذلك فمن
خير أن أذهب

فقد كانت لجواراة الشادة فاعبية على ما قد يهجر بنفسه من
وساوس

ومضى إليه بغير تردد

قدّم قل من الرجس نفسه إلى صاحبه وذكر اسم أسرته التي
ينسب إليها - فهذه أوليف

- إذا فأنت ابن خالي! لقد كنا نحسبك مينا!

- وكيف جاءكم هذا النبا؟

- هذا ما جرت به الألسن في بلدنا منذ خمسة أعوام هبط
ديجور أحد الصقال قادمًا من باريس وأنبأ أنك مت في
مستشفى فسجنها الصدمة وأصيبت بحصى شديدة ما يثبت أن
فرض عليها وهي غمره هذه الكبة ثم يحظر لأحد أن يتصل

بالمستشفى يتبين الحقيقة ولا ريب أنك عدت بموتها -

- نعم - لقد يلحني البيا فحزرت لذلك حزناً شديداً

- وطبعاً سافرت إلى ديجور وأصبت الإرث الذي خلفته لك
- طبعاً

- أما أن قلم أصب شيئاً

- إذا فقد عدت أبوا؟

- نعم عند عامين لقد اندثرت أسرتنا قدم بعد باقاً من أسرة
سوليفر سواي ومن أسرة هرمان سواك

ثم يتنصم وقال مسترسلاً

- إنا لم نلق منذ ستة أعوام - ولو لم تذكر اسمك أمامي لما
عرفتك ولكن حبري! أتذكر اجتماعنا الأخير في مرسيليا؟ إنك لم
تكن في ذلك العهد ثرياً! فمن أين لك ما أرى عليك من مظهر
الثراء؟

- إني لست ثرياً ولكني لست فقيراً لقد وفقت إلى اختراع
درّ عليّ بعض المال -

فهو أوليف سوبير رأسه وقال

- لا بدعشي أن تكون محترعاً فقد كنت أبحث في مدرستي
سلكون والموون والصنائع

فهذه جاك جارود وقال

- الحق أن أيام الدراسة كانت أياماً لا تنسى ولكن بم تشتغل
الآن؟

- بمهنتي نفسها

- وما هي مهنتك؟

نقال أوليد باستعرا

- عجبا! أأنت أني ميكانيكي؟

فاستدرك جاك وقد علم أن لسانه قد رل وقال:

- لم أكن طبعاً ولكن ذهني شمره قديلاً وإلى أي يحد
تقصده؟

- نيويورك

- وهل تظن أن من السهل أن يجدك عملاً فيها؟

- من بعد وجدت فعلاً سأعمل ميكانيكياً في مصانع أميركي

يدعى بيومي مورتيير

- أتعرفه إذا؟

- بالظن إنه ذلك الأميركي الكهل الذي رأيتك تنظر إلى ابنته

بافتتان... والحق أنها أجمل من بيريت

- ومن تكون بيريت هذه؟

وبدت الدهشة على وجه أوليد وقال:

- عجبا! كيف سميت بيريت؟ تلك العتاة التي فتنتك حياً

حيماً مضى!

وللمرة الثانية عرف جاك أنه ارتكب حقوة أخرى!

وقال جاك مستدركاً

- لقد سميتك لظن العهد بها

ولكن مع الاعتذار لم يخلع أوليد وقال في نفسه

- عجبا! من الذي دعاه؟ لقد سميت أني ميكانيكي وسي

أترأه الي أحبها والمر لا يس حبيبك بمثل هذه السهولة؟

وعند حاك إلى تعبير مجرى الحديث على عجل فقال

- إذا فستعمل في مصانع بيومي مورتيير؟

- نعم وتعاقدت مع وكيله لمدة ثلاثة أعوام ومورتيير هذا من

كبار المخترعين وقد اخترع عند عهد هوب آلة تعمل ستحدث
عند ظهورها انقلاباً في عالم الصناعة

أرعد جاك جوارره وشعبه لونه آلة تفصل؟ أترأها سيكون

قاصبه على تلك الآلة التي من أجل أن يسرق رسومها ارتكبت ثلاث

جرائم رهينة؟

وقال أوليد سوليفر مترسلاً

- ويعلمهم خبرتي في هذا النوع من الآلات اتفقوا معي على

عمالة فرنك أجراً شهرياً

- من لك أن نصف بي هذا المخترع الحديد الذي يؤمل مورتيير

أن يهر به الأسواق؟

فراح أوليد سوليفر يحدث قلبه حاله عن التغيرات التي

أدخلها مورتيير على آلة الفصل المعروفة

وكان حاك في خلال ذلك قد خلج قلبه وراح يحس جيبه الذي

تصب عرفاً

وكانت المصيبة التي صعب بها جاك شعره قد بدأت تزول لمضي

خمسة أيام عليها فغطس أوليد إلى ما بين شعر ابن خاله وشعر

هذا الشاب المائل أمامه من حنالك وقال في نفسه

- عهدي يشعر ابن خالي بول أسود فاحم... آه هذا فاشعره

مصبوغ بالسواد!

ولم يعد يحتاجه أي شك في أن هذا الرجل مدع لشعر اسم بول

هرمان

وسم يخضع على جاك جارود أن أوليد يرتاب في أمره وقال في نفسه

- الذين لم يذأ! هذا الشكوك إذ تحركت سم تكس، لا إذا سمع مرة اليقين

وتصافح الرجلان وانصرف كل إلى شأنه

في رايوه مرحلة من السيرة وقف أوليد سويهر يشير الأمر إنه الآن صوم من أن هذا الرجل دمي أفاق، ولكن ما غايته من انتحال اسم بول هرماد؟ وما كان ابن خذنه غياً وما يرجى خير من استعاره اسمه؟

وتسمى لو أنه من بالدرجة الأولى حتى يسهل عليه مراقبة هذا الدعي ولكن من أين له المال الذي يمكنه من الانتقال إلى إحدى غرف الدرجة الأولى؟

وفيما كانت هذه الخرافات تمر ذهنه حانت منه بمتة مرأى رجلاً في الخدمة والستين يصعد إلى متن السبعة وهو يحمل كعباً من الجلد مشدوداً إلى وسطه ..

قال أوليد في نفسه

- في هذا الكبس ستون ألفاً من الفريكات من الأوراق النقدية لقد رأيت بهنسي يحصيه ألا لسي أستطيع أن أسرقها لأنتقل فوراً إلى جناح الدرجة الأولى .

وراح يسير على السيرة جيئة وذهاباً وهو يفكر في وسيلة يسرق بها هذا الكبس

وفي محطته من رجلين يتحدثان بصوت منخفض وكانت كلماتهم تنهت إلى سمعه

ومن حديثهما عرف أن أحدهما طبيب وآخر من أهل كندا كان الكندي يتحدث عن دواء عجيب يصنعه اليهود الأحمر من بعض الأعشاب التي نبت في مجاهل أمريكا من خصائصه أنه يزيل الحمى في خلال ساعات قليلة مهما كانت مزمنة مستعصية هل أن خاصيته الكبرى المعجبة كانت في إزغام من يشاؤون منه مدقة صغيرة على الإقضاء بكل ما يخفي إذ يصاب بهنكياك وتني لا يطول أكثر من ربع ساعة يروح في خلاله بكل أسرار

وقال أوليد سوليفر في نفسه وهو يسرق السمع إلى هذا الحديث
هو أنني ظفرت بمدقة من هذا الشراب لا تترعت من ابن خالي أسرارته التي ينكتهم
وقال الطبيب الشاب :

- الحق أنه إنكسر عجيباً ونكتي لا أصدق هذه المزاعم إلا إذا فعت بتجربة هذا الإكسير بنمسي، فأين يمكن أن أجده؟
فقال الكندي محياً

- في مينيوتوك عند شوشيبو .. رقم ٢٤ بالشارع الحادي عشر

ولسع أوليد يدق هذا العنوان في معكره وهو يقول في نفسه
لا يد لي من ملقة من هذا الإكسير

في الوقت الذي كان فيه هذا الحديث يدور بين الكندي والطبيب كان جاك جارود في قاعة لاسمبال يتلمس وسيلة إلى التعرف بالأميركي نيومي موديسر

التي قرأى ابنته تعرف على البيانو تحاً فرنسياً . فعلاً فرغب

منه أبدي إعجابه بما حرث وحصد يقول

- شئت ما يعتني أن أصحي إلى الموسيقى الفرنسية

فأبشمت له الفتاة ومالت

- أنت فرنسي يا سيدي؟

وكانت هذه العبارة استهلال حديث غير قصير ذكر بها جاك في
خلاله أنه ميكانيكي وأنه يقصد نيويورك لزيارة مصانعها وقال
مصرلاً

- ولا سيما مصانع موريمر التي يقال إنها من أعظم مصانع
نيويورك

فأبشمت الفتاة وهم تقل له إنه إنما يتحدث إلى أبة موريمر
نفسه . . وإثنا قالت

- وهل تعرف هذا الرجل يا سيدي؟

- كلا . وإن كنت أنوي بطبيعة الحال أن أعرف إليه .

- أنصب أن أقول تقديمه إليك؟

- إنني آفك شاكراً نعماً . . إذا فأنت تعرفينه؟

فأبشمت هيبس ومالت

- إنه أبي !

فتظاهر جاك بالدعش وقال -

أبوك ! دعيني أهدث إداً يا آنسي فهو من بوايع هذا العصر

- دعني إذاً أقدمك إليه . ما اسمك يا سيدي؟

- بول هرمك .

- هيا بنا إليه

سارت العصابة سول هرمك إلى أبيها وهدنته إليه فرحب به

الأميركي وراحا يتحدثان عن الحالة الصناعية والاخراصات
الميكانيكية الحديثة

وروح موريمر يتحدث عن آلة الخياطة المعروفة باسمه والتي
أخرجتها مصانعه وما أصاب من ورائها من أرباح جميمة .

فقال جاك حارود

- ولكن اسمح لي أن أقول إن فيها عيباً واحداً .

- أي عيب يا ترى؟

- صورتها المتزعج

فقال يرمي موريمر -

- صدقت . ولقد حاولت أن أتلامي هذا العيب وكترست له
جهود خمسة أعوام فلم أفلح نتيجة

فأبشمت جاك وقال

- بر أنك كترست جهود خمسة أعوام حقاً لأفلمت حقاً !

- أنعمي أنك وثقت إلي ما قصرت أن دونه؟

- يجوز

- أيكود فضولاً مني أن أسألك أن تحدثني عن الطريقة التي يمكن
بها ملامة هذا العيب؟

- وراح جاك حارود يشرح نظريته يراعه ويليانه الميكانيكي
الذي يعهم مهنته ويدرك دقائقها

فلما فرغ من إلهاماته قال موريمر -

- لا شئ عندي أنك أصبت الشحاح ! إن هذا لا اختراع خلاق بأن
يسمى آلة الخياطة الصامتة . مني تنوي أن تخرجها إلى السوق؟

منى أنوي أن أخرجها إلى السوق؟ إنني لا أنوي إخراجها إلى

السوق مطلقاً . إني أتحب لك من هذه الأحراج الحديد .

فقال الأميركي

- محال أن أقبل هذا العرض . إن آلة الخياطة الصامتة جديدة بأن تدرّ ربحاً عظيماً فكيف تتخلّى عنها؟

فقال جاك جارود :

- إني مصر على التخلي عنها حتى وبر أنتهي بمئات الألوف !

هال مورتيمر في نفسه

- إنه عما أرى شات بيل . ألا ليتني أستطيع أن أجعله مدير

مصانعي !

ثم قال

- إذا أردت مني أن أقبل هذا التنازل في شرط واحد

- وما هو؟

- أن تقاسمي الربح . إني أن الذي اخترعته آلة الخياطة ولكن

أنت الذي أدخلت عليها هذا التحسين الخليل العائده . فمن جعلك

أن تشاطرنى الربح .

فهر جاك جارود كتبه وقال :

أشكرك على هذا العرض الكريم . ولكني لا أريد أن أشعر

بفسى لأن بهذا انشروع الضئيل . فإن ذهني مكثف بمشروع ضخم

- أتري أن تنشئ مصنعا في بلادنا؟

- نعم . . لإخراج آلات النصيل .

واضطرب مورتيمر حين سمع هذه العبارة . وكان هذا هو ما

يرمي إليه جاك جارود

لقد عرف من أولاد سولنجر أن مورتيمر وفق إلى آلة جديدة

لنصيل . . فرمى بحدوته هذا إلى غاية بعيدة

وقال بيومي مورتيمر متكئاً سره

- إني لا أظن أن من الممكن تحسين آلة النصيل المعروفة

فايتسم جارود وقال

- وماذا تقرب إذ أنشئت أنتي وفقت فعلاً إلى اختراعها؟

- ماذا تعني؟

- أعني أن الآلة الموجودة تنصل الأقسام المسطحة . أما الآلة التي

أتري إخراجها فتصل حتى الأقسام المقعرة

ما إن سمع مورتيمر هذه الكلمات حتى شحب لونه . . فقد

كانت هذه هي بعينها الآلة التي يري أن يعمرو بها السوق ! أهل جاء

هذا الفرنسي لكي يراحمه ؟!

وماء الصمت برهة . وكان مورتيمر في أثنائها غارقاً في

خوارطه

ثم رفع رأسه وقال .

- أصح إلي يا صديقي . إني أريد أن أكتشفك بما أضمر في غير

سوريه أو خفاء ! لا ريب عدي في أن آلة النصيل الجديدة التي

حدثتني عنها ستمر عليك ربحاً جويلاً . ولكن ألا ترى أن من

المهرفة أن تنشئ مصنعا في بلادنا وأنت غير بعيدات وطبائها؟

- هذا صحيح . ولكن أيسمي أن أفعل غير هذا الذي حرمت

عليه؟

- طبعاً

- وكيف؟

- بأن تصبح شريكاً في تقاسمي الربح بدلاً من أن تحذف

بأموالك بإشياء مصطنع جديده . وتذكرك أن مبدأ عملك بإخراج
الكثي الخياطة والصقل على أن يكون لك نصف الأرباح . وسأقدم
إليك الآن شيكاً تحت إصابت بمئتين ألف دولار

استطاع المرح جاك جارود . ولكنه أراد أن يهدي مائة مستوحياً
للأميركي للتوقيع في الفخ الذي نصبه به .

وانبرت هيدن تتدخل في الأمر وقالت

- إيد، رفض يا سيدي أن تشارك أبي كنت كمن يد صداقتنا
فقال جاك جارود باسماً

- أمام هذا الرجل لا أستطيع يا أنسي أن أتراجع !
شد موريسر على يده وقال :

إذا فقد أصبحنا شريكين . ولكن خبرني هل أنت متزوج ؟
- كلا يا سيدي

- إذا سأفرد لك في منزلي جدياً نقيم فيه
- شكراً جزيلاً يا سيدي

ثم قال في نفسه :

- ولن تخفي شهر قنبلة حتى أصبح زوجاً لاهة !
حقاً لقد اهتم لي الحظ

ولكن حين طاعت يده صورة أوليفر سويجر اكتمر وجهه وقال
في نفسه

- إنه هو الذي يعض عليّ حياتي . ولكنني سأجهد وسيلة أفهم
بها وأجعله أطوع لي من الثاني .

- ١٢ -

بعد ظهر اليوم التالي احتشد الركاب على متن الباخرة يتمرجحون
على بارجه حرية نحو عن كسب

وترك جاك جارود مهتشرين ومضى يبحث عن أوليفر سويجر
ولم يكن مرور من الباخرة له متوهمياً وفي يده خنجر يحاول أن
يقطعه . فمرور جاك جارود في ركن قريب وراح يرقب ما يفعل
أوليفر . . . وراه يدنو من رجل مستند إلى حاجز البصرة يتأمل البارجة
الخريبة

دفع أوليفر أذبال الباكسة فالتكشفت عن كيس مشدود إلى وسط
الرجل . فاجرى خنجره على أشرطة الكيس فالتقطعت ودسه في
جيبه . ثم ارتد مسرعاً وسار إلى غرفة

وبرر جاك من محبته وقال له

- ويحك .! ما الذي سرقت ؟ . .

لمتطع وجه أوليفر سويجر وقال وهو يتنفس

- ماذا سرقت ؟ لا شيء عبياً

- دعك من الإنكار فهو لا يجديك !

وقضى على دواحه ودفعه إلى ركن بعيد عن الركاب وقال له .

- نقد رأيتك وانت تسرق الكيس . ولا بد من إعادته إلى

صاحبه . لقد دنت شرف أسرنا . ونولا ما أخشاه من المصيبة
لقدعت بك إلى الريان يبرجت في السجن

فراح سويجر يتوسل إليه أن يفر عنه . . فقال له جاك

- أعد إليّ هذا الكيس . . . وخبرني عما فيه

- إن فيه مئتين ألف قرنتك

- حسناً . أنتظري حتى أرجع إليك . إنني ذاهب لأعيد المال

إلى صاحبه

انطلق جاك جاردود إلى صاحب الكيس ودفعه إليه وهو يقول

- أهذا كسك يا سيدي؟

ويدهم تحس الرجل موضع كسبه ثم هتف

- رباه إنه هو بعينه

- لقد سرق منك وهأنذا أعيدك إليك فانظر إن كان قد نقص

منه شيء

أحصى للرجل أوراقه النقدية فوجدها سليمة لم ينقص منها ورقة

واحدة فقال

- ولكن كيف وصل هذا الكيس إليك يا سيدي؟

- تعال معي أريك بالأمر

وسار به إلى سوليفر الذي كان متروكاً على البعد يرقب ما

يجري

أولاً إليه جاك وقال

- هذا يا سيدي هو الرجل الذي سرقك إنه يستحق العقاب

ولكني أعرف أنه من أسرة كريمة وأحب منك أن نعلم به ما فعل

وراح سوليفر يتوصل إليه فقال الرجل

إكراماً بهذا السيد أعف عنك ورحمة بأمرتك الشريفة

ويكن أحذر أن تعترض طريقي بعد هذا ولاً ألقيت بك في السجن!

واعلم أنني لن أنسى وجهك فكن عني حذراً ولكن ما هو

اسمك؟

فقال جاك

- أوليد سوليفر

وما إن سمع الرجل هذا الاسم حتى قال

- أوليد سوليفر؟ إني أعرف هذا الرجل! كان عاملاً في شاطئ

الذهب وصدر إلي الأمر مرة باعتقاله بتهمة السرقة!

وأطرق سوليفر لا يحرق على الابتكار أما جاك فقال

- إني لا أعرف من ماضيهِ ما تعرف ولكن أرجوك أن تبر

بوعذك فلا تبلغ أمره إلى الربان

- سأفكر عند كمنسي يا سيدي وإني شاكر لك ما فعلت

وسري أن أستقبلك في منزلي في نيويورك إني مقيم في رقم

٥٦ بالشارع الحادي عشر واسمي ريبه بوسك وقد كنت من

قبل من ضابط المولس السري ثم اعتزلت العمل

حين انصرف الشرطي السابق وخلا جاك جاردود بأوليد سوليفر

قال له

- تبنأ لك يا ابن العمه! لا يكاد يلتقي بعد تلك العيبة الطويلة

حتى يرتكب هذه الجريمة المصاحبة على ممعي وبصري!

- عموماً يا ابن الخال! إنه إعراف المذنب وأن فقير لا أملاك سوى

مرثتي

- فقال جاك جاردود باحتمار

- سم يكر في الكس إلا ستوب ألفاً فهل يدير وأنت مثل هذا

المبلغ الضئيل؟

وساد الصمت برهة ثم قال جاردود مسترسلاً

- إن وعدتني بالطاعة العمياء محبتك ثروة جديده بأن تدبر

أمراسي

هتف سوليفر باغصاء

- حقاً؟

- بلا رب

- إني إذا رمى بإشارة منك وكيف أمك أن أعصي لك أمراً
وهي وسعت أن ترحمني في السجن عقاباً بي على هذه السرقة التي
ارتكبت؟

- وإن لم أشي به إلا إذا آيت أنه ندع لمشيئتي .

- وما الذي تبعه سي؟

- لا تخدشي إلا إذا كنا في خلوة فردنا كما لمع الناس فتظاهر
بأنك لا تعرفني - إذ لا أحب أن يقال إنني أسرتي بصاً وضيقاً ولا
سيما قني أصبحت شريكاً لورنيمر
لهذه أوليفد سوليفر يستشرب ؛
- أنت أصبحت شريكاً لورنيمر؟

- وسأكون صهراً نه عاجلاً فاحذر أن تعفسي إلا طردتك من
مصانع مورنيمر - أما إذا طعرت برصاتي فسأرفع أجرك وأجعلك
مراتباً للمصنع كما أنني لم أجد عيبك بأموالي
فقال سوليفر يحبث ودعاء .

- إني أعلم أنك بحاجة إلي معونتي ولا يعني أن أتعمرى
الأسباب إذ حسبي من الأمر كنه أن نحتو جيوبى بلال فأصبحك نقاء
ذلك إرادة خاضعة لإشارة منك
- إذا فقد اتفقنا

ودس جاك يده في جيبه فأخرج روم من الأوراق النقدية دفعها
إلى أوليفد وهو يقول

- وهذا مبلغ تحت الحساب تنفق منه حتى سبع بيوروك

- شكراً لك يا ابن الخال العزيز .

- صه . . إني لا أحب أن أسمع هذا اللقب بعد الآن - إياك أن
يعرف أحد من الناس أنني أمت إليك بصلة من القرابة .
وحين خلا أوليفد سوليفر بنعمته قال :

- بعد لتتبع مني ابن الخال العزيز سيين لكاً من العرنكاب بعد أن
استغرب في جيبى ولكن لا صبر علي من هذا ما دام في وسعي
أن أقال من أضعافها بعد ذلك . . على كل حال أن أهدم أنه يطوي
سراً خطيراً . وأنه ما التحل اسم بول هرمان إلا بغاية شريرة في
نفسه - وسأكشف سره وأتخذ منه سلاحاً أتوعده به إن غش علي
بنال - ولا سيين لي إلى معرفة ما يظن إلا باستعمال إكسبر
الحقيقه . فلأثريت إذا حتى أسخ نيويورك

وفي بيوروك تحققت أحلام جاك خارود

لم عص شهران حتى تقدم إلى بيومي مورنيمر يعطى يد انتة
فأجابه إلى طيه باغباط

وحضر أوليفد سوليفر حفلة العرس واطلع على الأوراق المثبتة
لشخصيه ابن خاله وأنه يدهى بول هرمان . . فقال في نفسه :

- ربه - أتراني كنت صحتاً واحداً ؟! أليكون هذا الرجل حقاً
ابن خالي ؟!

أما جاك فراح يرقع من قدر سوليفر ويريد مرقه حتى أصبح بعد
شهور قبلة مساعداً للمراقب يتقاضى مائتي دولار في الشهر
وتبعث الأيام رمي جاك ماضيه

لم بعد يذكر أنه قاتل أليم - وإن الاسم الذي يحمله متحج
مستعار - لقد بات يعتقد أنه هو بول هرمان حقاً - وأنه إنما أصاب

ما أصاب من مجد وثروة ومجاح يدكائه وبوغه لا من طريق ذلك
الاختراع الذي سرق رسوماته وقتل صاحبه
انطوى الماضي ولم يعد يحيا إلا عاصره ومستقبله
إلى أن جاء يوم قرا فيه في الصحف أن القصة الفرنسي حكم
عسى من ندعى جان موريس بالسجن مؤبد بتهمة القتل والسرقة
والإحراق .

ثم بعض في قلبه عرق يانرحله لا ولم يؤبه صغيره عسى ما
فمن واقتراف . بل لقد شاع في نفسه الابتهاج وأيمس بالحاجة إذ
كان هذا الحكم آخر ستر يلقى على الماضي المغيض .
وفي الوقت الذي كان فيه جاك جارود يشتم لصدر المحكم على
جارك كانت المسكينة في المستشفى تعدي تلك الحمى العنيفة التي
حلبت بها عقب إغمائها عند معاصها الحكم عليها .
نفت جان إلى المستشفى في حالة خطيرة ولما شفيت كانت قد
أصابتها لثة من جوار .

لم تعد تذكر من ماضيها شيئاً هي الأخرى عشي دهنها سار
من السيان ولكنه كان من برع بخلاف من ذلك السار الذي عشي
دهن جاك جارود

كان جوارها هادئاً ساكناً لا يصحبه شيء من السمات فأيمس
الألماء أنها لا بد أن تشفى يوماً ما وإن طال بها الداء

أما ولده الصغير جورج فعاش في كنف الكاهن الأب لوجيه
لقد اتخذته أخته كلاريس ابناً لها وأسمت عليه اسم عائلتها مصار
منذ تلك اللحظة يدعى جورج دارييه

وهكذا اندد الشر على الماضي البعيد ثم بعد ذلك من يذكر

مه شيئاً

القاتل الأثيم يرح في حاصره وقد نسي ماضيه . . وانهمة اليربنة
جئت ميت عديدها وولدها . . والابن نزع عنه لاسم الذي يربطه
بمولده وارتد مخلوقاً جديداً

مات الماضي . . وإن كان هؤلاء أحياء

- ١٣ -

بعد مضي عام على هذه الحوادث دعا جاك جارود «ابن عمته»
أوليد سوليير إليه وقال له

- إني مامر غداً لإيجاز صفقة كبيرة وأحب أن ترافقي بصفتك
مراقب العام للمصانع فنياً لسفر

وكان أوب ما فعل سوليير استعداداً لهذه الرحلة أن ابتاع رجاجة
من إكسبر لصفحة من عند شوشيديو .

لقد عوك على أن يعتمد هذه الفرصة لانتزاع سر جاك الخفي

وفيما كان القطار يهب بهما الأرض قال جاك

- والآن أبشي . أأست راضياً عن حالتك؟

- كل الرضاء . ولا ينبغي عليّ إلا أن أراعي مكرهاً عسى أن

تكنتم عسى ما بنت من صلة الغري

- آه . هذه أمر لا مفر منه يا أوليد إذ لا بد من الحذر

- وما الذي يدعوك إلى أن تكنم قومي سر ثروتك إذ عهدي

بذلك قسراً ليس لك سوى موبت؟

- لقد اهتديت إلى حتراف درّ عليّ مالا كثيراً

- أي حتراف هذا؟

فهم تدركه لحيرة أمام هذا السؤال ولما قال
 - لقد بعث حقوق هذا الاختراع إلي سواي ولم يعد من حقني
 أن أنسبه إلي نفسي .
 وأثر سويسر أن يلود بالعبث إذ عرف أن لا جدوى تزجي من
 طرح هذه الأسئلة وأنها قد تثير شبهات يولد هرماني .
 وقال جاك بعد هبة بخير مجرى الحديث
 - ونكن كيف نقضي سهراتك في بيربورك؟
 - عني مائدة القمار
 - آه إذا فأنت من المقامرين! احذر فإنه حدير بأن يدفع بك
 إلى التهلكة

فقال سويسر
 - لا أهتمك أن أموالني تضيق كدها عني المائدة الخضراء ونكني
 لرجو أن يدركني الريح عاجلاً
 - مرابي خادع! وأولى بك أن تنقع عن هذه الخلعة الدميعة
 وأحيراً نرلا الصدق وتناولوا مشاء في عرفتهم الخاصة
 وحمل إليهم الخادم القهوة وتوسى أوليفد سويسر صلبها في
 الفدحين
 واغشم هذه المرصعة ووضع في أحد القدرين بضع معط من
 إكسبر الحقيقة

تناول جاك جارود القهوة وهو لا يدري سر المكيدة المدبرة .
 وبعد هبة ألقى يراجه على جبينه وقال .
 - إني أحس تعباً .. مصداهاً ..
 ويده عليه الاضطراب

وابتهج سوليمر وعرف أن معمول الإكسبر قد بدأ
 وقال جاك

علي بقدح من الشراب
 وحمل إليه سوليمر قدحاً بعد تدح
 ودجاة بدأ جاك جارود يضحك ويقهقه كانهاني
 وقال أوليفد سويسر يحاسبه
 - اسمع يا بول هرماني
 فقهقه جاك مرة أخرى وقال
 - بول هرماني! أحببت أن هذا هو اسمي أيها المليون؟
 واسترسل يتحدث

أخذ السر ينكشف .. وأخذت الأستار ترتفع .. مستراً بعد
 ستر .. أحتى لم يعد هناك ما هو محفٍ من أمر جاك
 وكان سوليمر يصمي إلى هذا الحديث بذهوب وعجب
 وأحيراً حين فرغ جاك جارود من قصته أمين فعه وأغمي عليه
 لحمله أوليفد إلى فراشه وهو يثيم إثم الفخر
 وقال سويسر في نفسه :

- الآن عرفت سره! إنه مدح متحل كما وقع في حاطري بدونه
 الأولى!

وعداً يصحو من غيبوته ولكنه لن يذكر شيئاً مما قال . بهذا
 سمعت الكندي يحدث الطبيب
 وضحك سوليمر ضحكة شيطانية وقال
 - كان الأحمر يحسب أنني في قصه يده والآن سيرى أنها للدي
 تصبح عي قبعة صاحبه!

إني إذا كنت فقيراً الآن فلا شك أنني سأصبح من كبار الأعيان
ما دمت قد وقعت على هذا السر . وسأنال من ثروة لا بأس بها
الحريرة كل ما أشتهي وأبغى !

في صباح اليوم التالي استيقظ جاك من نومه وهو يعاني صداعاً
أليماً . . فالتفت إلى صاحبه وقال

- ترى ما الذي ذهبي ؟ إني أشعر بهيأة سيئاً
لقد أصيب بالألم بنوبة مفاجئة مصربة كالفجائية وأحس
تهددي وتبني لنصائح بجرع
أهدئي ! ماذا كنت ؟

- لا شيء . . هديلان سيئاً
ورجعا بعد يومين إلى نيويورك بعد أن أخرج الصعقة التي حضر
من أجلها .

وما إن استقر أوفيد سوليفر في نيويورك حتى بعث برسالة إلى
الاستشمي الذي قيل إن ابن خاله بول هرمان مات فيه يستعصر عن
حقيقة السر

وبعد شهر جاءه الرد من الاستشمي . . فكانت فيه صورة رسميه
من الشهادة التي تثبت وفاة بول هرمان
وانخرجت شعثاً أوفيد سوليفر عن ابتسامة خبيثة وقال في نفسه :
الآن أصبح جاك جارود في قبضة يدي بعد أن كنت في قبضة يده

- ١٤ -

انقضت سبعة أعوام على هذه الحوادث
وفي شهر تشرين الثاني / نوفمبر من عام ١٨٧٠ شوهد بعض

بعض طرقاً بلده شيعري

وكان في أثر النعش ثلاثة أشخاص يتكون الأب لوجيه كاهن
القرية وصديقه المصور إتيان . وغلام في الرابعة عشرة

أما الغلام عبد كان إلا جورج ابن جان من تبه . وقد أصبح الآن
يذهي جورج داريه إذ تبته كلاريس داريه أخت الكاهن

أما ذلك النعش فما كان يضم إلا جسد تلك امرأة الطيبة القلب
كلاريس

لقد حصرتها الوفاة فجاء ابنها بالتبني جورج من باريس مسرعاً
ليودعها الوداع الأخير وها هوذا يشيعها إلى المقر الذي لا رجعة منه
عندما رجعوا إلى المنزل قال الكاهن يحاطب صديقه المصور
- لقد أوصت أختي لجورج بكل ثروتي وأقامتني وصياً عليه
- حسناً فعلت

فقال الكاهن
- وسأعطيها لك ما أوصي به بما أمكنك على أن أقومك وصياً
لرعى بذلك ؟

- بكل أرياح . وسأولي من حبي منكما أوستمه
- شكراً لك . وسأكتب لك رسالة أكاشفه فيها بحقيقته مولده على
أن لا تدفعه إليه إلا إذا بلغ الرابعة والعشرين فهل تعدي بدنت ؟
- بلا ريب

ودفع الكاهن كتيبي إلى المصور إتيان أحدهم وصيته والآخر
رسالة منه إلى جورج يكاشفه فيها بسر مولده .

ولم تمض أسابيع قليلة حتى لحق الكاهن بأخته وخلف جورج
في رعاية المصور إتيان كاستل .

وفي الأسبوع نفسه الذي مات فيه الأب لوجيه أدركت المنية

روحة جاك جارود .

وكان جاك يحب روجنه حباً شديداً محروناً عليها ويحضر معه
حشرات ولكنه وجد بعض العراء في تلك الأنة التي خدعتها له
روحة الراحلة

كانت ابنة ضئيلة الجسم ضعيفة البنة تتأهب الأمراض كثيراً
فاوقف عليها حبه وأصبحت عنده هي الدنيا وما فيها

وكان سوليصر لا يزال يعيش في ركاب جاك جارود . كلما
نقيب أمواله كلما سأله الدعوة فلا يقص عليه جاك بما سأل
ومن أجل هذا لم يكن في حاجة إلى أن يتوصفه بإفشاء سره
فظل جاك يحفل أن سوليصر على ثقة من حقيقة أمره

وكان جورج داريه صديق يدعى لوسيان تعرف به وهم يتفياك
العلم في مدرسة هنري الرابع

أما لوسيان هذا فما كان إلا ابن السيد لابرر صاحب المنصع الذي
اتهمت جان فورتيه بإحراقه .

وهكذا شاعت الأقاويل أن مجمع بين ابن القتالة - المريشة - وابن
القبيل !

حدثت أم جورج على أب لوسيان فقننته . أما الانان فجمعت
يسهما لأوصر الصداقة ومودة . وكان كل منهما يجهل سر الآخر
بل سر نفسه

وكان لوسيان قد سمع من عمته حكاية مصرع أبيه . وعرف أن
القضاء أصدر حكمه على امرأة تدعى جان فورتيه

ولكنه كان كعمته يؤمن إيماناً أعمى بأن جان بريئة وأن الخادمي لا
يد أن يكون ذلك المدعو جاك جارود . وأنه ما قتل لها إلا ليسرق

رسومات الاختراعات .

و لأن للمعد إلى جان فورتيه .

كانت بريئة مستشفي المجانين . وقد ألباسها كما ذكرنا ثوبه
أنته ماضيها فلم تعد تذكر منه شيئاً

وفي خلال ذلك العام الرهيب . . عام ١٨٧١ . . الذي جتاح
فيه الجيوش الألمانية العاصمة باريس وغربتها بالقنابل سقطت ثلاث
قنابل على مستشفى المجانين تهدمت شطراً منه . كما استعقلت
التيار في أحد الأجنحة

وقعت جان تنظر إلى التيار وهي تلتهم المستشفى
وفجأة انزعجت الحبيب عن عيبتها . وانكتف السر عن
الماضي

ذكرت ذلك الحريق الذي وأهه فيها مضي . منذ تسعة أعوام
يتهم مصنع السيد لابرر !

رعدت إليها ذاكرتها وشفيت من نوبة الخنون !
في صباح اليوم التالي للحدث دخل الطيب على جان فأدهشه
ما رأى من بيلك في نظراتها . لم يعد لها ذلك الدهون المعهود
ولا هذا الشرود الذي كان يضالعه في عيها !
وقالت حان تسأل

.. إني أعلم به صديدي أنك طيب . وأني هنا في مستشفى
وأذكر أنه حكم علي بالسجن المؤبد بتهمة السرقة والقتل وإحراق
مصنع السيد لابرر المسكين . . فأني مستشفى هذا ؟
.. مستشفى المجانين .

.. إذا فقد كنت مجنونة ! ولكني أشعر أنني شفيت الآن

- وهذا ما يبدو لي .. فقد كتبت مصابة بعمعان الذميرة .. وهأنذا أرى أن ذاكرتك قد عادت إليك .

- وكم مضى عليّ في هذا المستعفى؟

- إنك هنا منذ عام ١٨٦٢ ونحن الآن في عام ١٨٧٠

وراحت جان تستعسر منه عن بعض الشؤون بأناسها لأن أحدا لم يسأل عنها في خلال هذه السنوات التسع .

ما إن سمعت جان هذه الكلمات حتى انفجرت بكاء وقالت

- رياه .. لقد كان لي ولد يدعى جورج وبنت تدعى لوسي

فما حل بهما؟ وكيف لم يسأل عني أحدهما؟

وحين سكن روعها قالت للطبيب

- وما يكون مصيري يا سيدي الطبيب الآن بعد أن شفيت؟

- تعادين إلى السجن ثانية

فاجهشت بالبكاء مرة أخرى وقالت

- رياه .. أهلكنا، قضى عني أن أمضي حياتي وهي السجون لا ألقى

ولدي؟

وتركها الطبيب لأحزانها وانصرف

وبعد أسبوع نقلت إلى السجن .

ما إن استقرت جان فورييه في السجن حتى بعثت برسالتين

إحدهما إلى الأب لوجييه الذي كفى إبهما جورج والثانية إلى

المرضع التي كانت تتولى إرضاع ابنتها لوسي

ومرت بها أيام ثلاثة تنظر كمن ينتظي على الجمر

وأخيراً جاء الرد، تنظر

الكتاب لأول من قرية شعري .. كنيه إليها الكاهن الجديد يقول

إن الكاهن السابق قد توفي .. وأنه هو شخصاً لا يعلم شيئاً من أمر

تلك الحادثة التي تورط بها

أما الكتاب الثاني فكان رسالتها نفسها التي كتبتها إلى المرضع

وقد أشارت عليها بملحة البريد بهذه العبارة

أعاد إلى المرسل لأن المرسل إليه خير معروف .

وما إن تلست جان فورييه هاتين الرسالتين حتى كادت بحس

خوباً وبأساً وأصابعها رغاء شديد ثم تسكن منه إلا بعد ساعة

وسمّا سكن روعها راحت تفكر في أمرها صامتة في نفسها .

- رياه .. أهلكنا قضى عليّ بأن لا أرى ولديّ مدى الحياة؟

ولكن لا .. ينبغي أن أفكر من هذا السجن .. أنا مأهول ومبحث

عنهما .. سأنتقل الأرض سعيّاً وراءهما حتى أفتدي إليهما .

تتابعت الأيام .. بين الأهوام .. وهي لا تجد وسيلة تمكن بها من

الفرار!

سبعة أهوام وهي في ذلك الحس .. علة النعمة الأعوام التي

أعفتها في مستعفى المجانين!

عذاب متصل .. وأحزان يتعطر بها الفؤاد .. قلب أم تعرف أن

بها ولدين يضربان في لأرض ولا تعرف لهما مصيراً أو شأناً!

أثرهما ماتاً؟ أثرهما يتصوران جوعاً؟ أهد من أهل لاستقامة

والشرف؟ أم تردّيا في الهاربة مسروق الولد أو قتل ورج في

السجن؟ ووجدت لانة الحكمة دنيّاً بشرّاً يسطر عليها؟

كانت هذه الخواطر لا تمتأ بدور في رأسها .. عاماً بعد عام

حتى انتظمت سبعة أعوام بالتمام

كانت جان في خلال هذه الأعوام مثلاً لحسر السوك فأمر مدير

السجن بنقلها إلى المستشفى رحمة بها . وأمر بتعيينها ممرضة فكان لها راتب شهري يتقارب . وكان لها من الحرية حظ حرمت منه طينة الأعرام السابقة .

وما انقضى عليها عام في المستشفى حتى عينت رئيسة للممرضات .

وقد أمضت في المستشفى ثلاث سنوات . وكانت بحكم مهنتها تحسن الأدوية إلى الأطباء في أثناء عيادتهم المرضى .

وفي يوم من الأيام اغتنمت الفرصة وسررت رجاجة به دواء موسم أخضعها في صدرها لحزن ملجأه إليها .

وأخيراً تمت ساعة القرار !

كانت إحدى الراهبات شاطر جان موريسيه محددها . عندما أمسى المساء مرجحت جان بشراب الراهبة فيلاً من هذا السائل الخدر .

جرى ذلك في مساء يوم السبت وقد اعتادت الراهبات أن يعادرن السجن في صباح كل أحد للذهاب إلى الكنيسة .

وفي الصباح استيقظت جان مبكرة ونظرت إلى الراهبة فالتفتها عارفة في نومها وعرفت أن الخدر هو الذي أبقاها نائمة .

وأسرعت جان إلى رئيسة الراهبات ثم قالت لها

- إن الأخت منهكة في ضميد حرج أحد امرغى وهي ترجو أن تسمح لي باللحاق بكن في الكنيسة بعد فترة وجيزة .

- حسناً . وسأنبه على البواب

وكان هذا هو ما تبعه جان

ما كادت الراهبات يعادرن السجن ذاهبات إلى الكنيسة حتى يادرن جان إلى رنداء ثياب الراهبة التي شاطرها محددها وانطلقت

من السجن وقد أرحت قبعتها على وجهها فلم يعض حارس الباب إلى حقيقة أمرها . إذ كان يعلم أن هناك راهبة سوف تلتحق بزميلاتها اللواتي تعادرن قبعها

وهكذا . بعد عشرين عاماً . تعادرت جان نوريسيه السجن للمرة الأولى . . . ونصحت بسوم الحرية

وراحت تنفرب في الأرض بحثاً عن وليدها

*

- 15 -

ونعد لأن إلى الراء

مد أربعة شهور كان حاك جارود حالاً يتحدث إلى ابته وإلى «ابن عمته» لوليد سوبير

وكانت ابته ماري قد أوفت على الثامنة عشرة . ولكنها كانت ضئيلة الجسم واهنة الصحة إذ قرر لأطباء أنها مصابة بالسل الرئوي في مرتبة الضعيفة

وفجأة التفت ماري إلى أبيها وقالت -

- أبتاه . 10 كم بيع ثروتك ؟

فنظر إليها باستعراب وليث صامتاً

معادرت تردد سؤالها فقال

إن دخلي السوي يبلغ مائة ألف دولار

- إنأ فشروتك يمكن أن تقدر بعشرة ملايين دولار . عدا هذا

المصع . 9

فأخفى رأسه إيجاباً فقالت -

كم قيمة هذا المصنع؟

- مئوي دولار

- إذا يجب أن تبيعه بهذا الثمن

فصاح متعجباً

أتريد مني أن أبيع مصغي؟

نعم

ولكن

لا تترض إنك واسع الثراء وقد علمت في حاجة إلى العمل . فلم لا تبيع هذا المصنع علي أن تسافر بعد ذلك إلى فرنسا فنقيم فيها مدى الحياة؟

وجلس جاك جديرو وأوفيد يبادلان نظرات الاستغراب

واسترسلت الفتاة تقول :

- إنني أحب فرنسا وأريد أن أعيش وأموت فيها

فصاح جاك بلهجة للمتعجب :

- دعي حديث الموت يا ابنتي؟

كان يعلم أن أمته مصابة بالسل الرئوي وأن حيائها تقاس بالأعوام وكانت كل إشارة منها إلى الموت عملاً قلبه رعباً وتوقه حراً

وقالت الفتاة صاحكة

- طبعاً كنت أبغي من رجلي إلى فرنسا أن أموت هناك

ولكني توافقة إلى أن أرى وطني وبعد فذلك الحياة في هذه البلاد تبعث السامة في نفسي

- ولم لا نقيم في فرنسا شهرين أو ثلاثة ثم نعود إلى هذه

البلاد؟

ولكنها أصرت على رأيها وحاورها أبوه وأبيه سوبير في حواره!

فما كان من الفتاة إلا أن انفجرت باكياً

وأمام عيراتها تخافل الأب وتراجع كان يعلم أن كل دمة

تذوقها إلى هي بضعة من حياة هذه الفتاة المصدرة «سلولة» كان

يعلم أنه إن أهضبها فقد أذابها من الموت وقضى على صحتها

الناحة «مرهقة بالهلاك

قال

حناً سأحقق مشيئتكم يا ابنتي سأبيع مصغي هذا

وأرحل إلى فرنسا وهناك أنشئ مصنفاً جديداً إذ لا يروق لي كما

تسمين أن أعيش دون عمن

وانتحت الفتاة إلى أوفيد سوبير وقال

- وأنت يا سوبير ألا تنوي أن ترافقني إلى فرنسا؟

فهر كتبه وقال

- لا أدري

برمته بنظرة حادة وقالت -

- إنني أعلم أنك تحاول أن تنفي أي من الرحيل ولكن جهنك

سيفجع حقاً إن الإقامة في هذه البلاد قاربت على نهايتها

ثم غادرت القاعة مرهقة وعيراتها لا تزال تتحدث عن وجبتها

حين شغل الرجال أحدهم إلى الآخر قال سوبير

- أعزمت حقاً على بيع مصمك والرحيل إلى فرنسا؟

- هذا لا ريب فيه . ألا ترى أن صحتها على غاية من الضعف

وإنني إن علمتها قضت عليها بالهلاك؟

فقال سوليبر يعالنه

- هك الجنان منك أشبه بالصنع !

فهر جاك كتفيه وقال

- ومع ذلك غاية غاية بي من البقاء في هذه البلاد؟ لقد أصبحت

هـ ربحاً جريلاً . وفي وسعي أن أنشئ في فرنسا مصنعا بضاهي

مصنعي هنا وبذلك لن أخسر شيئا !

وساد الصمت برهة . ثم قال سوليبر

إن لي معك حديثا

- تكلم

- هيا بنا إلى مكنتي هاني أخشى أن يسمعنا أحد هن .

بدت أمارات الاستغراب على وجه جاك جازود وقال :

- وهل هذا الحديث خطير إلى هذا الحد ؟

- سترى

وإذ ضمهما بلكتب قال سوليبر

- ما الذي تنوي أن تفعل بي بعد رجولك؟

- بمكنتك أن توالف فأعهد إليك بعمل في مصنعي الجديد

- ولكن الإقامة لا نطيق لي في فرنسا !

- ولم ؟

- لأن البوليس الفرنسي يطلبني

- وما يضيرك وقد سقط الحكم لمصي المده ؟

إني أحب أن أبقى في هذه البلاد .

- فبكن إذا - سأسال من يشتري مصنعي أن يستخدمك بأجر طيب

فترسمت لبتامة واحدة على شعتي أوليد وقال :

- ولكنني لا أريد هنا . ! فإن أريد أن أشتري مصنعك !

صمحك جاك وقال ساجرا

- تريد أن تشتري مصنعي ! ! لقد كنت أحيث يا بني من المقراء

فإذ يث من أصحاب الملايين !

فابتسم أوليد مرة أخرى وقال

- لست من أصحاب الملايين كما تتوهم ! . إني لمقيور معدم .

ومع ذلك فاشترى مصنعك .

- هذا عجب ! دع عنك حديث الأحاجي والألغاز وألصق !

فقال سوليبر بهدوء .

- سيمضي مصنع - ثم يهديني شيكا بحمير ألف دولار لأحسن

من إدارته

لقطب جاك جيه وقال

- ولم أفعل هذا؟

- ثما لكوني !

- ثما لكونك؟ أخشى أنني أرى أخشى أن يكشف ؟

- أموقن أنت أيها الصديق العمير؟

- ماذا تصي ؟

- أعني أن جاك جازود لا يستطيع أن يرجع إلى فرنسا إلا إذا

اطمان إلى أن البوليس لن يعرف اسمه .

مهر جاك جازود واقفاً وانقض عن سوليبر وغبض على درعه

يعتف وصباح :

- ما هذا الاسم الذي ذكرته؟

- إنه اسم رجل أحرق مصنعا في ألفورتييل وقتل صاحبه وسرق

أمواله . . وهذا الرجل هو أنت !

استوى الرعب على جاك وذهب بصوت مختنق .

- هذا كذب . . من أناك بهذا ؟

- شهادة وفاة بول هرمان الذي انتحلت اسمه . . إن لدي صورة

وسميه منها

- كذب وبهتان !

فقال أوليفر بهدوء

- دعني من اللراوغة يا ابن الخيال العرير . إن لدي براهين لا

تدحض . ومع ذلك أدلك أن تذهب إلى فرنسا وأنت آمن مطمئن

ما دمت مسجيسي مصنعتك ! ستظل دائماً ذلك الرجل الشريـ

البريء . أما جان غوربيه فستظل دائماً في اهرمه الأثيمة

وساد الصمت برهة . ثم قال جاك وقد مدك روعه

إني لا أباقي بهديتك ! لقد سقط عني العقاب نصي المدة !

فصاحت أوليفر سوليفر وقال :

- مضي المدة . إذا انطبق هذا على جرائم القتل والمسرقة

والإحراق التي ارتكبتها منذ أكثر من خمسة عشر عاماً فهل يطبق

على جرعة احتلاس اسم بول هرمان وهي جريمة لا تزال قائمة ولا

تران متنبساً بها ؟

فامتنع وجه جاك وقال

- أتعني أنك تتري أن تشي بي ؟

- هذا أمر موكد إليك ! إنك رجس واسع الثراء رست في حاجة

إلى مال جديد . فلم لا تمجسي مصنعتك ؟ إنك بذلك تشمري

سمعتك وعت انتك المسكنة

وزمجر جاك وقال بوحشية

- والله إن نفسي تخدثني بأن أفندك

- وهل بجديتك هذا ؟ فقد كتبت رسالة أودعها عند مسجل

العقود وأوصيت أن لا تفتح إلا بعد مضي . وفي هذه الرسالة

أعطيت الثمن عن شرك . فإذا كنتي من تمضي أربع وعشرون ساعة

حتى تجد الشرعة تنقص عليك وتسوقك إلى السجن

وساد الصمت مرة أخرى

وأخيراً قال جاك جارود .

- حساً . قلت شروطك

- أحسب ! . بذلك تنقد سمعتك

- قدأ ستذهب إلى المحامي لتحرير عقد البيع .

وفي صباح اليوم التالي أصبح أوليفر سوليفر مالكا للمصنع دون

أن يدفع دولاراً واحداً . بل لقد أصاب أيضاً من دأب حاله شيكاً

بمليون ألف دولار

بعد أسبوع كان جاك جارود في طريقه إلى فرنسا . وحين هبطها

ابتاع أرضاً بقيقم عليها مصنفاً في ضواحي باريس .

على أنه ما كان يشرع في البناء حتى فاضته الحكومة إلى المخازن

وطالبته بأن يشق طريقاً للمرور وسط هذه الأرض

ومضى جاك إلى صديق له من أصحاب المصارف يسأله أن يدلّه

على محام يارح يكل إليه أمر هذه القضية

وقال لهالي صاحبه

- أنا اعرف محامياً شاباً أصاب على حدة هذه شهرة عظيمة

- وما اسمه ؟

- جورج داربيه . وهم ٦٩ شارع بونابرت .

ومضى جاك إلى مقابلة المحامي الشاب

ومر انكشفت حجب لداخلي يعرف جاك أن هذا الشاب هو إلا

جورج فورتييه ابن تلك المرأة التي قضى عليها بالسجن لتؤيد
بتهمة ما لفتها لها إلا جاك جارود معه !

كان جورج فورتييه صبي رخم سبه خمس والعشرين معدوداً من
كبار الماهدين .

وقد اتخذ له مكنياً في شارع بوبيرت كان الداخس إليه لا يمتد إلا
أن يعجب بنتك المكتبة النعيسة التي أهدهاها إليه ولّيه الأب لوجيه

وفي ركن من المكب كنت ترى عموداً من الأبروس أقيم فوق
رأسه حصان من الخشب والكروتون

كان هذا الحصان أثراً من آثار انطفؤلة يحتفظ به الغامي الشاب
ويحرص عليه حرصاً شديداً وقد جلّله بشرط أسود باجلاً
لذكرى أمه كلاريس (أخت الكاهن) إذ لم يكن يعرف بعد أن أمه
هي جان فورتييه

وهكذا بعد إحدى وعشرين سنة التقى جاك جارود بـ
ضحيته . وكان كلاهما يجهل شخصية صاحبه

روى حاكم جارود للمحامي الشاب ما كان من أمر الخلاف الذي
شجر به وبين الحكومة في شأن حق المرور في أرضه .

ولف فرغ جورج فورتييه من الاطلاع على الأوراق والمستندات
قال .

- إنك على حق يا سيدي في مذهبك الحكومة . . إن حجتك
قوية وستريح القضاة حتماً

- إذا لمجوك أن تتولاها عني !

بكل ارتياح .

وبعد شهر اضطرت الحكومة أن تراجع عن دعواها وأدت لحاكم

جارود بانباء بعد أن أصبحت من الاطلاع على مذكرات محاميه أنها
تخاسره لو قاضيه إلى المحاكم .

كان جاك جارود مضطراً في أعذب الأحياء إلى قضاء مسجاة
دهاره خارج الدار ليتولى بنفسه مراقبة البناء

ولكن الله لم تكن تدومه على لعلفه إذ كانت كرمات اصدقاء
ايها يوليها بالزيارة من حين إلى آخر فكانت تجد في بنائهم ما
يسري عنها

وقد كان من الطبيعي أن جو باريس لا يلائم صحتها إذ لم
تكد تمضي في تلك المدينة بضعة أسابيع حتى بدت عليها آثار الغلة
الصدرية وازدادت بروداً ولكنها كانت تحبب أنها مصابة بالبل
الزلوي وكانت إذا ما رأت في وجه ايها الخوف والإشفاق
فمحكت وجهيت لأمره

وكانت ماري شديدة السلق في ارتداء ثيابها فاختارت خياكتها
المسدة أوغستين أربع حياطات باريس وأخذتهن فآ واثقاً

وكان بين عاملات هذه الخياطة نشأة تدعى لوسي أبت أن تزول
عمدها في مشغل الخياطة وإذا ألّرت أن تنجر في داره ما تعهد
به إليها السيدة أوغستين

وكانت مدام أوغستين لشدة إعجابها بيومي توفدها في بعض
الأحياء إلى بيوت عميلاتهن سقيس لهن الثياب وتصلح منها ما
يحتاج إلى تصليح

وكانت لوسي جميلة رضية الخلق لم يعرف الناس عهد التبل
والاستهتار شأن مثلاتها كان لها حبيب يدعى لوسان يعترف
الرسم المسكنكي عنق بها وتم لأتفاق بينهما على الزواج

لم يكن الرسام لومسيان إلا ابن السيد لابرو صاحب المصنع الذي
قته جاك جارود

حين أتى الحروب على المصنع لم يبق لطفل الكبير دخل يعني
بعضاته فتكلمت به عمته وإد مات وهو في الحادية والعشرين من
العمر اضطر أن يحترف الرسم التماساً لأسباب الورق

وانحد لومسيان مسكناً له غرفة في البيت الذي يشغل لوسي
الحياطة غرقة فيه

التصا يوماً على السلم . . قلم يكن يت من التلوث .

وما لست الصداقة أن امتحالت عراماً وكان لومسيان يتعنى أن
يتحد لوسي روجة له وما كان يردّه عن تحقيق أميته إلا بصوت
الليل

والقصص عام كامل وما زال الكبير هاجراً عن أن يدبر أمره
وكان ما يريعه لا يكاد يسد حاجته

وهم يكن لوسى أهل بمدون إليها يد المعونة . لقد شأت في
أحد ملاحج الأطفال فهي ذات يوم ضرفت مرصع باب اندجبا
ولودعته طفلة صغيرة اسمها لوسي هي لوسي هذه

قالت عنها مرصع إن أم الطمعة أودعتها لديها لترضعها وكانت
تواليها بناد كل شهر ثم انقطعت عنها فجأة فلم يكن في وسعها
لا أن يودعها اندجبا .

ولا ريب أن القارئ قد أدرك أن هذه الحياطة لوسي ما هي إلا ابنة
جان نورتييه وشعفة جورج طرييه المحامي

وهكذا بدأت الحلقة بضيق وأحدث لأحد تلعب دورها .

تعرف لومسيان لابرو بنوسي ابنة جان وأحبها واتصل جاك جارود
بأبن ضميمته جان أي الطامي جورج طرييه
وهم بسى إلا أن يتم الاتصال بين جاك وأبن القسيس أي الرسام
لومسان

في ذات يوم حدث لوسي عن لومسيان وهو في عروسته فرأته
شاحب الوجه غائر العينين فأخذت بيده وضمت ثدومه بصوت
عذب :

- ما هذا يا لومسيان؟ ألم أحذرك من إرهاق صحتك بالعمل !!
إنك تكاد تغفل نفسك !

- إنها رسومات ينج أصحابها في سرعة إنجازها

- ولكن ينبغي أن تترفق بصحتك !

- وما عساي أفعل؟ إني أقضي سحابة نهاري أقبول من مكان
إلى مكان باحثاً عن عمل فلا مفر لي من أن أمضي الليل في
إنجازها .

وساد الصمت بمره ثم قالت لوسي

- إن زملاءك في المدرسة من الأعياء فم لا تلجأ إلى بعضهم
لسألهم أن يهترو لك عملاً

فارتسمت على شفتيه ابتسامة حزينة وقال :

- جئت إليهم جميعاً فما وجدت منهم إلا الصمد والإهراء !

فقالت لوسي :

- حس ذلك القبي الذي كنت لا تصأ تمنحه أمانى ؟

- أتعين جورج طرييه زميلي في مدرسه هري الرابع ؟

- نعم . فهل فابت ؟

- كلاً .. فإني لا أعرفه هوامه .. وقد كان يدرس الحقوق

- إذا فهو الآن من المهنيين ومن السهل الاعتداء إلى مقره
فهر كتبه وقال

- إنه على أية حال لن يكون خيراً من مرء

- وما يدرئك؟ يحسن بك أن تقصني إلى لغاته

- عدأ أسعى إليه

وحتت لوسي حطيه وانصرفت ذاهبه إلى السيدة أرغنين تحمل
إليها ثوباً جديداً .

حين دخلت لوسي على السيدة أوقستين ألعتها سهمة في غيرة
ثوب على فتاة حسنة ذات شعر أشقر جميل

وأدركت لوسي على الفور أن هذه الفتاة لا بد أن تكون واسعة
الثراء إذ لم يكن من عادة السيدة أرغنين أن تجرب الثياب
بعضها إلا للمعربات عن عملياتها

والتمت السيدة أرغنين إلى لوسي وقالت

- لقد كنت موشكة بأن أبعث في استدعائك! هـ ثوب

للرقص يسقي إنهاره على عجل لأن الأتة ماري هرمان في حاجة
سريعة إليه

فمالت ماري هرمان ابنة جاك جارود :

- لعله هي لأتة التي ستولي خياطة ثوبي ؟

- نعم - وهي من أروع المصنعات عندي

فمالت ماري -

- سأكون في انتظارك في دار أبي لي الصباح عادة .. فعسى أن

تجربه عاجلاً

وحين انصرفت ماري هرمان ذكرت السيدة أرغنين للوسي شيئاً

هي الفتاة وقالت مترملة

- وأرجو أن تضاعفي الجهد فيها شديدة التألق في هدامها

ثم ألبستها لى الفتاة مصدورة وإن كانت تجهل حقيقة دأها

بر لوسيان يوعده حطيهته يذهب إلى دار نهكمة واستعمر هي

عنوان المهامي جورج داريه عقيل له إنه مقيم في رقم ١٩ في شارع

بونابرت

فمضى إليه اسرعاً يشد لقاءه

في غضون ذلك كان جورج داريه في مكتبه مهتمكاً في مراجعة

إحدى القضايا حين دخل عليه وبه المصور إيتين كاستل

رحب جورج بالمصور الشهير وقال له :

- يسقي أن أعاتيك فقد مضى أسبوعان لم أرك في حالتهما

فقال المصور معاتباً بدوره

- لقد كنت مهتمكاً في إنجاز بعض الصور ولكن كان في

وسعت أنت أن تروني

- أرجو أن تنسى لي علماً من كثرة قضاياي

فقال المصور ناسحاً

- وقد التمسيت لك علماً والدليل أنني قادم اليوم لأب طرك

طعام العشاء ولا يتحدث إليك في شأن لوحة أريد أن أرسنها

- وما موضوعها؟

- لقد وقع الحادث الذي أنوي أن أبوره على اللوحة منذ إحدى

وعشرين سنة في مرور حالك الآن لوجيبه كاهن قرية شمري

ولديك جواد مصروع من الكرتون كنت تلاحظه عند وقوع الحادث

وأحب أن أستعيره منك

أتعني هذا الجواد؟ إنه تذكاري من أمي . ومن أجل هذا أحرص عليه !

وأشار إلى جواده الكرتوني القائم على رأس العمود الأسوسي وقال المصور مترسلاً :

- نعم . هذا هو الجواد الذي أحب أن أستعيره

- ولكن علام يدور موضوع اللوحة؟

- إنها قصة مؤثرة يتصعب بها القرب رجال الشرطة يقتحمون الدار ومسوقون امرأة مكبته إلى السجن وسطهم في هذه الصورة كشرود منهم رجال الشرطة والحملة وأنت وحادث الكاهن وأنا ولنت

فقال جورج باستغراب

- أنا؟

- نعم . . فقد كنت تيكبي بكاء مرّاً . كأنّ عبراتك ترسلات إلى رجال الشرطة أن يصفقوا سراج هذه امرأة

حبيّاً . إني لا أذكر شيئاً من هذا الحادث

- هذا لأنك كنت في الثالثة من العمر . ولكن حاول أن تظن

ذاكرتك . وقع الحادث في حديقة . وكان جوادك الكرتوني

هذا الجواد معك . وكنت نصمه إلى صدرك

- ومن توي أن يبيع هذا الرسم؟

- ولم تأسأ؟

لأنني أحب أن أقتنيه م هام سيصم صوره لامي وخالي وصورتك

فايتسم المصور وقال :

- اطمئن . ههني أموي أن أعيدته إليك . وقد أردت أن أفتاحك

به عندما أفرغ منه . . ولكنك انتزعت سرّي مني

وضحك الرجلان وشكره المحامي الشاب وقال ياله

. ولكن أخربي . ماذا جئت هذه امرأة؟

لقد اتهمت بالسرقة والقتل والإحراق

- وما كان مصير هذه المكونة؟

- قُضي عليها بالسجن المؤبد .

- إذاً فقد ثبتت التهمة ضدها؟

- صحيحاً . . فقد كانت الأدلة قوية دامغة .

- وما اسمها؟

- لقد تمسّته بعول انعهده به

هي هذه الملاحظة دخلت الخدمة تسمى سيدها بأن شيئاً يدعى

دوسيان لابرو يطلب مقابلة .

هتف جورج داريه بانتهاج

- إنه صديق لي من عهد اللوامه . ولم يبق مد خمسة أعوام

فقال المصور لإنين كاسل .

- لابرو؟ يتخيل إليّ أنني سمعت بهذا الاسم من قبل !

وبعد لحظات دخل الزائر فتصافح الشابان بحرارة وقدمه المحامي

إلى ونية المصور إثنين . . ثم راحا يتذاكران عهد الدرامه .

وقال جورج داريه

- مهدي بك مولماً بالبيكاتيكيات وكيف حالك الآن؟ أرجو أن

تكون مديراً لأحد المصانع !

فهرّ لوسيان رأسه وقال

- الواقع أنه لاحظ لم يتهاى لي

كعب ذلك - وقد كنت أعدم أنك بارع في ذلك؟

ولكن برعيتي لم تمنعني شيئا فاضطرت أن أحترف رسم
الأثاث الثعاساً للورق

فهمت جورج حاليه .

- كان ينبغي أن تحضر لزيارتي قبل ذلك حتى أبدو إلى السعي

لك عند من أحرف من أصحاب المصانع ،

ثم قال صعباً .

- أنصني بأن تولي إدارة مصنع لصنع الآلات السكك الحديدية؟

- هذا أجل ما أقدر .

- حسناً جداً - إن من عملائي مرسباً عاش في ألبركا رما

طويلاً - ثم هبط فرنسا في العهد الأخير وأنشأ فيها مصنعا

وأحسب أنه لن يرفض لي رجاء . . إنه يدعى بول هومان

- بول هومان شريك ليومي مورنيهر؟

- هو بعينه - أتعرفه؟

- كلا - ولكن له اسماً دأوي الشهرة - إنه مخترع آلة الخياطة

الصامتة - ومخترع آلة الصقل الحديدية وهي شبيهة بالآلة التي كان

أبي مهكماً في اختراعها قبل مصرعه كما أنبأتني عمتي بذلك

فانبرى المصور إثنين يقفون

- أكان أبوك من المخترعين؟ هل أنت ابن جون لاير الذي اخترع

مصنعه منذ أكثر من عشرين عاماً؟

- قداماً يا سيدي . . وقد مات أبي قبل أني أتناه الحريق

فقال جورج باستعجاب

- عجباً - أنت لم تحدثني مطلقاً عن هذه التكية؟

- هذا لأنني لم أعدم بسبب إلا بعد وفاة عمتي - ولكن حترني يا

سيدي أكتب صديقاً لأبي؟

- لا لم أعرفه . - ولكني سمعت الناس يتحدثون اسمه بعد هذا

الحادث فأنطبع في ذاكرتي

ثم قال في نفسه

- يا لمصادفة! ها هوذا ابن الغائلة يصبح صديقاً لابن القتل؟

وقال جورج مائلاً

- وهل قنص على القاتل؟

فقال لوسيان مجيئاً

- لقد ارتكبت امرأة هذه الجرائم وعوقبت بالسجن المؤبد

- امرأة؟

- نعم - وقد فرت هاربة عقب الحادث ولادت بيت كدهن قرية

شيعري ولكن الجند لحقوا بها وحبسوها فيها

فأرسل جورج بصره إلى المصور بنظرة استعجاب فقال هذا

- نعم - إنها المرأة نفسها التي حدثتك عنها والتي أنوي أن

أرسمها في اللوحة

فقال لوسيان

- إذا فقد رأيت هذه المرأة يا سيدي؟

- رأيتها وتحدثت إليها

- هل اضرتت بهن منها يا ترى؟

- بن أنكرتها بإيمان وإصرار - ولكن إنكارها لم يجعلها معاً بد

حكم عليها .

فقال لوسيان

- ليس الحكم دليلاً على صحة التهمة فلماذا أخطأ القضاء

- ولكن الأدلة كانت دامغة حاسمة !

- ربما كانت الظروف هي القادرة ولكن ما هو رأيك الشخصي

في هذه التهمة ما دمت قد تابعت أطوار القضية؟

سكت المصور هيهة ثم قال

- ربما كانت مدبه

فهتف بوسيان

- ربما ! بدأ قالت لسب موقفاً كما أيعز القضية ! لئلا أنا هذي موقفي

من براءتها ! لقد قرأت يا سيدي تعاصيل الحادث في الصحف التي

كانت عملي تحتفظ بها وقد أيقنت بعد قراءتها أن جان فورييه

برئ من هذه التهم الثلاث ولقد كان هذا هو اعتقاد عملي

أيضاً

وقال جورج متائلاً

- ومن دافعت عن نفسها؟

فقال لوسيان

- لقد اتهمت مرافق المصنع بارتكاب هذه الجرائم وهو يدعى

جانك جارود وأقنعت أنه كتب إليها رسالة غرام يدعوها فيها إلى

مرافقه عند مراره من فرنسا ولكنها لم تستطع أن تقدم هذه

الرسالة إلى المحكمة .

فقال المصور إيميل

- وهل غاب عنك أن جانك جارود مات شهيداً لإحلاصه وشهاته؟

فقال لوسيان بإصرار :

- إني مومن من أنه هو الجاني ومن موته إلا خدعة جازت على

الأسر جميعاً وسوف لا يهدأ لي نال حتى أبيض الثام عن هذه

الجريمة وأسمي إلى إيقاد هذه المسكنة من سجنها المؤبد !

- ومن جدوى إثبات الجريمة الآن على جانك جارود ومحاكمته فقد

أصبحت غير جائره لمضي الدهر ؟ !

فقال لوسيان بانفعال

- سأعرف كيف ألتقم لعنسي

- ترى ألا تزال جان فورييه على قيد الحياة؟

- هذا ما لا أعرفه . ولكني سأعسر

قائري الحامي جورج طريه يقول

- يمكنني أن أتولى عنك هذا الأمر فهو حق علي بحكم مهنتي

وتعزق بينهما الحديث إلى ذكر الزواج فقال لوسيان

إن بي خطبة تدعى لوسي ولولا أسباب العقر لا اقتربت بها هي

غير إيهال

- ومن تكون هذه العناية؟

- إنها فتاة ينعمه شأت في أحد حلاجي الأطفال ولا يعرف اسم

أمرتها ولكنها من أكرم الصيات

بدوح لي أنك تحبها؟

- حياً جونيأ

- بلأ أرجو أن أعتك عاجلاً بالرفاق

كانت لوسي تنظر عوداً خطيبها وقد ألحت عليها الدهقة فبدأ

رجع ابتدره بقولها

- ماذا حدث؟

- لقد أحس استغالي وألقى إليّ دعماً بمساعدتي وروى لي ما جرى بينه وبين صديقه القديم .

فهمت لومتي باعتباط :

- آه .. لقد حدثت الأحلام .. آه .. لو صدقت !

في صباح اليوم التالي انطلق جورج دريه إلى منزل جاك جارود لينحدث إليه في شأن صديقه لوسيان لابرور

وكن " رب الدار كان غائباً قيل له إنه مسافر ولن يعود إلا بعد أسبوعين أو ثلاثة

وساءت هذه الخيبة جورج إذ كان متوجهاً إلى إسماء تلك الخدمة إلى صديقه

ولكنه كان يعرف أن لاري حرمان كلمة مسروعة عند أيها مقال في معه

- ولم لا أحدث إليها في الأمر وأسألها العون

وطلب مقابلتها من فوره

استقبلته الفتاة بأسمة فقال يسألها

- كيف حالت يا أنستي الآن؟

- إن صحتي على ما يرام .. !

ولكن السعال فاجأها فقطع عليها الحديث فقالت

- ولولا هذا السعال البعض نكت على أوفر عاقبه . !

وكان جورج يعلم أنها مصابة بالنسل الرئوي وأنها تجهل حقيقة

ثلاثها . فتصعج وقال :

- والأطباء .. ماذا يقولون؟ !

فضحكت باستحفاف وقالت

- الأطباء ! ألا تبا لهم ! لقد برمت بأدويةهم ! إن هذا السعال ناشئ من التهاب بسيط في الحلق ومع ذلك يصعدون لي عشرات من الأدوية

ثم عبرت مجرى الحديث وقالت

- أحسبك حثت فرور أبي؟ إنه غائب عن باريس لن يعود إلا بعد ثلاثة أسابيع .. في أوائل الشهر المقبل

- بدأ عهد لي أن أشد عوبك يا أنستي في تعيين شاب مارع من أصدقاء المدرسة مديراً لمصنع أليك لجدهد؟ إنه خريج مدرسة العون والصناع

- أهو صديق حميم لك؟

- نعم يا أنستي بعرفت به حين جمعتا المدرسة وفي طفولته قتل أبوه وسرقت أمواله فكفنه عمته فلا معه أن يعيش دون عمل يعتمد عليه

فكانت الفتاة بيرة

- إليّ أكون سعيدة يا سيدي بأن اسد إليك بد المعونة في هذا الشأن فن لصديقك أن يوسع من انجراح إذ أبي لا يمكن أن يرد لي مديراً فمحضر صديقك إلى رباتي في اليوم الثالث من الشهر القادم .. لأن أبي سيعود في اليوم الثاني

وشكره جورج واتصرف مغتبطاً وكتب إلى صديقه لوسيان عرف إليه الشئرى

- ١٧ -

وهكذا شامت الأقدار أن يجمع بين الأشخاص الذين اشتركوا من

بعد أو قرب في عاصمة مصنع لابرود وبدأت الصلوات تتعقد بينهم
لنفسه وتقوى

ولم يبق غائباً منهم إلا جاد مورتيه

هربت جاد من السجن وهي بحلايس الراهبات . وأسهرت إلى
حامول لببيع الثياب ذاتها ثوباً عادياً وفي ركن مرمو من العانة
القرية ارتدت ثيابها الجديدة ثم سارت إلى محطة السكة الحديد
واستقلت القطار إلى باريس .

ولم تكن جاد بالعيه البهاء . كانت تعلم أن اكتشاف فرارها
لن يصول وأن البوليس سيكشف حتماً أنها سافرت إلى باريس
فيتوقف وصولها والقيء مهياً لها يتظرها

فما بدع القطار إحدى المحطات القريبة من باريس عطت من
واستقلت إحدى سيارات الأجرة إلى المدينة

بهذه الخدعة استطاعت أن تهرب من مطاردتها . وفي زحمة المدينة
الخائفة كان من المستحيل الاعتناء إليها إلا بعد جهود شاقة خارقة

لم تلبث جاد في باريس إلا فترة وجيزة تناوب فيها الطعام
ثم سافرت من فورها إلى قرية شيمري . ومضت إلى بيت الكاهن
وفي الطريق إليه استعادت في ذاكرتها تلك الصورة التي انطعت
منذ أكثر من عشرين عاماً

وحال الشرطة يسوقونها إلى السجن . وولده جورج محتضر
جواده الكروتومي . وكلاهما - أخت الأب لوجيبه - تحاول أن
تسري عن الطفل المسكين أعزانه وهمومه

وطرف جاد باب الكاهن وطبت مقابته . قلبت مشد في
حصرنه قالت له

.. سيدي الأب . إن امرأة في باريس عهديت إلي بأن أستعسر
منك عن مسألة تعيها

.. سلفي ما يد لك يا لبي

.. ألم يكن للكاهن السابق أخت تدعى كلاريس ؟

نعم يا أمي . ونكها ماتت قبل وفاة الأب لوجيبه بأربعين
قيلة !

.. وكانت هذه الأخت تتولى تربية طفل صغير ؟

.. هوذاك . . إنه أبها كما قيل لي

وأجعلت جاد !

أبها ! ربه ! أتكون هي الأم ولا تهرؤ أن تقول ؟ !

وامرست قائلة :

.. أتعرف أين هذا العلام الآن ؟

فهرز رأسه وقال

.. كلا . كل ما بلغني أنه مقيم في باريس وأنه رار شعري عند

وفاة حاته ثم ما لبث أن سافر مرعاً مع أحد أصدقاء الأب لوجيبه

.. أتعرف اسم هذا الصديق ؟

.. كلا

.. ربما كان عمدة القرية على عدم به ؟

.. محال . . فقد مات العمدة السابق وحل مكانه اثنان

.. وأين خادم الكاهن ؟ ألا تعرف عنها شيئاً ؟

.. لقد ماتت هي أيضاً .

.. أمانت أخت الكاهن في هذه القرية ؟

- نعم

- إذا فلا ريب أن اسمها منون في سجلات الكنيسة وإذا
اطلعت عليها أمكن أن تعرف منها اسم الأخت ولعلها لم يأتني لا أعرف
إلا أنها تدعى كلاريس وبهذه الطريقة يمكن أن يستدي إلى اسم
ابها ولقبه!

- والحرب يا سيدي؟ أتيت أن الحرب هدمت ثلاثة أرباع مزارع
القرية وأن سجلات الكنيسة احترقت فلم يعد باقياً منها شيء
بدت أمراوات اليأس على وجه جان وقالت بمرارة
- رباه! ألا يستحي إذا أن أعلم شئاً؟

استغرب الكاهن ما تيدي هذه المرأة من انعدام وحرى فقال
- وما الذي يدعوك أنت شخصياً إلى هذا الاهتمام بهذه المسألة؟
وأثر سؤاله خوفاً بعد خشيته أن تكون يلجأها قد أثرت
رأيه فعالت مستدركة على عجل

- إنني مدمعة إليك يا سيدي باليبة عن صديقة في في باريس
عهدت إليّ بالأسفار ووعظني بأجر جريء إن جئت بما يريد من
بيانات فهي تحب أن تعرف لاسم الذي كان يدعى به ابن السيدة
كلاريس أخت الكاهن

خرجت جان من عند الكاهن دون أن تحصل شيئاً من المعلومات
التي يريد

ركعت عند باب الكنيسة وراحت تفلي بمرارة والعبوات تنهمر
من عينيها وتقول

- رباه! ما يكون الآن وما العمل؟ إنّ ودي يقيم في باريس كما
فهمت من الكاهن - مع صديق للاب لوجييه - ولكن ترى أي

اسم قد اتحد ما دامت كلاريس قد سبت إليها واتحقت ابناً لها؟

لو أنني سألت أهل القرية برأيهم لم يري نكود الصحف قد
ذكرت الآن بأمراري فلا أزال من هذا الإلحاح إلا إثارة الشبهات
وتسريع اعتقالي من جديد
ثم نهدت وقالت -

- يسبح بي أنني بدأت أفقد الرجاء في المشور على ودي
فلأبحث إذا هن ابتي بوسي

وانطلقت من دورها إلى القرية التي كانت تقيم فيها الموضع التي
أرصدت أسفا قبضتها عند ظهر اليوم للتالي

كانت تعلم أن الموضع غير موجودة في القرية ما دامت مصلحة
البريد قد أرجعت إليها الوسائل التي كتبتها إليها وهي في السجن
ولكنها كانت ترجو أن تستفسر عنها من أهل القرية -

سارت إلى بيت الموضع وحين أشرفت عليه جمعت مكانها
حائرة مدحولة

لقد أحسنى المنزل ولم يعد باقياً منه أي أثر وفي مكانه قام
منزل رطب كبير

وداحت جان لتحدث إلى ابنتها - لئلاها امرأة أنها من أهل
القرية وأنها كانت تعرف مريضاً تدعى السيدة فرمي وأنها ماتت في

سبي حرب وكذلك مات أبها
فعلت جان

- إنها كانت تولى بربيه طفله يدعى لوسي منذ عشرين عاماً فهل
تعرفين مصير هذه الطفلة الآن؟

- في ذلك العهد لم أكن مقيمة في جواتي ولكن لا ريب أن

السيدة مريمي سلمت هذه الطفلة إلى الشرطة حين تحلف أهلها عن
الحضور لاستلامها فأودعت أحد الملاجئ - عليك بإدارة الشرطة
وللمرة الثانية طفت موجة جديدة من اليأس على جان فورتس

عندها بإدارة الشرطة اجمع إنها تعلم أن تلك هي الوسيطة الوحيدة
للاعتناء إلى ابنتها ولكنها في الوقت ذاته الوسيطة الوحيدة لفعلها
إلى لابدأ فلو أن شرطياً رآها لفض عينيها وساقها إلى السجن نوأ

وفي اليوم نفسه غادرت قرية جواتي واليأس يعصر فؤادها
استأجرت حان لنفسها غرفة صغيرة تقيم فيها - وقد كانت مقترعة
على بعض خشية أن يتعدى ما معها من مال قليل قبضته أجراً لها
حين كانت تعمل عمرة في مستشفى السجن -

وعلى رغم اليأس الذي انتابها كانت معولة على أن تواصل
البحث عن ولدتها علماً تهدي إليهما - ولكنها في الوقت ذاته
كاتب تريد عملاً تقصد من أجوره إذ أوشك م لديها من مال أن
بعد

غادرت مكانها - وسارت تبحث عن حالة متواضعة تتناول فيها
طعاماً - وعلى عشرات من الأمتار أخذت عيناها حالة عند بابها
لوحة تحمل هذه الكلمات : تملتنى الخبازين

- ١٨ -

حصلت بوسي ثوب الرقص إلى بيت ابنة جاك جوارود دون أن
يحظر لها بال أن ألصق جورج داريه وعد خطيبها لوسيان بال بعد
به عملاً في مصنع والد هذه الفتاة - فقد كن لوسيان اسم صاحب
المصنع عن لوسي عملاً بوصبة جورج إذ سأله أن يتكلم الأمر عن
الناس جميعاً - وإن كان قد كاشعها بما وعده جورج

وحين طرقت لوسي الباب كانت ماري هردان تقول في نفسها
- إني شديدة الشراء فلم لا أحاول أن أستخدم هذه الثروة في
استئمان الفقراء من الناس وتبديد أحرارهم

كاتب عليها المزمة يبحث في بعض الإشفاق والرحمة فتسمى نور
التي تحت المؤسسة من وهدة القافة - ولكن في بعض الأحيان حين
تشدد بها توبات السعال - كانت تنقلب على الدنيا بأسرها
تنتهي لو أنها ألقت بالعالم كله إلى أثون متقد

وقطع عيناها دخول بوسي تصوراتها فاستقبلتها بمرحبة وراحت
وهي تحرب الثوب تتحدث إليها - فعلمت منها أنها بتيمة لأبوين
وأنها مشأت في أحد الملاجئ - فقالت ماري بلمستكلو

- كيف هذا - فودعك منجاً ويطارعا قدما على أن لا تراه ١٩
فقلت بوسي بأسى -

- ما من أم ترعى بال تشخصي عن ابنتها بمرء لإرادتها - وما
بؤدي أي شيء حال بيبي وبين أمي ليعروني عطفاً وحنواً؟

- ولكن ألم تحاولي أن تستعمري من اللجوء عن حقيقة نسبك؟
- حاولت يا سيدتي - ولكن أنظمه الملاجئ تحرم إعطاء هذه

البيانات - فثأب أجهل اسم أسرتي
ويعمد برهة قصيرة فالت ماري -

- لقد أنبأني السيد أوعسين أنك أبرع عاملاتها - فم لا تشين
لنفسك عملاً للمحاطة؟

فابتسمت لوسي وقالت
- لا يد هذا من رأس مال كبير

- إنك رافرة لحساب فلم لا تسروحين رجلاً يمحك من المال م

نضرج وجهه بوسى حين سمعت هذه الكلمات فابسمت ماري وقالت

يلوح لي أنك تفكرين فعلاً في الزواج والأما تحصب وجهك احمراراً .

- هو ذاك يا سيدتي . ولكن خطيبي لغير لا يمكن أن أرجو منه معونة مالية هذا إلى أنه بائس علي أن أشتغل بعد الزواج فقالت ماري هزماً :

يسرني عندما تزوجين أن أدفع عنك كلمة الجهار (البائنة) على شريطة أن يادد بك ووجك بأن تحيطي لي ثيابي !

- إني موقة يا سيدتي من أنه من يرفض رحلي إذا ما سأته - أيمكنك أن تسجري هذا الثوب يوم الخميس القادم ؟ فإني ذاهبة إلى إحدى المحلات الرائعة

- سأعمره يا سيدتي . وما هو عنوانك فقد طلب لي أن أوردك بوسى ؟ ٩ شارع بوربون يا سيدتي

حسناً إلى اللقاء إذاً وسأكون في انتظارك يوم الخميس حين خلعت ماري هرمك بنفسها عرفتة موحدة من الاكتئاب وراحت تقول لنفسها

- مسكبه هذه العباءة ! إنها لفظة لا تعرف لها لنا أو أمما ! إنها كانت عتيقة أن تكون انفس العيات إذ حرمت عطف أم وحنانها وبيع ذلك فهي سمبله هناك لماذا ؟ لأنها عب ولأنها وجدت من يحبها . أما أنا العنقة العسية فم رلت حتى اليوم لا أجد من

يحيى ! رياء ! حقاً إلى الحياة بلا حب عذاب وجحيم !

وواجهها السعال في هذه اللحظة وكانت وطأته شديدة

فوقعت مندبلها على فمها وقد امتنع وجهها

وحين رفعت مندبلها راعها أن رأت فيه بقعاً دموية صغيرة

هتفت مدعورة

- رياء ؟ من أين هذا الدم ؟ إني أحس كأنما في صدري أنوب متأجج !

وبهفت بإعياء وناولت جرعة من الدواء ثم عادت إلى مكاتها أمام المدفأة . وأسلمت نفسها إلى التصورات والأحلام نصورات عمسة تبحث عن الحب وتسماء . . ولا تعصم أنها عن حافة القبرا

كانت حذرة «متقي الخبايا» مجمع الخبايا حقاً إذ كانوا يفتون عليها بعد فراغهم من أعمالهم يسألون فيها طعناً وشرماً

وخلعت جان مودتيه تباون طعنها وأحاديث القوم تنتهي إلى أديها إذ كانوا يتكلمون بفرت مرلح

وهفت من حديثهم أن إدارات الخبايا تشمر بحاجه ماسة إلى مورعاب للحبر عن الدور فلا تجد عن لارتفاع أجر الماء وقالت جان

- ولم لا أعمل مائة للحبر ؟ إني بذلك أنال ثلاثة مرنكات ونصفاً في اليوم وأعمل الشطر الأول من النهار ثم أمضي بقعة اليوم في البحث عن ودي

وتقدمت مسرعه إلى الخبايا الذي كان يتحدث عن أزمة المعاملات وأنبأته بأنها تبحث عن عمل . . فقال لها :

- إنني مؤسف من أن صاحبة الخبر سترحب باستعدادك ولكن
أنت تعرفين باريس جيداً؟

حق المعرفة - ولما يعبر علي أن أعرف المنازل التي أودع عليها
الخبر في خلال أيام قليلة

وكتب الخبر اسمها في مفكرته - ودعاها إلى الحضور إلى الخبر
في اليوم التالي في موعد عيته لها - ولكنها لم تذكر بطبيعة الحال
أنها تدعى جان فورييه ، - وإذ أتتته بأن اسمها سيرا بيرين

في صباح اليوم التالي ذهب جان إلى الخبر - وبعد حديث
قصير مع صاحبه عيته مورقة تدجير على أن تتقاضى في اليوم
ثلاثة عرنكات ومصفاً

وقالت لها صاحبة الخبر

- ومتراقتك حادمتي في خلال اليومين لأولين ولشما نطليع أرقام
المنازل في ذاكرتك

في صباح اليوم الثالث حملت جان فورييه الخبر وراحت تودعه
على الدور

وكانت الخياطة لوسي إحدى عميلاتها

حين رأت مائة الخبر لوسي شعرت على الفور بحيل شديد إليها
لم تكن تعرف أن تلك الفتاة إنما هي ابنتها التي تشدها وتبحث
عنها - ولكنها كانت تعرف أن هذه الفتاة وجدت لنفسها مكاناً في
عيناها

وكذلك يادلها لوسي المشعور نفسه

وهذه الفتاة وقد لاحظت أن جان تنقص بصعوبة

- يدوح بي أن صمود السلم أرقمت إذ كان الأمر كذلك فدت

إن تتركبي خبري عند الباب - - قولي له إنه ثلاثه لوسي ،
اجدلت جان عند سماعها هذا الاسم لوسي يا للمصادفة إنه
هو اسم ابنتها - ولو كانت اسمها الآن على يد أختها لكانت في مثل
سن هذه الفتاة - ولكان لها حمامها !
وقالت بالغة الخبر :

- كلاً يا ابنتي - إنني لست متعنة - ساحمل إليك خبر بعسي
كن صباح ولن أتوكة عند الباب لقد بدأت أحبك ،

ولكن لم يصل لها إنها أحبتها وبها تنمسي أن مراه كل يوم
لأنها تذكرها بابنتها تلك التي حرمت من لقائها منذ أكثر من عشرين
عاماً !

وفي كل يوم كانت جان تتردد على لوسي - تحمل إليها الخبر
وهي سعيدة راضية عن هذا العمل

لقد شعرت بحيل شديد إلى هذه الفتاة - وكانت ترقبها وهي
منهمكة في خياطة الثياب بعينين محببتين متفتحتين - وما جسدت يوماً
على أن يسألها عن ماضيها

وفي بعض الأحيان كانت تجد لوسيان لاجرو يتحدث إليها
ولكن ما حطر بيالها يوماً أن هذا الفتى هو ابن ذلك الرجل الذي
أنهت بقتله والدي زوجته بسية في السجن عشرين عاماً !

في اليوم الثاني من الشهر التالي بعث هامي جورج فورييه إلى
صديقه الرسام لوسيان يدعوه إلى مقابلته

وحين دخل عليه ابتدوه بقوله

- لقد كنسب إلي الأتمة هرمان لأطلب إليك أن تلعب إلى ريارها
غداً في الساعة العاشرة صباحاً حتى تقدمك إلى أبيها

- شكراً لك أيها الصديق

وقد كنت رسالة إلى السيد هرمان أحريك فيها رائته بما أعرف
من أمرك ومن سجاياك

- إني عاجز عن أن أقدم إليك الشكر .

وفي صباح اليوم التالي دخل لوسيان على حبيبته وهو يقول

- إني ذاهب الآن إلى مقابلة صاحب المصنع لقد سألي جورج
أن أكتب اسمه إلى أن أقال للمنصب ولكن ليس بيننا سر يكتم
إنه يدعى بول هرمان

فقالت لوسي على عجل

- المقيم في شارع موديل ؟

- هو بعبه أنتعظه ؟

- بل أعرف ابنة الأكنة ماري وهذا الثوب الذي بين يدي بها !
وأرجو أن تال يا عزيزي ما تصبر إليه .

في الساعة العاشرة كان لوسيان لا يرو حالاً في ماعه لاستقبال
يتحدث إلى ماري هرمان

حين رآه أدهشها منه ما يبدو عليه من سل الوجه وأتاه الثياب
وقالت له بسمعة *

- نعمد أوصاني بذلك صديقنا المحامي جورج دلويس وأطراك
كثيراً - ولها يسرني أن أتحدث إلى أبي في شأنك .

إني شاكر لك يا أنسي اهتمامك بمسئلي وهذا المنصب
الذي أطمح إليه سيتقدمني من متاعبي المالية التي أعانيها
فقالت ماري

- لا أكتفم منك أن هناك كثيرين يترحمون على هذا المنصب

ولكن أبي سم يقطع في الأمر برأي بعد - واعتقد أنه لي بحبيب
رجاتي - إن من عادتني أن لا أتدخل في أعمال أبي - ولكنني أتري
هذه المرة أن أتدخل إكراماً لبيد داره

وعاد لوسيان ينفي لها الشكر

ثم تطرق بينهما الحديث إلى مواضيع أخرى

وكالت ماري تصفي إلى حديثه بقدر حائق وقد اعتزم في
عبيها لهيبه غريب . . .
وفدنت

بعد دعوتك اليوم يا سيدي لأقدمك إلى أبي - ولكن جهاتي
مه برقية مد ساعة يحطري بأنه تحلف يوماً في بلجيكا عليك
موقداً بعد إفا

ثم ضحكت وقالت

- من المحيب يا سيدي أنني لا أعرف اسمك حتى الآن ؟

- لوسيان لوسيان لا يرو

هابست وقالت *

- لن أنسى هذا الاسم - وعكثت أن تعلمن يا سيد لا يرو

انصرف لوسيان وتخلت ماري بعصا . . . قالت

لوسيان اسم جميل ! ولكن ما هذا الشعور المحيب الذي
عراني ؟ كنت في حضرة أصمي إلى كل كلمة ينطق بها بعجاء
وتقدير . . . وكان يخيّل إلي أن حفات قلبي قد اشتدت !

بسم لا يد أن أحمل أبي على أن يمه إليه برفاة مصعده !

في ذلك المساء وصل جاك جارود إلى داره كما أنبا ابته يرقاً
وحين دخل عبيها نغطر قمه حرااب لقد راها شبيذة النحور

شاحه الوجه فأيقن أن العدة الدعيه احدثت تفكك بها
وتحرك قلب هذا السقار الذي لم يبيض له عرق يوم ارتكب
جريته الثلاثية

كان دائماً يحادع نفسه ويقول : كلا - إنها ستعيش
أنا اليوم فقد تجلّت به الحقيقة وعرف أنه الموت بسط دراعيه
ليحتضن فتاته الوحيد .

صمها إلى صدره وقال بيأس
- كيف حالك يا ابنتي ؟

- إني بخير وقد تحسنت صحي
وعاودتها نوبة من السعال كانت مكدة لقلوبها
وأحسن الألب المسكين أنه يوشك أن يجرى وكان عذابه عصاً لا
يطاق ولا يحتمل !

- ١٩ -

في صباح اليوم التالي دخل حاك جردود إلى مكتبه وراح يقرأ
الخطابات الواردة إليه

وكانت منها رسالة تحمل الطابع الأميركي
مضتها على عجل وأحد يظنوه إذ عرف أنها من أوليفر سويجر
في هذه الرسالة أنباء أوليفر أن ديون القمار أثقلت كاهه وأنه
أساء إثارة المصمغ قاضطر إلى بيعه أخيراً .
واختم أوليفر رسالته بقوله :

وقد بت أشعر يا بني الخذل العرير أنه لا طاقة لي على فراقك
معوذت على القسوم إلى فرنسا لأقيم مريئاً منك
حين قرأ حاك هذه الرسالة تولاه الغضب وقال مغمماً

- تباً له لقد أرمده هذا نشقي أبواب مصنع كان علقاً له بدر
عقب مئات الألوف ! وما هوذا يوري الخصور إلى فرد لقد حصبت
أنني يهذله المصمغ قد تحلصت من وعيده ! ولكن يلوح لي أنني لن
أزاح منه وأنه سيعود ليرحقني بطباته

وقبيل الساعة العاشرة بعين دخل الخادم على ماري هردان يسأل
بأن السيد الذي كان في روبرتها بالأمس حضر مرة أخرى
خفق قلب ماري حين سمعت هذا وتصرج وجهها احمراراً
وعائت في نفسها

- ما هذا؟ هل بدأ الحب ينمد إلى قلبي ؟

وأمرت الخادم بأن يدعوه إليها

وقالت تحاطب تومسيان حين دخل عليها

- إني لم أتحدث إلى أبي في شأنك بعد يا سبندي ولكني
عرفت أنه لم يعين أحداً في هذا المنصب حتى لأنك تارجوك أن
تنتظري هبة حتى أدعوك

ولم يطل انتظاره فما كانت في حاجة إلى إقناع أيها إنه من
يرفض بها رجاء ولا سيما أن صليقة الخامي داريه قد أطرى هذا
الشباب طرأة شديداً .

وبعد خضعت كان تومسيان في حضرة حاك جردود يدع إليه
الكتاب الذي بعث به إلى جورج داريه

وقال حاك يسأله

- كم تبلغ مذك ؟

- إني في السابعة والعشرين يا سيدي

- وأين وجدت ؟

- في الفور تميل

وشعر جاك أن الغمام جعلت في عروقه حين سمع اسم هذه
البيدة . . الفور تقبل . . ؟ إنها البدة التي فيها مصبع السيد لايروا
البدة التي ارتكب فيها جرائمه الرهيبة !

وعاد يقول وقد غادره روعه

- وهل أبواك على قيد الحياة ؟

- بل مات يا سيدي

- وما كان منه أبوك ؟

كان مهندساً ميكانيكياً وكان به مصبع في الفور تميل
امضغ وجهه جازء وعرفته الرعدة وقال .

- ما اسم أبوك ؟

- جون لايروا

فمال جاك مردداً على خير وعي منه

- لايروا ، لايروا

فقال لوسيان وقد رأى اضطراب جاك جازء .

- اكنتم تعرف أبي يا سيدي ؟

- لقد كان من أعر أصديقي وهذا ما أخرج اضطرابي حين
سمعت اسمه على غير انتظار ! وقد قرأت وأن في أميركي بأ العالمة
الأليمة التي حلت به

- فأنت تعرف كيف مات يا سيدي إذا ؟

- نعم ، قتلته بولاية المصبع في أثناء المطر

فقال لوسيان -

- هذا ما قاله القصة أما أنا فأعتقد أن الميوبة بريئة من هذه

التهمة

فارتعد جاك وقال :

- ولكن ما تقول في الأدلة التي قامت على إجرامها ؟ !

- إنها من تدبير الضروف القاهرة لقد أنبأني عمي أن انقلب لا
بد لأن يكون وجلاً له غاية معينة من قتل أبي

- ومن يكون هذا الرجل ؟

- مراقب المصبع فقد كاشفه أبي بسر اختراع جديد يموي
إخراجه فعنه غيظه وحرق المصبع ليسرى رسومات الاختراع إنه
يذهب جاك جازء .

وما إن سمع جاك هذه الكلمات حتى خيل إليه أن قلبه قد كف
عن الخفقان . . ولكنه قالك روعه بجهل مدموس وقال :

- ولكنني أذكر بما قرأت أن هذا الرجل مات شهيداً شهيداً حين
أراد أن يشل أموال أبيك من النيران !

- بك خدعة يا سيدي ! لا ريب أنه اقتحم النيران ثم غادر
الكتب دون أن يراه أحد !

- أليسك يرهان على ما تقول ؟

- كلا بكل أسف

- إذن فهذه كلها ظنون وأوهام لا تستند إلى أساس وما دام
حكم القضاء قد صدر فقد دمع الحقيقة

- كلا يا سيدي ! إنني أعلم أن الحقيقة لم تنكشف بعد . . ومن
أبطل بجهل في سبيل تبرئه هذه المتهمة البريئة

نصبت حين جاك عرفاً وقال

- وما يجيبك ذلك الآن وقد انقضت مدة طويلة لا يمكن معها أن

يعدم القاتل الحقيقي إلى المصاهر؟

سأنتقم نفسي لا شك أن هذا الرجل قد أثرى بي أصاب من أرباح ذلك الاختراع الذي سرقة من أبي - فلو أبي مصحته وشهرت به نقضت على منطقته - ولكن في ذلك انتقامي الأكبر!

وساد الصمت برهة - كان جاك يادي الاضطراب والحسوف معاً - وكان يقول في نفسه .

- رباه ! أبعد هذه السمات الطوال ألقى بين الرجل الذي قتلت - وأسمع منه أنه مران معبر على آثار لأبيه !

ثم تحول إلى الشاب فجاء وقال

جاء - لقد اخترتك مديراً لمصنعي إكراماً لأبيك الذي كان من خيرة اصديقي - وسأ كان إنشاء المصنع لم يتم بعد . فأحب أن تحمل في داري هذه إلى أن يتم تشييد المصنع - وقد جعلت راتبك ألف فرنك في الشهر

فراح لوسيان يشكره ويقول .

إني داهب الآن لأتناول طعام العشاء عني أن أعود قوراً لأشرح في مراجعة الرسوم

- بل تناول الغذاء معاً - فأرجوك أن تدعب إلى ماري في قاعة الاستقبال وتبشّر بذلك حتى تهني لك مقعداً على المائدة .

ولما خلا جاك جداره إلى نفسه قال

- ربلاه - إنه إن كتب أمري فلن يهتك السر هي قهسب وإنما سيقول أبي المحبوبة أيضاً! ومحال أن أدعه يفعل هذا! سأجعله يقيم إلى جوارري ومديك يسهل عليّ أن أرقب حركاته وسكناته! فإذ بدت منه بادرة تطوي على الشك قتلت عني المور كما قتلت أمه

من قبل! محال أن أتركه يشهر بي فيقتل أبي!

مضى لوسيان إلى قاعة الاستقبال وقال لماري

- ينبغي أن أشكرك يا أنسي فقد عيني أبوك مديراً لمصنعه

وحين سمعت ماري هذه الكلمات عرلها اضطراب شديد

فاستدت إلى الكرسي فعان بها لوسيان وقد أدركه الخرج علي

- يا الذي أصابك يا أنسي؟

- لا شيء... لقد أثر في الفرح تأثيراً شديداً - إنه عارضي بسره

يا سيدي وقد وال .

فعاد لوسيان يشكرها ويتناول يدها فقبضها وهو يقول

- محال أن أنسى فضلك يا أنسي .

وأصابتها من قبله رجعة شامخة .

وقالت في نفسها .

- رباه . . إني أحيه حياً شديداً

وأنيأها لوسيان بأنه سيتناول معها العشاء فاستعيت لكي تأمر

بإعداد المائدة

مصت ماري إلى أبيها وراحت تشكره على أن حقق رجاءها

وقد عيها رأى عبارات تلتصع .

ومعجأة - ملا الرعب قلبه . - قال في نفسه .

- ترى من أحببت ابنتي لوسيان؟ رباه! لو وقع هذا لكائن هذه

هي النكبة الكبرى - إنه القاتل تحب ابن القتل!

رباه ! أليكون هذا ؟ اللهم رحمة بي !

كانت جان مورييه تسمى أن تطبخ جلستها مع لوسي إذ أحست

بحورها فالت الحظ الشديد الذي يحته شعور لأمره الخمي

عوسلت إلى ذلك بأن حملت إليها قطعة من القماش وسألها أن
تخيطها بها ثوباً .

ومع ذلك جالسة معها راحت تستعمر منها عن ماضيها فقالت
لها

- أتعرفين الخياطة منذ زمن طويل؟

- منذ سبعة أعوام

- ولين تعلمتها؟

- في الملجأ الذي نشأت فيه

ارتعدت جان وقد ذكرت أن ابنتها هي أيضاً رويت في ملجأ
وأن هذه الفتاة تشترك معها في الاسم وقالت لها

- إننا فقد نشأت في ملجأ؟

- نعم - وقد تولته صبرة وم عروث أبي أو أمي

- ومي كان ذلك؟

- منذ إحدى وعشرين سنة

- وكم كانت سنك إذ ذاك؟

عام وبضعة شهور

- ومن الذي أودعك للملجأ؟ أهلك؟

- لا أدري!

- وهذا الاسم الذي تحملينه . من أطلقه عليك؟

- لا أدري أيضاً - فإذ إدارة الملجأ حرصت على أن نكتم

أسرارهم

وفي هذه اللحظة قرع الباب ففتحت لوسي

- ها هو ذا خطيبي لوسيان قد وجع - لقد ذهب في هذا الصباح

لبقيل رجلاً من رجال الأعمال وقد وعده بأن يجد له عملاً
مناسباً - لأن فعل استطعنا أن نتزوج بعد عام

وتعزّ لوسيان على خطيبته ما كان بينه وبين جاك جارود أي
الميد بول هرمان - فبعث الفتاة

- أتمنون حقاً ألعب فورك مرتباً شهرياً؟ هذه ثروة!

فايتم بوسان وقال

- أو على الأقل بداية الثروة - فإني أنوي أن أحتض مصنع أبي في

ألفورنميل

سرت الترجمة هي أوصال جان حين سمعت هذه الكلمات وقلب
بصوت المألوفة

- أكان لأبيك مصنع في ألفورنميل؟

وإذ أحس رأسه يجاباً قالت

- وما اسمه؟

- حول لأبرو - وقد ماتت متيلاً في أثناء حريق شب في

المصنع - وكان ذلك منذ واحد وعشرين عاماً .

أحسّت جان فجأة أنها يوشك بأن تنهاوى على الأرض متحاذلة

القرى - إنها هاربة من السجن - وفجأة تجد نفسها إزاء ابن الرجل

الذي ألهمت ظلاماً بقلته

ولمّا رأى لوسيان ما تبدي جان من اهتمام بأمر أبيه قال

- لا ريب أنك سمعت عن هذا الحادث يا سيدتي إذ لم يكن

بمصحف من حديث سواء في ذلك العهد! وقد انتهت بوابة

المصنع - ولكنني أعتقد أنها بريئة وأن القتاتل هو ذلك الرجل الذي

قبل إن أثار التهمة صدهب شهيد مروعته!

وردي لها ما سمع من عمته وكيف أنه يشاطرها اعتقادها في أن
جناك جنارود هو القاتل وأن قصة موته ليست إلا عبدة

وكذلك لهذا الحديث في نفس جان فورتييه أثر شديد . . هر
أعمالها هزات صعبة . . وهتت بأن تصبح به

.. سيدي ! هلئذا تلك المنهمة البرية !

ولكنها أسكتت . . وقد شاع في قلبها الاشتياح إذ عرفت أن ابن
القتيل لا يشاطر القضاء حكمه القاسي ضدها .
وقالت تسأله :

.. ولكن ما الذي توي أن تصبح بالقاتل حين تكشف أمره

.. أسعى إلى الإفراج عن تلك المسكينة جان فورتييه . . وقد

عهدت إلى صديق لي من كبار الضاميين بأن يتحرى عنها وهي لا
نزاع على قيد الحياة واستتصر امرأة بمقابلتها وأتحدث إليها . . فإن
أبعت من براءتها بدلت جهدي في إمالة الكرام من الحقيقة

وللمرة الثانية همت أن تصبح بأنها هي المنهمة البرية !

ولكنها أسكتت وأرغمت نفسها على الكتمان

وبعد برهة قالت

.. لقد قرأت أنه كان لهذا المسكينة ولدان فما الذي حل بهما ؟

تري ؟

.. لا أدري

وشحب لونها ! رياه . . أهكذا أقضي عليها كلما سألت من رديها

ألا تعلم إلا جواباً واحداً . . لا أدري . . لا أعلم ؟

وتحوك لوسيان إلى خطيبته وقال

إن هذا العمل الجديد مستحرم من لغائك يا صديقي إلا في

يوم الأحد

.. وماذا ؟

.. لأن السيد بول هرمان يصر علي أن يخصني بجناح في قصره
حتى يسهل عليه الاتصال بي حين يشاء .

.. لا بأس . . ما دام معك يقضي بذلك فلن أدمر

.. وسأخطر صاحب المنزل برغبتي في إخلاء حرفتي منذ العدد

فانبرت جان فورتييه تقول

.. وكم يجازي يا سيدي ؟

.. مائة وخمسون فرنكاً في الشهر ؟

.. إذا سأحل مكانك فيها

.. فهتت لوسي :

.. أكون سعيدة بذلك إذ أجد لي قريب ما يسري عني ما أحبه

من اعتماد لوسيان

وهي اليوم التالي سمعت جان فورتييه المعرفة المجاورة معرفة لوسي

دون أن يحظر لها يبال أن هذه الفتاة هي أبناً التي سبحت عنها في

باريس حجراً حجراً

- ٢٠ -

في ذلك اليوم أقم لوسيان لا يرو في ممر جناك جنارود يلوس

الرسومات ويضع التصحيحات وكانت ماري لا تنك تدخن عيبه

مكتبه من حين إلى آخر تنوكة إلى ذلك بجميع الخبيج والمعادير

ولم يكن هناك خفاء في أن صحبه ماري تمكنت تحسناً معهنوساً

في خلال تلك الأيام الغفيلة . . ولم يكن جناك من العباوه بحيث

يعوته إدراك السبب في هذا التطور الملموس

لقد أيقن أن ابنته أحببت لوسيان وأن الأقدار تدعّب نعبته
الحرية الزهية فتجتمع بين قنبي ابنة القاتل وبين القاتل !
ودخل لوسيان بدوره إلى الأمر

وبعد شهر أيقن أن ماري تحبه فساءه الأمر وحرّو حراً شديداً
كان يحب لوسي حباً لا يملك معه أن يعرض عهداً وفي الوقت
ذاته كان يشعر نحو ماري بعاطفة من الاعتراف بالجميل لا يملك
معها أن يحقّق قلبها

على أنه كان لا يعتا بمي النفس بقرب العرع من تشدد المصع
فإذا تم ذلك أقام في ضواحي باريس قريباً من مكان عمه وندرس
فرص اللقاء بينه وبين ماري
ولكن غاب عنه !

ما كان لوسيان يتقل إلى المصنع حتى راحت ماري تتردد على
المصنع مرات غير قليلة في الأسبوع مسحله بذلك مختلف
الأسباب حتى حين كان لوسيان يتحاشى لقاءه قدر الطاقة ويندر
أن يذهب إلى منزل أبيها

وفي يوم جاءته رساله من صديقه جورج داريه الهامي يدعوه فيها
إلى تناول العشاء معه

فلما التقيا قال الهامي

- لقد دعوتك لأبتك بما كان من أمر جان فوربيه المتهمه بقتل
أبيك وإحراق مصنعه !

- ماذا جرى لها . . هل ماتت ؟

- كلا . ولكنها فرت هاربة من السجن

- فرت هاربة ؟

وروى له جورج ما كان من أمر جنوب عقب صدور الحكم
عليها وكيف شمت ولدت إليها ذاكها حين رأت البراءة تلتهم
استدعى . . وكيف أنها استطاعت أن تهرب بعد أن أمضت نحو
عشرين سنة في سجنها

فقال لوسيان

- ألم يقبضوا عليها بعد ؟

- كلا . ولكن الأمر لم يطول فقد أديمت بشرة بأوصافها على
جميع رجال الشرطة

- مسكنة هذه المرأة . منذ أيام سمعت حديثاً عنها وقبل لي إنها
كانت من أنبل النساء !

- ومن سمعت هذا الحديث ؟

- من يالعة الخبر التي تتردد على لوسي . إنها امرأة تدعى ليرا
بيرين . وقد ذكرت لي أن جان فوربيه ابناً ويتأ

بعد أن خرج لوسيان من تناول الطعام مضى إلى مقابلة خطيبته
لوسي . واد دخل عندها ألقى يالعة الخبر برققتهم فلما تنهضت
للاتصراف استبقاها لوسيان إذ كان قد بدأ يحس بمعونه ميلاً
وعطفاً وقال

- بل ابني معنا . وإني أرجو إذا ما تزوجت أن أقود لك غرفة في
دارنا

فتألم لوسي

- وأنا أقس هذا من كل قنبي . وعساوي أجده فيها موضعاً من
ثلاث ألام التي فقدتها وأنا لا أزال رخصة أحسن على الأكتاف .

وقال لوسيان

- أنككرين هذه المتهمة البرية جاك فورنيه التي تحدثنا عنها منذ أيام؟

وروى لها ما قصه عليه الهامي جورج دارويه عن جنوبه وشعائيه وموارها من السجور . وقال مستظرفاً

- ولكن لا معر من أن تظهر بها الشرطة مره أخرى . هل أنت ترصدنا في كل مكان . ولا سيما أنه تتوقع أن قصي للبحث عن ودييه ولهذا أرسلت بعض رجالها في مدينتها لمراقبتها عند قدومها واستمع وجه جان حين سمعت هذه الكلمات وأشاحت بوجهها إخفاء لاضطرابها

في صباح ذلك اليوم معه كانت ماري هرمان جالسة في درشد شرفة الدعي ياديه الاكتاب

كانت تغرب لنفسها

- إنسي حسناء ثرية . وأبي من كبار الأعياء . ومع ذلك فلوسياك لا يحفل بي ولا بكاد يبالني بعوامي ! فما السر في هذا؟ وجعل اليأس والكبرياء يتنازعان قلبها وقالت في نفسها :

- ترى أليصدده عني ما بينا من هروق اجتماعية شامسة؟ بعد لا يجسر على مكاشفتي بهواه لعلمه بعقره وثراني؟

لا لا لا لا رب أنه يحبني . ولا يصرفه عن مبادتي الهوى إلا شعوره بأنه ذوي مكانة ومركزاً

ثم لا نليت أن ترونها الشكوك فتقول .

- كلاً . إنه لا يحسني . ويلاه . إنه إن لم يكن معروماً بي فقد قضى علي بالحب

وهيما هي في هذه الحواطر جاءها أبوها إلى مخدعها يقون

- ما بالك لميت غرفتك اليوم . هل أنت متوعدة يا ابنتي؟ فابست وقالت

كلاً يا أبته . ولكني أفكر

- وليم تفكرين؟

فككت حنيهة ثم قالت .

- أبته . دعني أطرح عليك سؤالاً

- سلفي ما يدنا بك يا ابنتي؟

- لقد أرميت اليوم على الساعة عشرة . مهلاً خطر بك أن تزوجني؟

عطبع على جبينها قبلة أبوية رحيمة وقال :

- أنككرين أن تظلي بقربي يا ابنتي؟ ألا تعلمين أن وجودك إلى

حائبي هو الذي يبعث في نفسي الشجاعة والجدد على العمل ؟

- وهل من المستحيل أن أجمع بين الزواج وبين بقائي بقربك؟

إن أحساً سمعت تقول هذا توقع في روعه أنك تكره أن تراني

متزوجة !

فابتسم وقال

لا أكتمك يا ابنتي أن هذا الحاطر طاف يذمي مراراً . وفي

كل مرة كنت أحسن أنني أشقى الناس .

- وأنا يا أبته . ألا ترى أنني أن ألبساً شقية مكودة الحظ ؟ أم

بعدك تحسب أن انال هو أساس السعادة ؟ إلي أريد أن أسعد بالحلب

يا أبته

- وأي ميل يمكن أن يراك ولا يهيم بك عراماً ؟

فما كنت ياردرأه.

في الحب يا أبته ليس من الضروري أن يكون الحب سيلاً
إني أحب عملاً صغيراً لكنني أيضاً سعيدة
وحقق قلب الأب إذ أدرك ما ترمي إليه ابنته بهذا الحديث
لم يعد خافياً عليه أنها إلى تعني لوسيان لا بروس
وساد السكون طويلاً
ثم قال الأب

- إني ذاهب اليوم إلى مكتب المحامي جورج داريه فقد اتفقت
رسم لم أره!

تشرق وجه الفتاة وقالت

- وما صاحبك يا أبته

ولا عجب فقد كانت تعلم أن الحديث بين الرجلين لا يدور
حول لوسيان - ولشد ما كان يسرها أن تسمع الناس يتحدثون عنه!
بعد نصف ساعة كان جاك جارود وابنته في زيارة جورج داريه
المحامي - وكما توقع ماري دار الحديث حول لوسيان واشترك فيه
المصور إنيين كاستل الذي كان حاضراً.

قالت ماري

- اليس للوسيان أسرة؟

- كلاً . . لقد حدثت جريمة ذهب أبوه ضحيتها

فما فتت الفتاة

- جريمة! إنه لم يحدث شيء من ذلك! ارووا لي القصة رجاءً
وأنا أوه بل يجاز بما كان من مصرع والد لوسيان وكيف أنه لم يم
موتاً طبيعياً في أثناء الحريق وإنما قتل قتلًا - وكيف اتهمتم حان

بقتله مع أن لوسيان ابنته يرثاب في إحرامها
وقالت ماري .

- ولكن كيف يرثاب في إجرام هذه المرأة جانا مورييه ما دام
القضاء قد آذنتها ؟

إنه يعتقد أن القضاء قد أخطأ - وكان صم على مقابقتها في
سجنها للاستعاضار منها عن الحقيقة - ولكن لأمر بات مستحيلاً
فما فتت ماري مستعسرة .

- ومن مات مستحيلاً؟ أماتت هذه المرأة؟

- كلاً - ولكنها لم تهارب!

لمتقع وجه جاك جارود وقال بصوت المضطرب .

- أهرت . . ؟

- نعم - ولكن لا بد من القبض عليها عاجلاً فإن رجال الشرطة
يترصدونها في كل مكان

فما فتت ماري

- ولكن ما تمهدي لوسيان معرفة القاتل والاقتصاص منه مع أن
ذلك مستحيل قضى المدة؟

- حسبه أن يشهر به ويضحه بين أصدقائه - لا شك أنه أصبح
الآن من الأغنياء بمأصاب من وراء الاختراع المبروق

فما فتت ماري

الحق إنه انتقام رخيص ولا سيما إذا كان لهذا الجاني الأسم أسرة
يحبه - ولكنه انتقام عاود - وإني لأخشى أن يظفر لوسيان بمقاتل
أيها!

وكان جاك يحس من هذه الكلمات مثلما يحس المقتول وسكون

خضمه تجري على عتفه !

لا أجمع على قلب الأب الذي يحب ابنته أن يسمح من بين
شئيه مثل هذا الحكم القاسي يصدر منه

وبعد صمت قصير قال جورج

إن لوسيان يحاول أن يقصد الآن ما يستطيع من مرتبه حتى
يحدث مصنع أبيه الذي احترق في الفورنغين . وملك هي لامية
التي يجيش بها صدره
فقلت ماري

- إنها أمه صعبة الخال ولا بد له أن يظن طويلاً إلا إذا
أراد أبي أن لا يطول انتظاره
فتحول إليها أموها يقول -

كيف يكون الأمر موطناً لإرادتي؟

فقلت العتاة

- لقد أنبأني من أيام أنك تنوي أن تنشئ مصنعاً جديداً . هؤلاء
يستطيع لوسيان إدارته؟

- طبعاً . - وسوف أعهد إليه بالأمر

فقلت ماري ببساطة .

- إننا أجمعه شريكاً لك . . !

أدملت هذه الكلمات جيورج والمصور إثنين . - وأراد أيمود أن
يعترض ويكفي بإدوته مقاطعة بقولها

- ولم الاعتراض يا أبي؟ ! إنها شريكة على قدم المساواة أنت
تقدم المال ولوسيان يقدم عمله وإدارته . وبعد فإني بحاجة إلى
شيء من الراحة . - ولوسيان فيما سمعت منك جدير بالثقة .

- إنه جدير بكل ثقة يا ابنتي . ولكن انشروع خطير لا يقدم
عليه امرء إلا بعد الشروي وإنعام الفكر . على أبي أوافق مبدئياً على
ما أشرب به

وحين نهض الأب وابته مرمحين على الانصراف قالت الفتاة
لحاطب المصور

- إلى سعبدة بنقائك يا سيدي ومبري . إن أذن تعصر أبي يحض
لروحائك الطالدة . فهل ترسل إلي بعضها مع لوحات أخرى
مصورين آخرين عسى أن يختارها بنفسك؟

- بكل لربح يا أنسي . - وإني شاكر لك ما أوليتني من ثقة
وشرف !

حين خلا الهامي والمصور أحدهما إلى الآخر قال جورج

- ما الذي فطنت إليه في أثناء هذه الزيارة ؟

- فطنت إلى أن ماري هرمان معتونة بلوسيان

- أصبت . - ولا شك عندي أنها ستزوجه

فقال المصور

- إني لا أشاعرك رأيك هذا . ألم تعطس إلى أن أباه كان قريماً
بهدا الحديث ؟!

- ولكنه يحبها ويكره أن يرفض بها حباً

يجوز . ولكني اعتقد أنه يحقت فكرة رواجها من لوسيان مقناً
قد يعطس حتى على حبه لا يبت . ومع ذلك سوف يرى

في خلال ذلك كانت المركبة شق الطرقات حاملة جاك جارود
وابنته وكل منهما عارى في خواطره لا ينقي إلى صاحبه كلمة

كادت ماري تمكر في ذلك لاقتراب الجريء الذي ألقت به إلى

أيها وكيف سألته في غير تردد أن يحدد لوسيان شركاً دون أن
تأتي بما قد يشتره هذا الاقتراح في ذهن اهامي والمصور من ظن
وكل ذلك جعله يفكر فيما سمع عن فرلو جان فودنييه من سجنه
وكيف أنها جاءت باريس تبحث عن ولديها
وجم من يقرب نفسه

- ليت شعري ما يكون من شأني إذا كشفت جان شخصيني قبل
أن يقبض عليها؟ ولكن لا ينبغي أن نقبض عليها الشرطه بل
أن نضعها في المعتقل ابنتي
ودكر في هذه المحطة الرسالة التي جاءت من أوليد سوليير يندوه
فيها يقدمه وقال في نفسه
- وناه انا هذه التكتيدات التي توشك أن تسألني أليكون في
باريس شخصان يعرفان سرّي؟ ولكني لا أختش أوليد . إن في
وسمي أن ألهم سانه بالمال أما جان فودنييه
وتصّب جيبه عرفاً .

القسم الثاني التكفير - ١ -

في داه صباح وصل أوليد سوليير باريس قادماً من أميركا
فذهب من فوره إلى دور فلين خاله جاك جارود فقيل له إنه ذهب
إلى مصنعه فمضى إليه من فوره
قرع أوليد باب المكتب ودخل . وما إن وقعت عليه أنظار جاك
حتى بهت وشحب لونه وقال في اضطراب
- أهـ أنت؟

- نعم . ولكن لم تتعدي بهذا البرود؟ أساءك قدومي يا ابن
الحال العزيز؟

وتعادت حاله روعه وهدأ منه بصباح أوليد ودعه إلى الخسوس
ثم قال يسله

- ولكن لم جئت تزورني؟

- لأسألك أن تجد لي عملاً في مصنعك

فصاح بغضب

- مآ لك 1 أعتكدا تضع ذلك المصنع العظيم الذي ننزلت لك
عه في بيومرنت؟

إنه القمار هو الذي أفسد حياتي وجعل يتارتي سيئة . 1
فقد أتت امالدة الخضرء على كل أموالي فلم يعد لدي شيء لا
بضعة دولارات لا تنفي من الأمر شيئاً . وبهذا أرجو أن تعفني

مدير مصنعك

م محال

م وما السيب . ٩

- إن مدير مصغي اإعالي هو ابن الرجل الذي فنته ابن جون
لابرو .! وإذا اجتمعنا فقد يجري سائك بكلمة تكون فيها
فصيحى والقضاء عني
فقال أولد

- ولكنني سأكون حذراً

- عني أية حال لا أستطيع أن أجد لك عملاً في مصغي لقد
محتك مصغماً هائلاً وخمسين ألف دولار . . فإذا كنت ضيمت كل
هذه بحماقتك وسوء تصرفك فلا يمكن أن تحيي مؤزراً ومطالباً
بالأعوض عيت ما خسرت
فقال أولد بصوت هادئ

- إذا فقد هولت على أن تتخلى عني ؟

- بلا ريب ! أنت الذي جئت عني فمست ؟

- وأنت الذي ستجي على نفسك

فقال جاك بوحشية

- اتخسبي أبالي بهديك ؟ إني أعلم ما يحرج في خاطرك
إنك تقور لتعسك إذا أسى أن يعطيني من المال ما أشاء فوعده
بالفضحة فبضطر أن يحشو فني المال حتى لا أتكلم

- كلا يا صاح ! لو كنت فمضغني م أصبت مي فرتكاً واحداً !

- وكيف ذلك ؟

- إذا عرفت أنك مصر على هتك سرى أهدقت النار على مصي

واسترحنت من شرورك فتقور ثروتي إلى ابني ولا نال منها شيئاً !
فمن خبير بك أن تكتم سرى لأنك قد نال مي في حياتي م لا
تأله بعد مماتي !

وماد الصعب برهة

وعرف أولد أن جاك صادق في قوله وأن اليأس قد يدعه إلى
الإنحار . ولى يستعيد شيئاً من موته
وقال

- ولكن كيف يطاوعك قلبك على أن تتخلى عني ؟

- ونكي لن أتخلى عك . سأمدك بمال عني أن لا تحارب
مقابلتي . سأنتدك كل شهر ألف فرنك .
- ألف فرنك ؟ هذا قليل !

إذا أفطعت عن المقامرة كان فوق الكعابة وبعد فليس في
وسعي أن أعطك أكثر من هذا ! وسأعطك الآن مرتب الشهر الأول
مع خمسة آلاف فرنك تؤثت بها درك
وقتح خراجه ودفع إليه ستة آلاف فرنك .

وهيم هما في الحديث مرع الباب ودخل الخادم يبي سيده بال
السيد لوسيان لابرو يطلب مقابلته

وبهمس أولد لبصرف ولكنه قبل أنه يعادر العروة ألقى على
لوسيان نظرة فاحصة وقال في نفسه

- إذا فقد صادق القاتل وابن النقيس ؟! إلا ما أعجب تصاريه
القدر ؟

حين خلا جاك بجارود بنفسه رح يقول .

- يا خطي ! هل تحلت عني الأندار ؟ وهل مداب العاصفة تنذر

بالهروب؟

جاء هورتييه هربت من السجن . وأوليد سوبير يتوعدني
ولوسيان لا يروى بحث صبي لعصبي !

رتله ! ما أشد حرج يوسف ! لا يعني من هذا المأزق إلا أن أقبل
هؤلاء الثلاثة . ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟

رح جاك يتروى في الأمر ويحاول أن يقنع صبي وسيلة يقضي بها
على مخصومه الثلاثة .

وإذ أدركه اليأس انفرجت أساوره فجاء وقال في نفسه وهو يهر
كتفيه بعيز أكثرات .

ولم الخوف ؟ وأي شر أخشى وقد احببت لسان أوليد
بأمواني . وبوسيان مقيد بما أغمره به من قفص ومساعدات . أما
جان فلا ريب أن السجى مصيرها . كلا ! ليس ثمة ما أخشى من
الثلاثة .

في غضون ذلك كانت حالة ماري الصحية سوء يوماً بعد يوم
كان يحب في أول الأمر بلسماً نعلتها الزمرة . أما لأن فقد
انقلب شراً يضاعف منها !

وسم يكن هناك جمعاء في أن الحب الذي أندها في عهده الأول
قد بدأ الآن يمثلها ويقضي عسها لما رأب من انصراف بوسيان
واعرافه صها

وكان أبوه أشد إدر كماً لعدة أبسه من سائر الأطباء ولكن ما
حيته ؟ وأي دراهم يمكنه أن يقدم إليها فيشفيها ؟

وهي ذات يوم لم تجد ماري بلداً من مكاشفته بما في ضها
دخل عليها يوماً فراه شاحبة فأخذ بيدها وقال يرمق

ـ ما بك يا ابنتي ؟ أمرضة أنت ؟

وعمرها مائة من السعال فقال

ـ أتألمين يا ماري ؟

فاجابت

ـ كل الأكم يا أبتاه !

ومن عين السفاك المعوي ؟ انحدرت دموعاً ورحمة وإشفاعاً وقال

ـ وأين لمحين لأكم ؟

ـ ها فوق موضع القلب !

تألم جاك وعصر اخرون مؤاده فوق موضع القلب ! ترى هل
أبنت الساعة الرهبة ؟

وقال .

ـ ولكني ما سمعت منك هذا يوماً !

ـ لأن عنتي لم تشد إلا منذ عهد قريب منذ عشي يحب هوزادي .
نظر إليها برهة ثم قال -

ـ أهو لوسيان لا يروى الذي تحينه ؟

غصت من جبرها وأحت رأسها إيجاباً وقالت

ـ لقد سرى حبه في جماني يا أبتاه ! ومحال أن انساه

انتفع وجه الأب وقال يقضي مكنوم :

ـ ولكن هذا الحب جنون !

فانزعج ماري تبكي وقالت رشيق البكاء يعلع كلماتها

ـ ليس في العالم قوة يمكن أن سرح هذا العرام من فسي يا أبتاه

ثم ما لبثت أن أردعت نفوس

.. ولكن لم نكره أن أتزوج لوسيان ؟ إن كان فقيراً فقد كنا نحن
فقراء في مسهل حياتنا . وف حاجته إلى المال وديننا من المال ما
يكفي ؟ ! وهو بعد لبس بالفتى الخامل .. إن له مستقبلاً ياهراً !
ومع ذلك فالحب يا أمته لبس سبعة تعرض ! هو أنه كان دميم
الصفت يا ملكة ! إلا أن أحبه !

اتخذته بك شريكاً . وزوجني لياه . وبعش من الثلاثة معاً
بذلك لصبح كل سبعة !

بهت جاك جازود صاعاً لا يجيب وقد استمرت الحواطر
وقالت الغتة

- إني أعرف أنك تحبني يا أمته . فإذا كنت لا تريد أن أموت
لزوجي لوسيان .

فهبك لأب بجرح
- لموتين !

- نعم . ألا ترى أن العلة تحرق في بدني ؟ مد أحبيته لزوجك
العلة وطأة علي ! ولا يشعني إلا أن أتحد زوجاً .

هنا لأب بصوت للذهول

سليتي ما شئت يا ابنتي أحقق رجاءك .. ولكن لا تغلبي علي
أن أزوجك لوسيان . إن من المستحيل أن يصح لك زوجاً

فقلت بإصرار

- ولكنني لن أتحد منه بديلاً

ودعنا شحب لوبها وارتجعت أوصالها . وخمخمت

- قلبي .. أحس أني أختني !

وتهاوى رأسها على مستند للبعد وأغمي عليها .

وفي جوف قلب ليوها وانغماً وقد ظن أنها ماتت

أخذ يده بصوت يقطع بياض القلوب واح يقول :

- ماري . حبيتي ماري . تكلمي . إني راض بكن ما تريد
سأزوجك من لوسيان أقسم على ذلك . ولكن تكلمي ! حبيتي !

ولكنها لم تتكلم ولم تجب !

ووثب يذق الخرس بعصف وهو يصيح

وتأه ! لقد قتلتها ! وصحي !

وأسرعت إحدى الخادومات تنبي الباء . وأدركت أن سيدتها
مضى عليها فبادرت تضح وجهها بالعطر

وتحركات ماري .. واحتجج جماعها

وانفجرت أسارير الأب وعمعم

- بدأ بعد كان معي عليها !

ويرفن حملها إلى فراشه وأرودها على سريرها

وحانت منه لفنة . وبن شعته رأى بقعة من الدم

وهو أمام هذا المشهد مشهد أمته الوحيدة تبصق دماً . لم
يسب ذلك الوحش إلا أن يكي !

اتهمرت العبرات من عينيها . وبن كالأعمال يشج وهتر يده
بأنفعل

وقبحت ماري عينيها ببطء . حال ببصرها في العرفة ثم

عمخمت بصوت لا يكاد يسمع .

- لوسيان . لوسيان !

عص ليوها بصوت مختنق

- اطمئني يا ابنتي . سنبشركي نحي . ونسعدك إلى جانيه

ودبت الحياة في اوصال الفتاة وقالت

أترضى أن أتوجه ؟

- نعم يا أباي وأقسم لك على ذلك لكن عيني لأجني ولأجده !

ذبت وقالت بصوت يحالطه الإعياء

- سأعيش وسأكون سعيدة !

كان جاك يحب ابنته وكان موتها لاشك خليفاً أن يقضي عليه ولم تكن لديه رغبة في أن هذا الزواج يعني أن يتم بينها وبين لوسيان

وقال في نفسه

- وما يدري أن هذا الزواج سيكون دعاً تقسي من انتقام لوسيان إذا انكشف به أمري إذ ليس معقولاً أن يشهر بوالد زوجته !

وصح عزمه على أن يفاخ لوسيان في أمر الزواج

دع إليه لوسيان وقال له

- إني أريد يا بني أن أحسنك في أمر خطير !

وكان يادي الاضطراب لا يدري كيف يستهل الحديث .

وبعد سكتة قصيرة استطرد

- لقد أخبرني جورج داريه أنك سوي أن تجد مصع أبيك في المورتييل

- هذا صحيح يا سيدي وهذه الأمية نجش في صدري من أحوال .

- اعلم إذا أن أميتك وشيكة أن تتحقق وسأكون لك عوناً على جميعي !

- حقاً ؟

- نعم إني أنوي أن أشتري مصعاً جديداً وقد اختبرت لباته مدينة المورتييل وسأقيمه على الأرض التي مام عليها مصع أبيك

فقال لوسيان

- إني أسف يا سيدي قلنا لا أنوي أن أبيع هذه الأرض !

- وهل سألتك أن تبيعني إياها ؟

قدت أمارات الدهش على وجه لوسيان وقال :

- ماذا تعني يا سيدي ؟

- أعني ألي سأخذك شريكاً لي أقدم إليك المال وأنت تسولي الإدارة إني في حاجه إلى شريك أمين شريف . . فقد تقدمت بي

الأعوام وأصبحت في حاجة إلى الراحة

سد السكون ههنا . وكان لوسيان لا يكاد يصدق أذنيه

كيف هذا ؟! أين هذه بوز هومان شريكاً ؟ وما الذي يحميه على هذا ؟

وقال لوسيان

- سيدي ! أنا لم أعمل بعد ما أستحق عليه هذه المكافأة !

قال جاك جارود بصوت هادي :

- أتعلم يا سيد لاجرو كيف انتخب أباي لآرباب الشراء ! وكيف

شاركت بيومي مورتيير وقد كنت عاملاً بسيطاً ؟

- طبعاً بجلك وبيوغك !

هذا أمر طبيعي ولكن خطوة الكبرى كانت حين روجني

مورتيير ابنته واتحدني له شريكاً فلم لا أجعل من مورتيير قدوة

بي ؟! أتحدثك شريكاً وأقدم إليك نصف ثروتي الباقي بآلة لايتي عد رواجك بها !

ولتعد لوسياك وقال بصوت المتلعثم .

- أنتهي أن تروج ، لكفة ملوي ؟

هو داه ! ولي حائل يقوم دونه هذا الزواج ؟ إن بيتي تحدث وقد اختارتك زوجاً لها .

ساد الصمت هيبه . . وبصوت متحشرج قال لوسياك :

- سيدي إن هذا العطف الذي تبديه نحوي يجعلني عاجزاً عن شكرك ولكن يؤسفني أن أرني مضطراً إلى الاعتذار عن قبول هذا الاقتراح

يدت لمارات الدهش على وجه جاك وقال -

- ماذا تقوى ؟ أنرفض أن تتزوج فتتي ؟ وما السبب ؟

- لأنني يا سيدي رجل ذو كرامة يأبى أن يزوجها في التراب

فقال جاك جارود عسى عاجل !

- ما هذا الذي تقوى ؟! يروح بي أنك أسأت قههم حديثي

أنحسسي أحاول أن أعربك بذلك ؟! ألم أقل إن ماري هامة بث حياً واختارتك زوجاً ؟

فقال لوسياك -

- فهمت هذا يا سيدي . . ولكني لا رلت مصراً على الرفض .

- وما السبب ؟

- إنني أحب فتاة أقسمت أن أتزوجها . . ومحال أن أحت

بمهدي

- وهذه الفتاة التي أحببت . . قرأها فقيرة ؟!

- إنها لا تفلك مالا

- وهل تحسب أن أحب يسوم مدى الحياة ؟! يروح بيتي يوا لك

لما حين يعنى الحب

- إن حبي لا يفنى يا سيدي !

- وماوي . . ألا تعلم أن رفضك هذا يمكن أن يقتلها ؟!

- إنها لا تلبث أن تنساني يا سيدي .

- وهذه الشررة التي أعرضها صيك ! إنك بهذا الرفض تعاد

سحبك بدمك !

- إنني آسف يا سيدي إن قلبي ليس بالسفلة المعروضة للبيع !

ثم انحنى أمام جاك وعاد الغرفة

حين حلا جاك معه صاح كاهلين

إنه لا يحب ابنتي ! يؤثر عليها فتاة فقيرة !

ولكن هذا لن يكون إذا لمي أن يتزوجها فتله !

ومحال أن أسمع خنوق بال يقتل ابنتي محال !

- ٢ -

بعد ظهر ذلك اليوم ذهبت ماري إلى زيارة خياطتها السيدة

أوغتين فبما وجدت عندها لوسي أقبلت عليها تقول ببهجة غتاب

أين أنت يا لوسي ؟! ثم انقطعت عن زيارتي بعد أن أخرجت

فستان الرفض ؟! إن حديثك يروقي !

فكرتها لوسي عسى تنصتها . واستطردت ماري تقول

- وفي بيتي أن أروك يوماً ما أنت تقيمين في شارع بوربون

رقم ٩ أليس كذلك ؟

- هو ذاك يا سيدي . . وهي زيارتك شرف لي !

وأصبحت ماري أكثر من ساعتين عند الحياطة وأوصت على الكثير من الثياب

وأخيراً رجعت إلى دارها

وحملت نكي تترقب ما يحمل إليها أبوها من الألبسة

وحين رجع في المساء أقبل عليها يقوون وهو يعانقها

- أراك الآن خيراً عما كنت في الصباح يا ابني !

- لقد أدامني النوم كثيراً ولكن خبرني أي ميا لديك؟ هل

تعدت إلى لوسيان؟

- تحدثت إليه يا ابني - وعكسي أن أقول إن الحياة ليست مائة

مطلعة كما كنت تتوهمين

- إنك دعماً لم تسته بأنني أحبه !

- وهل تموتني يا ابني مراعاة التقاليد؟ لقد قلت له إنه إن عطلت

فس أتردد في القبول

- وما كان جوابه؟

- إنه لم يكذب يصدق - قال إن ما يتنا من تبذير الثروة والمركز

الاجتماعي يجعل الأمر يبدو شيء مستحيل

- وإنني لفي شيء انتهوى الحديث بينكما؟

- لقد رصني أخيراً ولكنه اشترط شرطاً !

- أي شرط؟

- إنه رجل مبيع الصناعات يكره أن تكون لي يد عده - ولهذا

سألي أن أمهله حتى يصيب نورة برجوه من اختراع بوشك أن

يبرره

فعالب الغناة

- إن هذه الصناعات البيلة تخملي على تقديره - ولكن أنراه

يحبني كما أحبه؟

فقد أبوها مجيئاً

- ومن ذا الذي يحدث أن لا يحبك؟

عبرت ماري إلى أبيها وقالت

أبي ! أترأوني؟ ليس في قولك هذا ما يمكن أن يعد جواباً على

سؤالي !

فقال أبوها بشيء من الارتباب

- إنه لم يجبي بصراحة - ولكنني كنت أقرأ في عييه من الحب

آيات صراحة؟

حفن قلب الغناة وعالم

أنت وأهلاً؟

- محال ! فالمرء مرآة الحب

وسكنت الغناة هيبة ثم عادت تقوون .

- ولكن هل يطول الانتظار؟

- لا أدري - بضعة شهور في العالب

- وفي خلال هذه الفترة أكون ما يسي وبين لوسيان عندما

يكون بين خططين؟

وعلى غلب عنك أنه شديد الحياة؟

- ولكن أيرده الحياء عن مكاشفتي بحبه؟

- إنه سيتدبر على دارنا كثيراً على أي الأحوال

وقالت الغناة وقد تمت تبرات صوتها من الانتهاج

- أبي - أرجو أن تبادلوا بوعلاص عصبنا

- سأفعل يا ابنتي!

وجلس يسألان العشاء معاً

كانت ماري طينة السهرة مشرقه الوجه بدمعة الشعر وكان أبوها
كلما نظر إليها يقول في نفسه
لا يدرك أحمال عن نرويجها بلوسيان لو أنه لم يتزوجها
لماتت حروماً وضعفاً!

في صباح اليوم التالي دعا جاك جارود مدير مصنع لوسيان لآبرو
إلى مكتبه وكاشفه بأن هي مدينة بفقراد صفقة عظيمة ينبغي أن يسافر
أحدهما لإبرامها وقال :-
- ولدي من الأسباب ما يحول دون سعري فهل يجب أن تنوب
عني؟

فقال لوسيان :-

- بكل ارتياح يا سيدي . . فمضى تريد مني أنه أسافر؟
- قدأ . . وسأمتحك خمسة آلاف فرنك مكانة إضافية للمعدات
هذه الوحده ولأرجوك أن تبعث إليّ في كل يوم برسالة نبني فيها
ما عقدت من صفقات وأبرمت من عقود
وإذ خلا جاك جارود منعه قال :-

- ستتغرق هذه الوحده أسبوعين على الأقل وفي خلال هذه
الفترة أكون قد انتهيت إلى هذه العتاة التي يحبها لوسيان فأتدبر
الأمر معها فإن أبيت الاعتماد عنه فلتنتها بعير تردد
والأمر لا يحتمل إسهالاً فإف حياء ابنتي وانت حياء هذه
العتاة! ولي أب يرضى بأن يضحى ببيتة؟!

أما أوليد سوسر سيكون أداتي في ارتكاب هذه الجريمة وهو

في سبيل المال لا يمكن أن يحجم عن شيء

وبعد من إقدامه على قتل العتاة خديق أن يجمعه في قبضة
يدي كما أنا الآن في قبضة يده
ومرر كفيه ابتهاجاً

في ذلك المساء بعث جاك جارود إلى أوليد سوسر يدعوهُ إلى
مقابله .

وفي صراحة كاشفه بما في نفسه .

حينئذ عن فردم ابنته بلوسيان لآبرو . . وعرضه عليها لفرامه بعتاة
مقبرة . وكيف عرض عليه نصف ثروته غائب أن يحنث يمهده
للفتاة

وبال

وأنا رجل لا أحب في هذه القديب غير اسي . ومن أجلها لا
أحجم عن أن أضحي بكل شيء . ولا يمكن أن أغفل مكسوف
فليدين وأن أراه تفيل وتُدوي أمامي
- وماد تمعي؟

- أريد أن أزوج ابنتي بلوسيان لآبرو!

- ولكنك تنصرف عنها إلى فتاته!

فقال جارود بوحشية

- إنأ ينبغي أن تقتل فتاته!

- وهل انتدسي لأداء هذه المهمة؟

- بلا شك . وستتال الأجر الذي تبغي!

- ولكن ما اسم هذه العتاة؟ وما هو صوابها؟

- هذا ما لا أدريه ولكن عليك أن تدبر الأمر بقدر أقصيت

لوسيان بأن أوفده إلى بصراد في مهمة تستعد منه أسبوعين على الأقل . وسيسافر هناك أو بعد عدة . . ولا بد أن يمضي الليلة أو غداً إلى مقابلة خطيبته وتوديعها قبل سفره . إذفا ترصدت خطواته أمكنت أن تهتدي إلى عنوان الفتاة

ودكر له عنوان لا برو

وقال أوفد باسم

يمكنك بدأ أن تعتمد علي في القضاء على هذه الفتاة . ولكن لا تنس أنني سأسألك أجراً كبيراً
- ولي أسألك

وانصرف أوفد سوليفر وهو يمني نفسه بالأجر الضخم الذي سيبضه عاجلاً

كانت ماري هرمان من أسعد الناس

بانت ليستها تحلم بحرب زوجها من لوسيان لا برو . وعلى رغم العدة الويلة التي تمخر في صدرها سرى في وجنتها تورد بعث الحب .

ولكنها حين عرفت أن لوسيان مسافر إلى بصراد وأن غيبته ستطول أسبوعين أو ثلاثة . امتنع لديها وأدركها الشحوب ولكن أباه استدرك الموقف بعوله

- إني ما أوفدته إلى بصراد يا أبي إلا تمهيداً لإشراكه معي . يجب أن يتحمل مسؤولية تصرف الأمور وسوءه وسري عنها . ووجدت في هذه الحجة ما خفف عنها لوعة الفراق

وفي الساعة نفسها التي جرى فيها هذا الحديث بين الأب وابنته

كان أوفد سوليفر يرصد باب لوسيان لا برو وقد تنكر في ردي كهل ليس من السهل اكتشاف حقيقة أمره

وبعد ساعة غادر لوسيان داره فابطلق أوفد في أثره وهو يقول في نفسه

- ترى من تكون هذه الفتاة التي يحبها لوسيان . ؟

ومضى لوسيان إلى الدار التي تشغل لوسي غرفة منها وصعد إليها على حين اتروى أوفد على قرب يرقب ما يجري . استعيت لوسي خطيبها بلبتهاج وقالت تعالته
- لقد أبطأ يا لوسيان . وقد كاد الجوع يضني
فصحك وقال

إذا عيا بنا فقد كاد يقنني أنا أيضاً

ثم ما لبث أن أردف

- على أنه ينبغي أولاً أن أكاشفت ببزاهم وإن كنت أعلم أنه يسوزك

فالت وقد سرى القلق إلى نفسه

- أي هذا يا ترى ؟

- إني مسافر إلى بصراد

وحديثها بالامر

فانصت وقالت

- هذا أسوأ يسوزي ويسعدي في آن واحد . يسوزي مع فراقك ويسعدي أنك أصبحت أهلاً لشعة السيد هرمان . ومن أجل هذا سأصبر حتى هذه الأسابيع الثلاثة لا أتدمر ولا ألتكو فابسم وقال .

- أما أن تاشكوا ؟

- سي ؟

- بل من عملي وهي بيبي أن لا ألبث طويلاً في خدمه السيد

هرمان

دهشت لوسي وقالت

- ولكن ما السبب ؟

- إنه سبب خطير . وسأحدثك به فيما بعد

- وبم لا يكون الآن ؟

- لأنني أريد أن أتحدث إليك لأن في شؤون أخرى

ثم قال على الفور ممبهاً الحديث

- كس أتمنى أن تلتزمك السيدة ليزا بيرين في أثناء غيابتي .

- هذا مستعد الآن . . فإن صاحبة المخبر لا تزال حريجه الفراش

وهي مضطربة لهذا أن تسهر على تمريضها

فما كان هذا الحديث يدور بين المخططين طرق الباب ودخلت

بوبة المنزل تليق لوسي بأن سيدة تنتظرها في مركبتها عند الباب

وهبطت لوسي مسرعة لتتولى هذه الزائرة فألقتهما ، لاكتسة ماري

هرمان

تبادلتا الفتاتان التحية وقالت ماري

- إنني داهية يا لوسي لأنك في غابة بولوبيا فهل لك أن ترافقيني

فتؤسي وحدي

بدا لاوتساح على وجه لوسي وقالت

- ما كان أحب إلي من هذا ولكن في رياتي ضيقاً لا أستطيع

أن أوجه وأنصرف

فقالت ماري باسمة :

- وهل هذا الضيف ضرر عندك إلى هذا الحد ؟

فارتسمت ابتسامه على شفاتي لوسي وقالت

- داه سرري . فإن أردت أن تنيبيه بأصعدي معي . وإنني موفه

من أن الأمر سيكون عندك مفاجأة مذهلة

وأثارت هذه الكلمة فضول ماري هرمان

مرلت من مركبتها وأحدث ترتقي السلم وكانت عرفة لوسي

واقعة في الطابق الأخير . والسلم عال مرتفع . وأنهكه الصعود

ونكهت ثابتة وتحملت على نفسها إذ لم تكن تعرف أنها

مصدرة !

وأخيراً بدت الغرفة

دفعت لوسي الباب وقالت :

- تعصلي يا سيدتي بالدخول

ووقع بصر ماري على لوسيان . ورأها كما وأنه . وصاح الاثنان

صيحة دهش . وألقت ماري يدها فوق قلبها وقد سرى لإعياء

إليها فحاة

وقالت لوسي دون أن تفطن إلى ما عرا صاحبها من اضطراب

- إنك تعرفه طبعاً يا سيدتي ؟

لم تجب ماري على هذا السؤال . كانت كمن لا يسمع أو

بهم . . وإنما التفت إلى لوسيان وقالت

- لم أكن أتوقع أن أراك هنا يا سيدتي !

جمد لوسيان صامتاً لا يجيب . . ولكن لوسي انهمرت تقول عنه .

- إن صدري يا سيدتي . وقد اعتاد أن يروني كل يوم أحد

لنالت بوسي وهي تعالب هوأظفها

- أتعرفيه منذ عهد طويل؟

- منذ صامس فقد كان يقيم في هذا المنزل وقد استحال
صداقتنا حباً وهو الآن خطيب وعاجلاً أرف إليه

وكان بوسيان واقعاً كمنصوق كان يعلم أن كل كلمة تنطق
بها بوسي إنما هي طعنة مسددة إلى قلب هذه الفتاة للسلوة
ويكن ما حيلته في الأمر وبم الذي يسعه أن يعمل ليتلافى هذه
الموقف؟

إنه يحب لوسي لا ماري وليس في رصعه أن يحدث الفتاة أو
أن يقدم إليها كانه سلعة تباع وتشترى
وعجبت لوسي حين رأت ما هرا ماري من شحوب واضطراب
وأبليت عليها تقول بحسب

- ما يث يا سيسي؟ هل أرفقت صعود السلم؟ نضفي
باجلوس .

عالت ماري ما ينسبها وقالت

- ليس بي شيء! إنني منصرفة ما دام ليس لي وسعت مرافقتي .

ثم تحوكت إلى لوسيان وفادت

- لقد سألتني لوسي أن أصعد إلى غرفتها وقالت إنني سألقى بها
معاجأة تدهشي وقد صدقت يا سيدي! ولكني موقنة من أن
الأمر عند أبي سيكون مفاجأة أجل وأعظم!

ثم أوتت ظهرها ومشت إلى الباب

كانت لوسي في عجب مما رأت . . تسائل نفسها عن سر هذا
الاضطراب المجاني الذي انتاب ماري وما شغل الموقف بعنة من

برود غير طبيعي

وكان لوسيان حزيناً مكتئباً بعدم أن هذا الموقف قد دفع بالفتاة
بمسكة إلى القبر!

وقالت لوسي نكاه

- ما الذي أصاب ماري حتى طرأ عليها مفاجأة هذا التغير
العجيب؟

هال مروغاً

- ربي أرفقها صعود السلم!

فصعقت لوسي .

- مسكينة! أيد السل يكاد يقتلها!

فضمم لوسيان

- مسكينة!

وفي سره قال

- إن الحب يوشك أن يقتلها!

- ٣ -

كان أوليد سوليغر وهو في مكتبه يرى من يدخل بيت بوسي أو
يخرج منه وقد رأى ماري وهي تصعد المذرج ثم رآها وهي
تعود مسرعة وقد هراها اضطراب شديد .

وقد عجب للأمر رواج يسائل نفسه عن سر هذه الزيارة . وأيه
علاقه بين ماري هرامان ومناقشتها خطية لوسيان لاهرو؟
وتقدم من البواب وقال يسأله .

- من تكون هذه السيدة التي دعيت صاحبة المركبة إلى الصعود؟

« إنها خيالة تدعى لوسي ، وهي فتاة شريفة ، - فإذا كنت تسمع في هواها فحير لك أن تقطع الرجاء - إن لها خطيباً يدعى السيد لوسيان لا برو

والقى عليه أوليد بضعة أسئلة ثم انصرف وهو يقول في نفسه ،
- لا بد أن أحمل إلى جاك بآريارة ابنته لخصمة لوسيان .
حين استقلت ماري مركبتها انطلقت مسرعة إلى فلور
ودخلت على أبيها تسير في إعياء .

رفع رأسه إليها واد رآه شاحبة الوجه هيب واقفاً وهو يقول ،
- ابنتي ! - ابنتي ! - بك أيتها العذرة ؟

تهالكت على أحد المقاعد وقالت بصوت ضعيف

لقد جدد عني ! لقد كذبت علي ! إن لوسيان لا يحصي
إنه يحب فتاة أخرى ! وسيتزوج هذه الفتاة !
وصاح الأب المسكين

- وكيف عرفت هذا؟ من كشف بك هذا السر؟ إني ما كنت
هناك هذا الأمر إلا بيميني من أنني سأقتلع هذا الحب من قلب
لوسيان ! ولكن من أفضى إليك بهذا السر؟

- من أفضى به إلي ؟ الفتاة نفسها ! إنها سعيدة مرهورة بحبي !
- إذا فقد رأيها؟ من تكون هذه الفتاة ؟

- خيالة تدعى لوسي ! لقد رأيته واقفة إلى جانب
خطيبها ، - وكذت أموت غماً - ولا أدري كيف لم أمت !

فقال جاك جارود

- إنه لا يحب هذه الفتاة يا ابنتي ! ولن يتزوجها !

- ولكن لم كذبت علي يا أبتاه ؟ لم كنت عي الجمعية ؟

وصاح الأب وقلبه يمزق

- ماري ! ابنتي العذرة - اعلمي أنني أحبك - - وأني ما كذبت
عليك إلا لأني لم أكن أعقب أن أرى دموعك وعذابك !

- إذا فقد كنت تعرف أنه يحب فتاة أخرى ؟

- إنه هو نفسه الذي كشفني بذلك - - وقد رجوته أن يتروى في
الأمر وأن يقارن بين الرواح بأسرة فقيرة وامرأة ثمة الملايين - وقد
كذبت عني لأني موثق من العور - سأقهر منافستك وأرغمها على
الخروج من حياة لوسيان بأية وسيلة - لما كنت لأدعك حريمه
يأكله وأن واقف مكتوف اليدين عاجلاً سريره يا ابنتي جاثياً عند
قدمك يتوسل إليك أن تحبه وأن تسعديه ! وستكونين إذ ذاك أسعد
النساء .

ظهرت كعيب وعصفت بلهجة يائسة

- سأكون أسعد النساء ؟ كاتب السعادة عدي حتماً وتبدد !

فصاح جاك جارود وهو يتعجب

- أقسم لك بذكرى أمك أنك ستزوجين لوسيان !

فقلبت لوسي

أي ! أقبل هذا نقدي من الموت ! إنه يحبها ويؤثرها
علي فتاة لبقعة شأت في الملجأ لا أب لها ولا دم تشقيبي
هذا الشقاء كله ؟

فقال أبوها

- اعلمي أنني لا أحبها ربما كانت صديقتي وسيتخفى
عنها إذا ما تزوجت !

وامتقع وجه ماري وهضب بصوت مختنق :

- لشد ما أبغض هذه الفتاة . . لقد قصت على هنائي ؟ -

فقال أبوهم مستلاً

- لقد أقسمت لك بذكرى أمك أنك متصبحين زوجة لوسيان

ومحال أن أحدث بهذا القسم !

- وهذه العتاة؟

- مبهجراً

- بل لم يهجرها؟

- أبعداً عنه بوسيلة - هبنا ادعني إلى غرفتك يا بني

ودعني أقدير الأمر

ما كادت ماري تعادر مكتب أبيها حتى جاء أوليفد سولمير يروره

وروى له أوليفد ما كان من زياره ابنته لخطيبة لوسيان وقال

مستلاً

- وقد جئت لمساكت من سر هذه الزيارة العجيبة

فقال جاك جارود مجيباً

- لقد أتيتني ابنتي بكل شيء - إن هذه الفتاة هي حياتها !

ووروى له ما عرف من أمر الفتاة وكيف أنها نقيطة لا تعرف بها أباً

أو أمّاً

وقال يسأله :

- وعلام عرفت الآن ؟

- لا أدري . . ولكني سأراقب لوسي مراقبة دقيقة ثم أضج عظمي

بعد ذلك . . ولكني لا بد لتحقيق هذا الأمر من نفقات كثيرة

- لا تبك بالأمر - أنفق كما تشاء - كل ما أبقي هو أن أزوج

اسي بلوسيان ولو انقمت على تحقيق هذه العاية نصف ثروتي !

ودفع إليه أوراقاً يقديه فيمتها عشرون ألف فرنك وقال

- هذه نفقاتك - أما مكافأتك علي حساب آخر

أصب لوسي صاحبة بهارم مع خطيبها لوسيان يسرها في

إحدى الحدائق

وفي المساء رجعا إلى دارهم فقال لوسيان وقد رأى غرفة لبرا

ميريس مظافة الأنوار

- إن بالعة الخبير ثم تعد بعد ؟

- هذا لأنها تتولى غرض صاحب الخبير

ورجعا هما يتناولان العشاء فرج الباب ودخلت عليهما جان

هورتيه

أبياها لوسيان يسره إلى سمراء وقال

تري هل شعيت صاحبة الخبير حتى أعهد إليك بملازمة لوسي

في أشء غيبتني؟

فقالت جان في أصف

- ما كان أحب إليّ أن أفعل هذا - ولكني لا أسمى أن أتحدث

عن صاحبة الخبير وهي في محنتها - على أنني سأحاول دائماً أن

أزورها كلما تهيأت لي الفرصة

وشكرها لوسيان - وفي صباح اليوم الثاني كان في طريقه إلى

سمراء -

- ٤ -

كان أوليفد سولمير رجلاً بلا قلب

في سبيل الحصول على المال لم يكن يحجم عن شيء - وبعد

هذا جاك جارود بأن يقتل لوسي . . وانقسم أن يبر بوعده دون أن

- 193 -

- 192 -

بأخذه رحمة يشابهها أو جمالها !

ولكن ما كان في وسعه أن يمنحها إلا إذا راقبها ودرس حركاتها
وسكناتها وعرف متى تعاد دأوه ومتى تعود إليها عند ذهبها إلى
مشغل السيدة أوجسثين .

وتكرر في ربي الخسائيل ومضى إلى المشغل وطلب مقابلة
بوسي . فقبل له إنها تعمل في منزله ولا تحضر إلى المشغل إلا
لتقدم ما نجر من ثياب . فقال

- وأين منزلها ؟

في شارع بوريون . أترك محمد رساله إليها ؟

- كلا . - ولكن أحد النبلاء أوفدني إليها لأسألها كلاماً

وضحكك العامة التي كان أوليد يتحدث إليها وقالت متهمك

- اذهب إذا إليها في داره ! والله لقد كنت بحسبها فتاة طاهرة

فماذا بها على شاكنتنا مستهترا لها علاقات خفية بالنبلاء ! وأرجوك أن

يلعب عي أنه لا يجل بها بعد هذا أن مجدداً وتظاهر بالعفاف !

ولما انصرف أوليد أقبل على بوابه المشغل وراح يستعسر منها

عن اسم العاملة التي كان يتحدث إليها

ومطرت إليه البوابة بازدياد فتقدمها قطعة ذهبية أصلفت لسانها

فكانت

- إنها تدعى أمائد . ونست نستفسر عنها حسابك الخاص

بطبيعة الحال . . فربما باهظة النفقات

- كلا . وإنما لحساب أحد النبلاء .

- إذا كان على استعداد لأن يندس فيسبال مهة كل ما يريد !

- إنه واسع الثراء لا يبالي بالإعناق .

وفي مساء ذلك اليوم حين همت أمائد بمعاودة المشغل ذهبت
البوابة وأسرت إليها بعموى الحديث الذي جرى بينها وبين الخصال
وقالت .

- فلك إذا أن تستطري صديقاً جديداً

فغاب أمائد ضاحكة

وهل أطريتي عدو ؟

كل الإطراء !

- حسناً . إذ تخفى ما أصبو إليه خشوت جوبك بجمال

وما كادت أمائد تبعد عن المشغل حتى شعرت بأن هناك من

ينصتها

ولم يداخلها شك في أن مطردع هو ذلك البيل الذي حدثتها

عنه البوابة بأنه أوفد حملاً يتعسر عنها في الصباح

وتنهلت أمائد في سيرها حتى لحق بها الرجل . - ألمته كهلاً في

الخمين من العمر . . ولكنه كان أتيق الثياب تدل سمته على الثراء .

وما كان هذا الرجل إلا أوليد متكرراً .

حياتها برشاقة فردت عليه تخيته . . ثم أردت تقول

- ولكي لم أشرف بمعرفتك من قبل يا سيدي ؟

فقال صجياً في كباة

- هذا لأن المعجيين بك كثيرين فيتحيل أن يعرفهم جميعاً

وسرها منه هذا الخوايب الظريف اللبق عاتست . فقال

- وهذه الأبتسامه هي في ذاتها بطاقة أقدامها إلثا . والآن وقد

بنا صديقين أتمتعهم لي بأن أدهوك إلى ماون انطعام معي ؟

وبعد ربع ساعة كان في مطعم أتيق يتاولان العشاء

وحين فرغ من العشاء استقلاً مركبة وأمر أوليد السائق بأن يمضي
بهما إلى دار أماندا.

وعند الباب قال وهو يودعها

- عداً ملصقي

- أين؟

- عند الظهر وفي المطعم الذي عهدت أن تتأوني فيه
معاملك

- أتعرفه إذا؟

- كما أعرف كل شيء صحت

وعند ظهر اليوم التالي التقى في المطعم فقامت أماندا -

- يسبي أن أعجل شاي طعاسي قهني ذاهية إلى إحدى

العاملات بثوب للرقص لكي تجره

- وهل مريبها بعد؟

- في شارع بوربون

وعلم أنها ذاهية إلى لوسي

وفي الطريق إلى شارع بوربون راح يتدرجها في الحديث فعلم

أن هذا الثوب لزوج عمدة كزيس تي كولومب إذ أنها مدعوة إلى

الخطبة الستوية التي تصممها زوجة مدير مقاطعة السبر

وقال أوليد

- ولم لا تعهد السيدة أرغستين بهذا الثوب إلى عاملة أخرى؟

- لأن لوسي سريعة في إنجاز عملها - تصور أنها ستخرج من هذا

الثوب بعد صد وتذهب إلى كازين دي كولومب لتجربه زوجة

العمدة

- ولكن هذه البلدة بعيدة!

- إنها مرحلة جميلة بالنسبة الخديبة فإذا ما هبطت من القطار

قطعت العباءة سيراً على الأقدام على أنني أبحر هذه المرحلة لبلدة

إذ تنعدم أقدام نقاره في العباءة أما في الشهر فهي من أمتع

الزخارف وهذه السيدة شديدة التائق وقد أيقنتي مرة لنا ولوسي

حتى الساعة العاشرة مساء

فضحك أوليد وقال

- لا ريب أن الخوف استولى عليك!

- لم كنت مكاناً يا صديقي مت رعباً فالطريق مظلمة مغمرة

وعندما وقعت المركبة بباب لوسي صعدت إليها أماندا على حين

بقي أوليد في المركبة يرقب عودها

وبعد نصف ساعة رجعت أماندا إلى المشغل بعد أن اتفقت مع

أوليد على التلقاء في مساء

كان لومسان وهو في طريقه إلى بيمراد لا يفكر مرة في حظته

لوسي إلا تراوت بعنه صورة ماري هرمال معدية مسدولة

تبصق دماً!

لهاها معدودة على ظهر الأرض وتشد تيل أنه نموت أن

يسعدك الحب ويو يوماً واحداً

وكان كلما ذكرها كلما أحطد الحزن وعصر مؤاده

وقال في نفسه

- إذ هذه الفتاة على حافة القفر فلم لا أجاملها في حياتها

القصيرة يأخذ أنظاها بالعطف عليها بل بحبها حتى تقضي ما بقي لها

من أيام؟ عموماً أرجع إلى باريس سأحدث إلى لوسي في الأمر

وعندما بعث إلى مود هرمان برسالة الأرسى ديبها بسطورين تحدث
فيهما عن ابنة ماري . فسأله أن يلغها لطيب ثمنائه . وأنها عسى
ما بينهما من بعد المسافة مائة في دمه وأن من اتصال أن يسي يوماً
واحداً أنه مدين بها بما أصاب في حياته من منصب دي شانه
وما كاد جاك يقرأ هذه الرسالة حتى اعتبط بها اعتباطاً شديداً
ورأى في كلمات لوسبان شيئاً بالحب ينتظر . فطارها إلى ابنة
وأطلعها عليها . وهو يقول
- أرايت؟! ما هو ذا قد بدأ يحبك

فقالت ماري في أسى
- أنظر ذلك يا أبتاه؟ إنه في هذه الرسالة لا يتحدث عني (ألا من
ما فيه اعترافه بعقلي عليه) ولكنني أريد حديثاً غير هذا . أريد
حديث الحب لا حديث الاعتراف بالجميل!
ولكن ألا تريد يا ابنتي من خلال سطوره أنه بدأ يفكر فيك؟ إن
هذا التفكير يوشك أن يطفئ على تفكيره في لوسي؟
فقالت ماري بمرارة

- لا تتحدث نفسك يا أبتاه .
ولم يرد أبوها على ذلك شيئاً وإنما قال في نفسه :
- ما يدري أيها عني صواب فيما تقول . . وأنه لم يدعه إلى
كتابة هذه الكلمات إلا شعوره بعصلها عنه لا شعوره بالحب لها؟
ولكن لا بد من أن أجمع بينهما . لا بد من إزالة لوسي من
الطريق!

وحسب إلى مكتبه فبعث برسالة إلى لوسبان احتشمتها بقوله
«إن ماري مريضة جداً والحب هو علاجها الوحيد! والدواء

بيدك كما ترى . . فهل تدعها تموت؟!»

في صباح اليوم التالي سافر أوليفر سويدمو إلى كدلين دي
كولومب وعالير الطريق من محطة السكة الحديد إلى بيت العمدة
فألقاها كما ذكرت له أماندا مقفرة نقطع غابة لا يمر فيها من الناس
إلا القليلون في النهار فما بالذك في الليل . فقال في نفسه
- عندما نهم لوسي بالعودة من بيت العمدة بعد أن نجرب الثوب
لزوجته أكون في انتظارها في هذه العاية المقفرة المظلمة . فأصاحها
بطعمة تكون القاضية

ومعاً رجع من كدلين دي كولومب فطلق من قوره إلى مقابله
جلك جارود وقال له
- لقد آذ الأذان!

وأدرك جلك ما يرمي إليه بهذه الكلمات فقال :
- أحقاً حالت سعة الضربة القاضية؟
- وستكون قاضية . . لا ريب في ذلك!

وروى له ما كان من أبحاثه وكيف عرف بإحدى رميلات لوسي
بعد أن ندم إليها باسم اليارون أربود دي ريس فاستغنى منها
المعلومات التي ستهون عليه مهته
ثم قال مسرلاً

- وعليك في العمد أن تبقى في مصحك حتى منتصف الليل
وسأحضر لوزارتك مهراً لترغم أن يسي ويسك عملاً هاماً خصباً
وحسب أنك في مكتبك حتى منتصف الليل . ولكنني في المساء
أجلس سرّاً فأصرب غربي القاضية ثم أرتد إليك سرّاً دون أن يشعر
أحد . فإن ذلك سهل ميسر!

- ميسور جداً -

- حسناً - هذا تدبير أريد به القضاء الشبهه من نفسي... حتى إذا وقع الاستحيل وانتهت إليّ الشبهات أنكسي أن أثبت أنني كنت معك من بعد الظهر إلى منتصف الليل معاً - ومحال أن يتطرق الشك إلى شهادة رجل الأعمال العظيم السيد يول هرمان!

فصحك جاك وقال

- إذا غداً تموت لوسي؟

- وبعد ذلك لا يكون أمام لوسيان إلا أن يتحرك إلى ابتك

وفي الساعة السادسة من مساء اليوم التالي التقى أوليد بصاحبه أماند عند معادنها لمشعل يد كان في انتظارها على ناصية الشارع فالتفت له ؟

- إنني ذاهبة يا مارون أوبرود إلى مقبرة لوسي في شارع بوربون فقال لها

- سأرافقك إذا

ودعها إلى المركبة التي كانت في الانتظار .
والآن خطوة إلى الوراء .

حين كانت لوسي في طريقها إلى محطة كارين دي كولومب ورجعة من منزل العمدة التقت بجان هوريبه

دهش برأتان من هذا اللقاء غير المتوقع - وسألته جان عما أتى بها إلى هذه الضواحي البعيدة - فكشفتها بأمرها وقالت - وأنت؟ ما الذي جاء بك إلى كارين دي كولومب؟

- جئت أستعدي والدتي صاحبة الخبر

- ماذا أصابها؟ هل اشتدت حبيبها وساء الداء؟

- نعم . لقد شعرت بأنها تعاني من كدمات الموت فأرادت أن ترى لها - ومسد عام ثم تلتق المرأتان إذ شجر خلاف بين الأم وروح ابنتها فأقسم أن لا تروى حادثة بيته - ولكني سأرجوها الآن أن تتعاضى عن هذا الخصام وأن تحضر لتودع ابنا الدواع لأعبر وقالت لوسي

- كنت أحب أن أرافقك يا سيدي يريس - ولكنني مضطرة إلى أن أمضي إلى ذكري من موري فأصطحب هذا الشرب ثم أعود به إلى صاحبه مرة أخرى في الساعة التاسعة .

وتصافحت المرأتان واتخذت كل منهما طريقها حين مضى جان فورتيه إلى منزل والدته صاحبة الخبر لم تجد أن مهمتها سهلة ميسورة كما توقعت .

أبت الأم أن تمضي إلى زيارة ابنتها المريضة للطريحة على فرش الموت وقالت يعصب

- يهيني روحها ويطردني من داري - ثم أعود إلى ريدته دون أن يحتذرا أهول عندي أن تموت ابنتي دون أن أراها من أن أذهب إليها قبل أن يموت إليّ زوجها برسالة يعتذر فيها

وألحّت عليها جان - وحاولت - وبوسكت بكل الوسائل ولكنها كانت محاولات غير مجدية

ومضت إلى اختصره تقص عليها لها وتكشفت بحية مبعها يكت المرأة امسكبة وغمخت بصوت يحالعه صداد لموت - رباه! أقضي عليّ بأن أموت دون أن أترود من أمي بالخطرة الأخيرة؟

وفي الساعة السادسة من مساء هذا اليوم بعثه معي أوليد

سوليهر إلى مصنع جاك جارود وجلس يتباحثان في مكتبه فده
جاك الحلاوم وقال له :

- إن لديّ ما يشعني الليلة وسأبقى حتى منتصف الليل
أتباحث مع هذا السيد مهندس فإذا كان موعد انصرافك بعد
فلا تنظري

وحين أوصد باب المكتب عليه وعلى أوليد أخرج هذا من طاب
ثيابه مدية كبيرة وقال هو يتم

- متعيب هذه المدينة في صدهم وقد اشتريتها من دكان تقع تحت
بيت لوسي وأنا في انتظار أمانا حين صعدت إليها
فارتعد جاك وقال :

- إنها مدية رهبة !

- يمكن حياة بيتك معلقه بها إنها مدية الحياة وأبوب في أن
واحد

وهل تذهب لوسي الليلة إلى بيت العمدة ؟

- نعم .. في الساعة التاسعة .. فكن مطمئناً

حين رجع روح صاحبة الخبر من عمده في المساء وعدم بد كان
بين جان فورييه وحماته تولاء العصب وقال :

- ويحها ! ابتها على سرير الموت ونأبى أن تخضر لوفاعها

فراحت جان تتوسل إليه أن يبعث إلى حماته بكتاب اعقد
وفالت .

إنك تفعل هذا من أجل زوجتك التي تحبها . لا من أجل
حماتك .. أتريد أن تجعل زوجتك في ساعاتها الأخيرة أشقى

النساء !

وما مردّد الرجل لحظة تناول القلم وكتب رسالة اعتذار إلى
حماته دعها فيها إلى ريلود ابتها

وطدّت جان فورييه بالكتاب إلى كاريين دي كولومب فبدعتها في
الساعة العاشرة مساءً

رأت الحمة رسالة الاعتذار عطابت نفسها وقالت

- النظري حتى أرتدي ثيابي فأرافك

وفي غضون ذلك كانت لوسي في كاريين دي كولومب أيضاً
تخرب ثوب روجه العمدة فلما أخرجت مهمها انصرفت عانده إلى
اضطه شق طريقها في هذا الطريق للظلم

وهناك .. في العاية كان أوليد سوليهر يتعزها ومديته مشرعة في
يده

وكانت طعنة أخلقت لوسي على أثرها صرخة دامية

ولكر أوليد لم يرحم هذه المسكينة المضرجة بدسها بل رفع المديّة
وأهوى بها على صدره للمرة الثانية

وأصاب نصل المديّة جسماً معدنيّاً فانكسر ولكنه لم يهش
بذلك كان موماً أن الطعنة الأروى قصبت عليها

ومدّ يده يحسّس هذا الجسم المعدني الذي انكسر عليه النصل
بالعناء ساعة وسدستها فقال في نفسه

- فلاسرفها حتى يقع في لأدهان أن السرقة هي الدافع إلى
الجريمة

وم كاد يدس الساعة في جيبه حتى سمع وقع أقدام فاسطلق
يعنو مسرعاً إلى انعطافه وتوارى في ظلماتها

وكان وقع الأقدام التي تصفد لأمرأتين لقد سمعتا الصرخة

الدواية فأمرعنا إلى مصدر الصوت نتيًا ما حدث

وحادث إحدى المراتين :

« انظري ها هوذا رجل يركض عذراً ! »

وقالت الأخرى

« مرى ما الذي فعل ! »

وجائتا يبصرهما ها وهناك مرأتان تومسي ممددة على الأرض والدعاء

تنزع من جرحها بعزلة

لنبحث المراتين فوق المصابة ثم ما لبثت إحداهما أن صاحت

بجرح

« ربه ! إنها لومسي ! »

هذا كانت هاتان المرأتان إلا جاد مورتيه ووالده صاحبه الخير وحم

في طريقهما إلى المرأة المحتضرة

مالت جاد مورتيه فوق لومسي وراحت تقول

« ربه . لقد قتلتك انتقي ! ولكن ها هوذا تبصها لا يزال

يدق ! أسرعي إلى مركز الشرطة يسعك إلي طبيب . وسأبقى

بجوارها

« إنك تعربها إذا ؟ »

« نعم إنها جارة لي »

بعد نصف ساعة كان رجال الشرطة قد حضروا ونقلوا المصابة

إلى مركز الشرطة وبولى المفتش التحقيق

وإدفع الطبيب الذي حضر من فحصها قال :

« إن الجرح عميق وبالغ الخطورة ولكنني أرجو أن لا يكون

قاتلاً فإن يصل المصابة لم يبلغ الرقة لحسن الحظ

فقال مفتش الشرطة

« وإلى أين تنقل المصابة فليس في هذه القرية مستشفى ؟ »

فقال الطبيب

« يمكن أن أفرد لها غرفة في داري وأنولى العناية بها على أن

تتأزمها هذه المرأة (وأشار إلى جاد) فإنها صديقة لها فيما أرى . »

فقالت جاد

« سأأزمها لس مهدي يا سيدي الطبيب ولكنني أتوسل إليك أن

تلقدها

« إي أرجو أن يكون لها من شيلها ما يرد عنها عائلة الموت

أما المش موضع تصريحاً عن لحادث أبدى فيه رأيه بأن السرقة هي

النافع إلى الحرية

وبما كانت هذه الحوادث تجري في ضاحية كاري دي كولومب

كان سولبير قد بلغ المصنع وتسل إليه من باب الخلفي دون أن يراه

أحد ودخل المكتب حيث كان جاك في انتظاره متلهفاً

« أه أوليد ياقتضاب

« قصي لأمر ! »

ورفع جاك عينه إلى السماء شاكر

وأسرع أوليد فحلج ثيابه القروية التي كان مسكراً فيها وارتدى

ثيابه العادية التي كان قد أودعها لدى حاك ثم قال

« والآل معاذر المكتب معاً وكأننا قضينا السهرة كلها في البحث

ونشاور

وبعد لحظات غادر المصنع وبولى البواب إغلاق الباب خلفهما

ودعا إحدى المركبات بهما !

في صباح اليوم التالي تولى رجال الشرطة تعييش العاية على مقربة من مكان الحادث . ولكنهم لم يهتدوا إلى شيء ذي مال . وعند الظهور لثابت لوسي من إغمائها . ولا رأب جان موريسه إلى جوارها . تبسمت وحركت عينيها شاكرة .

واغتنم مفتش الشرطة هذه العروة فطرح عليها طائفة من الأسئلة لم تسهر عن شيء جديد . نعم . إنه كان على صرنا حين اعتد أب السرقة هي الدافع . لقد سرق منها كيس نفود به ثلاثون فرنكاً وساعة ذهبيه وسلسلتها .

كلاً . إنها لم تر وجه الفاسد إلا فاحأها في الظلام . ولا ترتاب في أحد وليس بها أعداء .

رفم الساعة؟ كلاً . إنها لا تذكر هذا الرقم . وخطيبها لوسيان لابر هو الذي أمضاها هذه الساعة . وجاء الطبيب يفحصها مرة أخرى فقال .

- جرحك ليس خطراً يا ابنتي . . وسأضبطه لك الليلة مرة أخرى . . وبعد ذلك يمكنك أن تعودي إلى بيتك إذا شئت .
وعحمد لوسي تقرب .

- ليذا يبرين . إنك ستغيبين معي . . أليس كذلك؟

نهضت جان فورتيه .

. وهل يطوغي قلمي أيتها العميرة على أن لفارقك؟ ولكني سأغيب ساعة واحدة أرى فيها صاحبة الخبر لأعشر عليها ثم أعود إليث .

وانطقت جان إلى صاحبة الخبر فالتفت روجه بيكي بكاء مرأ . صرخت أن الكارثة قد وقعت . وإن أميه أنشب أظفارها في

المسكنة

في غضون ذلك كانت السيدة أوجستين الخياطة مريفة التلق . فقد ذهبت لوسي بثوب الرقص إلى روجة العمدة ولكنها لم تعد إليها نسيها بما تم هناك .

وعهدت إلى العائمة أمائد . بأن تتحرى الأمر . فلما عادت هذه لأخيرة المشعل وجدت أوليد أي البارون أوبود دي روس كما كانت تظن في انتظاره وصحبها إلى دار لوسي .

أنأنهما التوبة أن لوسي لم تعد مد خرجت في الليلة السابعة فرجعت أمائدا باليو إلى ربيتها . واضمآن أوليد إلى أن مديته قضت على الفتاة بلا ريب . والأ فلو أنها كانت على قيد الحياة لحضرت الشرطة إلى دارها . أما وهو يجهن شحصبها فلا ميل له إلى معرفة مسكنها .

- 5 -

كان الطبيب قد قرر نقل لوسي إلى دارها في المساء . ولكنه حين عاده للمرة الثانية وجدها قد أصيبت بالحمى على صير انتظار . . فلم ير بداً من إيقالها حتى تزول الحمى عنها .

وكانت جان فورتيه قد رجعت من باريس فأقامت إلى جانب المصابة شهر عيده .

ومانت لوسي بصوت خافت

- اني أثرت رسالة من بوسان فأرجو أن تحصري إلي الرسائل التي وردت باسمي إلى داري . واتصلي بالسيدة أوجستين وأنشيتها بما حدث .

فقال المفتش

- إنني أشير بضرورة التكتمان فلا تقوي لها إنها أصيبت
بعضة . اذكرني بها أية حادثة تشائين

ومضت جالسة إلى باريس وأنيأت بزيارة البيت أن لوسي عثرت في
الطريق فأصيبت بانسواء القدم وأنها في حزن صديقة لها وستعود بعد
بضعة أيام

وساقت السبب نفسه إلى السيدة أرغنتين

وفي صباح اليوم التالي رجعت إلى كارين دي كولومب تحمل
إلى لوسي رسالتين وجدلتهما في دارها .

كانت الرسالتان من حبيبها لوسيان وقد أتمنته أنها لم تجد
عنى رسالته الأولى بالجمعها بأخرى .
وقالت لوسي .

- لا بد أن أكتب إليه بعسى . وإلا أزعجه أن يرى الرسالة بعين
خطي

وتحسنت على نفسها وخطت إليه رسالة موجزة وهي مستلزمة
على ظهرها . . وقد كانتت بها أصحابها وقالت
والدليل على أن جبرسي سيظني أنني أكتب إليك هذه الرسالة
بعسي

وفي الوقت الذي كانت فيه لوسي مهجعة أشد الانهياج برسائلي
خطيبها كانت أماندا ، ثائرة هائجة حين مرغبت من تلاوة رسالة جاءتها
من أوليف

في هذه الرسالة كاشفتها لبيرون أربولد دي روس بأن مهمة هاجلة
دعته إلى السفر . . وأن رحلته قد تطول
وأودع الرسالة ورقة نقدية بألف فرنك .

وعرفت أماندا - من تجربتها السابقة - أن الرحلة المزعومة ما هي
إلا حجة تُشتمل تسويقاً لتساقطة .

ومساء هذا الأمر كثيراً فقد كانت تقي نفسها بأن تنال من البيرون
مالاً غير قليل إذ رآته من بلذته وإسراجه .

أما أوليف فقد انصرف عنها إذ لم تعد به حاجة إليها اتصل بها
ليجمع معلومات عن لوسي . أما وقد فتلتها فما حاجته بعد ذلك
إلى الاتصال بهذه الفتاة؟

حين تلقى لوسيان رسالة لوسي كاد يهجن إشفاقاً عليها . . وخطر
له أن يقطع رحلته فوراً وأن يعود إلى باريس

ولكن الحكمة لم تثلث أن تنصت عليه . فإن الأمر ليس خاصاً
به وحده ومن الحكمة أن يجهد هذه المفاوضات التجارية وأن يحون
الأمانة التي عهد بها إليه جاك لأن خطيبته مريضة !

أما ماري هرماد فلم يكن هناك شك في أنها كانت تتعذب لعراق
لوسيان . فقد أوددت شعوراً واردة ذات العلة تمكناً من يديها

على أن أياها كان يميّ النعس يقرب وواجه من لوسيان ما دامه
العفة القائمة في الطريق قد أنجحت .

فما دام لوسي قد مكثت على يكون أمام لوسيان إلا أن يسرج
ماري

وفي يوم كان جاك جالساً يتحدث إلى ابنته حين دخل الخادم
يبيع سبدته بأن الحياطة لوسي أنت لحمل الثياب الجديدة

وثب جاك واقفاً وقد امتنع وجهه وصاح
- لوسي ! أهي لوسي التي حضرت؟

ولم يدرك ماري السر الحقيقي لانفعال أيتها . وعته احتاج غضباً

إد حضرت لوسي إلى دارها بعد أن علمت أنه صديقة
لوسيان . . وقالت

- هوّن عليك يا أبتاه . . فلني لن أستقبلها

وقالت جاك روعه . وغالب اضطرابه وقال في نفسه :

- كيف هذا ؟ حل خدعي أوليد وابسر أموالي ؟ ألم يقل لي إنه
قتل الفتاة ؟

وأقبل على أبتاه يعز

- إنني أبغض هذه الفتاة يا ابنتي . . وقد أحتاج الغضب انفعالي
رغمًا عني . ولكن لا داعي لأن توصدي بيتك في وجهها لأنها لم
تج ديباً ! وليس من اللائي أن نعلم إلى مستواها
- أصت يا أبي

وأمرت الخادم بإدخالها

ودخلت لوسي تسير بخطوات بطيئة . بادية الإعياء . شاحبة
الوجه .

وقالت

- معذرة يا سيدتي إذا كنت قد تحلفت هناك أياماً . فقد أهدى
عني أحد المصورين وطعني بمديته . قلماً شعيت بأدب إلث
بالثياب .

فقال ماري

- ودم طعنتك بالمدينة ؟

- ابتداء الرقة

ورب لها ما وقع . وذاك جارود يصغي إليها بانتباه شديد :

وقال جاك يسألها

- إذا فهو لصر ؟ بهن عرفته ؟

- كلا يا سيدي

وبجاء حمى جاك في العشاء ! عجباً ! إنه يذكر هذا الوجه .
وهذه اللامح . بل هذا الصوت أيضاً !

إنها شبيهة بامرأة كان يعرفها في شبابه

وتجمعت الصورة أمام صبيه

وقال في نفسه

- آه . إنها شبيهة بجان فورتيه !

ودكر في هذه اللحظة ما عرفه من أمر هذه الفتاة وكيف أنها
لقيته تشلت في أحد الملاهي فقال في نفسه

- ربك ! أتكلم هذه الفتاة هي ابنة جاك فورتيه ؟

ورد فرغت لوسي من قصتها فالت بها ماري بحشوة .

- حسناً . . أتركي الشاب فلاني لن أجريه الآن . . وإذا أردت شيئاً

أخبرت السيدة أوجستين بأن تبعث إليّ بأمانيا أو سواها

وانصرفت لوسي وهي تائل نفسها عن السر في غضب ماري

هرمان عليها وخشونها معها . . وهي سم تسمى إليها معنفاً .

في مساء اليوم نفسه أرسل جاك جارود يدعو أوليد سوبير إلى

مقارنته . فلما دخل عليه ابتدره بعبارة

- اليوم رأيت لوسي !

فهم أوليد راقفاً وصاح :

- ملأ تقول ؟ لوسي !

- نعم إنها على قيد الحياة . سم تكن الطمعة هائلة !

وروي له ما حدث .

وهتف أوليد :

- يا لسوء الحظ ! على أن من حسن حظي أنها لم تنبئ وجهي
وأن الشرطة تعتقد أن السرقه هي دافع الجريمة
وبعد صحت قصير قال أوليد :

- إذا ينبغي أن أقوم بالمحاولة مرة أخرى .

- لو أننا فعلنا لاستهدف للأعطال وأثرنا الشهب . فما تكون
فئة واحدة هدفاً للمصوص مرتين في خلال عشرة أيام .

- إذا هل رجعت من هربت ؟

- وكيف أترأجع وحياة ابتي معلقه على زوجها بنوسيد ؟

- وعلام عرمت إذا ؟

- لوسي لقيطة . . وأودعت المذبح في عام ١٨٦١ أو ١٨٦٢

وميدت في السجل برقم ٩ وأريد أن أعرف جميع البيانات الخاصة
بها والمدة في السجل حتى ولو دعا الأمر إلى سرقة هذا السجل
نفسه

- ولية فائدة نجيبها من هذا العصر ؟

- اليوم قايمت بوسي للمرة الأولى . فهل تعلم أنها تشبه حان
فورتية شهاً شديداً ؟

فقال أوليد باستعراب

- أتعني أن

- نعم . . من المحتمل جداً أنها ابنة جان هوروييه ! الشبه واحد

والسن واحدة . وقد أودعت بلنجم كدبة جان . . فلماذا ثبت ذلك

فمحال أن يتزوج لومبيلان لاجرو ابنة المرأة التي قتلت أمه

- ولكنه يعتقد كما أتيتني أن جان فورتية بريئة ؟

- ولكن هذا الاعتقاد لا يغير من حكم القضاء ولا من حكم
الناس . وإذا تزوج ابنة جان قضى على سمعته قضاء بريماً ! فرد
كنت أخضعت في قتل بوسي بسوء أفتنها بطريقة أخرى !
ومررت كفيه ابتهاجاً وقال مستطرداً

- يجب أن تخرج ابتي من بنوسيد ! هذا هو هدفي في هذه
الحيلة ومسابقتها بكل وسيلة ممكنة . مشروعة كانت أو غير
مشروعة !

بعد أن العرفت لوسي أحست عاري هربان بانفهاض شديد . .
فأمرت بإعداد مركبتها ودعت إلى زيارة صديقها لصور إتيي كاستل
صداً نجد في مشاهدة صوره ولوحاته ما يسري عنها هذا الحزن الذي
شاع في عساها

وأروح إتيي الستار عن لوحة كبيرة بالبحجم الطيبي وقال

- أترى هذه اللوحة يا ترى ؟

- إنها رائعة رائعة . . ولكن هذا عجيب ! يحيل إلي أنني رأيت من
قبل هذه المرأة التي يحيط بها رجال الشرطة . أو على الأقل رأيت
فئة تشبهها شهاً عجيباً

فقال لصور مثلاً :

- ومن تكون هذه الفتاة ؟

- عاملة عند الخياطة أوغستين تدعى لوسي . . أتعرفها ؟

- كلا يا سيدي . . وأين تقيم هذه الفتاة ؟

- في رقم ٩ بشارع بوربون

- إن هذا يحدث كثيراً

ثم انتقل الحديث إلى ناحية أخرى . إذ سألته أن يرسم لها

صورة بلحجم الطبيعي حتى يهديها إلى أبيها في يوم مولده
فوعدها المصور بأن يحرقه قبل انقضاء الشهرين الباقيين
وتصرفه بينهما الحديث إلى المصارع والآخر عات فقال إني
- لقد كان جدك مورتيير من كبار المخرجين فيما عرفت
- هذا صحيح - وكذلك أبي - ومن أعظم اختراعاتهما آلة
الخطاطة الصامتة وآلة الصقل

فقال إني باستغراب

- آلة الصقل؟

- نعم . . وهي تصقل حتى الأجسام المقعرة وغير المستوية
- ومن أقام أبوك في أميري كثيراً؟

- نحو اثنين وعشرين عاماً - لقد استقر فيها سنة ١٨٦١ .

ولمّا انصرف ماري وبف إني ينأمل اللوحة ويعمل في نفسه

- عجباً - إذا فلوسي تشبه جان فورتية شبيهاً عجيباً . وقد

شأت لوسي في السجن - فهل تكون يا مري ابنة جان؟

- ٦ -

ثم يكذب يمضي يوم واحد على الحديث الذي دار بين أوليد وحاك
جارود حتى كان أوليد قد هبط غريمه جواتي يتحرقى عن لوسي
ويعود إلى صاحبه يبكي عن ماضيها

أمضى أوليد في الصدوق ساعة تحدث فيها إلى صاحبه وسأله أن
يرشده إلى امرأة عجوز من أهل القرية - إذ أنه في حاجة إلى
الاستئصال عن حادث قديم العهد

ودهب أوليد إلى زيارة هذه امرأة وقال لها

- 214 -

- إنك تعرفين طبعاً أسماء جميع الممرضات اللاتي كنّ في هذه
القرية منذ عشرين سنة - ولقد كان عند إحدى هذه الممرضات
طفلة أودعتها أم تدعى السيدة فورتية - فهل تعرفين اسم هذه
الممرضة؟

فقال امرأة

- هذا سؤال صعب

- سأعيذك على التذكور . . إنّ الأم أثهت منذ عشرين سنة
بالسرفه والقتل وإحراق مصنع السيد لايروا

فهتت المعجور

- آه . . لقد تذكرت هذا الحادث . . إنه كان حديث أهل القرية .

نعم - لقد كان لهذه الشقة طفلة عند الممرضة السيدة فريمي .

- وأين السيدة فريمي فاني أحب أن أتحدث إليها؟

- لقد ماتت

- وابنة جان فورتية ! ما كان مصيرها؟

- أغلب الظن أنها أودعت ملجأ النقطاء كما جرت بذلك العادة

إذا صانت لأم أو انقطع أجر الموضع - فذهب إلى دار العمودية

فسيهم سجن واف يتضمن جميع البنات التي تسلك عنها

مضى أوليد سولير إلى دار العمودية وهو يقول في نفسه

- ولكن ما العمل؟ لو أنني علمت هذه البنات لأكثر الشبهات

ولظن انقروم أنني موهب من قبل جان فورتية الهاربة - فأصبح نفسي

بذلك في مأزق حرج .

ولكن لم يكن في وسعه إلا أن يستفسر

دخل دار العمودية . . ولكنه لم يخص مباشرة إلى قسم السجناء

- 215 -

وأما دخل مكتباً رأى فيه موظفاً شاباً جالساً على الفراش

حياته وقال

- أسمع يا سيدي بأن أوجه إليك سؤالاً؟

- بكل الارتياح

- أتعلم اسم العملة الذي كان ينولى الأمر في هذه العروة في عام

١٨٦١؟

بكل تأكيد يا سيدي إنه يدعى دشمان وهو عمي

- أهو في جوانبي؟

- كلا... إنه مقبم في فيجود.

- إن بي سؤالاً آخر عن حادث وقع في سنة ١٨٦١

- قد يكون في وسعي أن أدلي إليك بما تتطلب من بيانات.

وفي هذه المحطة فتح الباب ودخل رجل مروى ما إن رآه الفتى

حتى شحبه وجهه ويدا عليه الصرخ وقال بلرباك.

- إني يا سيدي

فقاطعه الرائر بوحشة

- دعك من الألف بواحد إلى عاشر

- أرجوك أن تهني قليلاً

- أمهك ؟ إنك منذ ستة شهور لا تسلكي إلا أن أمهك غداً

آخر موعد يسب فإن لم تنقضي ألف فرك قدمت إلى الشرطة

السد الذي روت عليه توقيع عمك وهذا هو إنداري. الأخير

غتم أوليد هذه المرحه وقال

- يؤسفني أنني حضرت هنا خليف المزعج ولكن ما الذي

حدث؟

فقال الفتى مجيباً

- إن هذا السيد شريك لعمي في تجارة الخمر... وقد حملني

الطيش على أن أروّر بومع عمي على سكين دفعتها إليه وأخذت

منه الألف فرك وأنا أرجو أن أتأكد من إيفائه حقه في موعد

الغد قبل أن يقدم السنتين إلى عمي ويطاينه بفتهم وهو الآن

يتوعدني بأن يكشف أمري ويلقي بي في السجن

وقاد تاجر الخمر

- هاندا بمره لأخبره أمهك يوماً واحداً.

وانصرف على الفور فقال أوليد

- وما الذي دفعت إلى هذه العملة الشائنة؟

- غرامي بلعراة لا تستحق إلا أن عتد بالباط - حتى بضبت

أموالي غضبت عليّ وبديتي. ولأن ليس لي إلا أن أحتار بين

السجن أو الانتحار

فسكت أوليد هنيهة ثم قال

- هل كان موعد انصرافك؟

- نعم.

- إذاً هب تذهب إلى تاجر الخمر

- وما الفائدة والألف فرك ليست معي إني لا أحب أن

أستهدف مرد أخرى لإهانتك

فابتسم أوليد وقال

- إن الألف فرك يسب معك ولكن معي

- ماذا نفور يا سيدي؟

- سأؤمى عنك الدين

ولكن

- لا تعترض - - إني لقد ذلك سأسألك أن تؤدي إليّ خدمة صميرة

وبعد نصف ساعة أخرج أوليف من محفظته أوراقاً نقدية مائة فرنك ووضع مكانها الستدين المرويين

قال أوليف سوبرير يحاطب الغنى وهما جالسا يشاولان الطعام في أحد المطاعم

- إذا فقد بركتك هذه للمرأة بعد أنه تورطت في الذهون؟

- نعم يا سيدي - فلا ريب مطالباً بألفي فرنك

- سأوجيها عنك أيضاً

- لا داعي بذلك يا سيدي فقد وعدني الدائنون بألفي

- وإذ حل موعد السداد وعجزت - ما يكون من أمرك - ؟

كلا إني سأفي عنك دينك كله على أن تؤدي بي هذه الخدمة

- إني دهن إشارتك يا سيدي

- منذ اثنين وعشرين عاماً كانت لي عشيقة رزقت مني طفلة

فمنما عذبت أنه زوجها يوشك أن يعود من رحلته أودعت هذه

الطفلة عند إحدى المصحات في جواني وقد غادرت فرنسا إذ

ذاك هي رحلة طويلة وعندما رجعت من سعري لم أجد أثراً لعشيقتي

ونسب أعلم بها مفعراً أما الموضع فتدعي فرمي ورجائي إلث

أن تساعدني في البحث عن ابنتي

فقال الغنى

- هذه البيانات مدونة يا سيدي في سجل العمدة

- أيمكن أن تأتي بصورة منها؟

- إنك تسألني أمراً خطيراً يا سيدي - وبكتي بن أتردد في
جانتك إلى ما تعني فقد أمديتني جميلاً لا يجحد

فقال أوليف باسماً

- وبكتي إنك أن تعود ثانية إلى حماقتك فترمي عند قدمي هذه
بركة آثاب جميلة؟

- إني لم أر يا سيدي من هي أجمل من أماندا أو أرشوق منها؟

وهتف أوليف

- مائدا! حق عجب؟

- أتعرفها يا سيدي؟

- صميرة بي أولاً؟

فمنما وضعها الغنى قال أوليف:

- هي بعينها - - ولكنها ليست في جواني الآن

- لقد بارحتها إلى باريس منذ شهر بعد أن ارتكبت بعض

الجرائم

- أيا جرائم

وعرف أوليف من حديث الغنى أن أماندا كانت عاملة في

أحد المحلات في هذه البلدة فارتكب جريمة سرقة وهتف صاحبة

الحل بأن تشكره لولا أن توسلت إليها أماندا بأجرة تصممت عنها

بعد أنه استكتبها اعترافاً بالسرقة وأمهلتها عاماً لإيف ثم

ما سرقتها وقد وُثرت اسندين وقدمت إليها لألف فرنك لتدفعها

إلى صاحبة المحلات ولكنها بددتها ثم هجرني ورحلت إلى

باريس

- وما هو عنوان هذا المحلات؟

- رقم ٧٤ بالشارع الكبير .

بعد ساعة كان أوليد في الحانوت رقم ٧٤ بالشارع الكبير

قال لصاحبه

كانت عندك عملة تدعى أماند . وقد سرق منك بعض
البصائع وقد أوفدني إليك لأستعيد منك الإقرار وأنقلها ثم م
سرفت

وحدث هنا ما حدث في السنين اللذين رورهم دشماك
أخرج أوليد من محفظته ورقة نقدية بألف فرنك ومكانها وضع
الإقرار الذي تعرف فيه أماند بأنها سارقة

وفي مساء اليوم التالي التقى أوليد بالعتي دشماك في الموعد
المصروب فقدم إليه ورقة وهو يقول .

- إني لم أفسح لك صورة من السجل ولم أنتزعت الورقة نفسها
وحثك بها . فقد كان لدي عمل كثير لم يدع لي وقتاً لمسح

ألقى أوليد نظرة عجيبي على ورقة السجل فوجد فيها جميع
البيانات المنشودة . ولم يعد يحاجه شيء في أن لوسي هي ابنة حان
قوربيه

دسّ أوليد السجل في جيبه وصافح العتي وشكره بحرارة فقال
هذا في تردد

وبكر أنسمح لي قبل أنصرفك أن تعطيني السندين
المرومين

فقال أوليد باستغراب

- السان المزوراد آه . لقد مرقتها فكيف مطمئناً

ولكنه كان كادياً في قوله . لقد أحفظ بالسندين كما احتفظ

بإقرار السوقة وهو يقول في نفسه

- ما يدري أنني قد أحتاج إلى هذه الأوراق يوماً ما . إنها في
يدي مصحح سلاحاً أرغم به دشماك وأماندا على الرضوخ لإراحتي
وعدم التوشية بي

- ٧ -

عشر رجال الشرطة في أثناء تعقبهم العابة التي وقع منها لاعتدائه
على لوسي عني قطعتي المدينة التي طُغت بها الفتاة المسكينة
ضُمت القطعتان إحداهما إلى الأخرى فتطابقتا . . وكان اسم
البائع وحواله مكتوبين عندهما . . وهذا نصه

«روشار . بائع أسبحة - ٩ شارع بوربون» .

ودعش مفتش الشرطة حين مرأ هذا العنوان وقال في نفسه
- عجبا . إنه صواب لوسي أيضاً . إنها تقيم في هذا المنزل ذاته !
وكأن من رأي ماضي النحوي أن تجريه لم يرتكب عفوياً كما
كان الرأي موهله الأولى . ولقد بين على ذلك شراء أسدية من الخزن
نفسه الذي تقيم فيه لوسي . وقال القاضي
لما عثدي إذا يعرفها حق المعرفة . إلا إذا كانت المصادفة قد
لعت دوراً عجيباً غير مألوف !

وانقلب التحقيق إلى حانوت بائع الأسبحة

وراحت العاملة التي باعت المدينة تصف الشاري للقاضي وقالت

- إنه كهل في الخامسة والخمسين متأنق الثوب به رشاقة الشبان

ولا يبدو على وجهه سعة الهرمين

وصعد القاضي إلى مسكن لوسي المقيمة في الطابق الأعلى من
المرحل وأنشأ بها أسعره التحقيق مع بائع الأسبحة فحجب الأمر

وقالت

- ولكنني موقفة من أن المعتدي عليّ كان رث الثياب ! .

- من المحتمل أنه كان مشكراً

- هذا جائز

بعد أن اصبرف القاضي ومعتش الشرطة مضى لوسي إلى مشعل
السيدة أوغستين تحمل إليها ما أخرجت من ثياب جديدة

قالت الخاطلة الشهيرة تسألها

- ألم يهتد وحال الشرطة بعد إلى المعتدي الأثيم؟

- كلا ولكن الأمل قد اشتد في اعتقاله .

وروت لها ما كان من غشور الشرطة على المديّة ومعرفة أوصاف
الرجل الذي يتبعها من بائع الأسلحة الذي يتأجر حانوتاً في اندول
عنه الذي نعيم فيه

وكانت أماندا تصغي إلى هذا الحديث باهتمام شديد

وقالت السيدة أوغستين

- إنني أشاطر القاضي رأيه إن هذا المعتدي يعرفك من قبل على
ما أظن وما من شك في أنه يحقد عليك حقداً شديداً .

- ولكنني لم أسي إلى أحداً فلم يحقد عليّ؟

وتذكرت أماندا عند ذلك الحمال الذي جاء يوماً يسألها عن
لوسي وعن عوانها فقالت :

- لكيس لك عشيق بدته فقم عليك بعد أن هجرته؟

فابسجت لوسي وقالت

- ما عشقي أحد حتى اليوم !

فقالت السيدة أوغستين :

- لحق أن هذا الحادث تخاف منهم ولكني أرجو أن تجني
هذه المظلمات عاجلاً

- ٨ -

كان أوليد قد انقطع عن مقابلة أماندا حين ظن أنه قتل لوسي
ولم يعد في حاجة إلى الممولات التي يملكها . ولكنه حين عرف
أن لوسي لا تزال على قيد الحياة عاد يتصل بأماندا عقب حروته من
جواني مزوداً بإقرار السرقة التي اقترعتها .

وفي ذلك المساء كان على موعد لقاء

قالت له أماندا

- أصبحت بما أصاب لوسي؟

عنهف متجاهلاً

- ومن تكون لوسي هذه؟

- تلك الخياطة اللقبة في شارع موريون والتي رافقتني إلى دارها
يوماً ما . .

- ماذا أصابها؟

- أصبحت بطلنة مديّة كادت تقضي على حياتها

وروت له تفاصيل الحادث والتطور الجديد الذي طرأ على انتهاء
العضية وقالت

- وقد عثروا على لحيه وعمره من البائع أوصاف الشاري .

استمع وجه أوليد حين سمع هذه الكلمات وعمره اضطراب
ظاهر . فقالت أماندا .

- ما هذا الاضطراب؟ أمريض أنت؟

فضغط أعصابه بيجهد كبير وقال .

- كلاً ولكن هذه القصة اهرية هنت أعصابي

ثم قال مسترسلاً

- ولكن أي دافع لهذا الكهل ينتاق إلى قتل لوسي؟

هذا ما سوف يكشفه التحقيق ولكن الشيء الغريب أن هذا الكهل اشترى الخبث في الساعة نفسها التي كنت أنت فيها تنتظري في المركبة عند باب لوسي فلا شك أنك رأته .

فقال أوليفد بصوت هادئ :

- كذلك ينبغي أن أراه ولكنني سم أكن ملغياً بالاً إلى باب

الخانوت

وكانت أماندا ترميه بدقة وهو يقول ذلك رسم يحف عليها أن عيبه كانتا ترسلان وميضاً عن الخوف

وعاد أوليفد يقول

- وهل نرجو الشرطة أن توفّق إلى اعتقال هذا الكهل؟

- طبعاً والتحقق يتقدم من يوم إلى آخر ولكن لم أراك شديد الاهتمام بأمر هذا الكهل؟ أترأك تعرف شخصاً تنطبق عنه هذه الأوصاف؟

كان هذا التلميح أوضح من أن يحتاج إلى تفسير . لقد أدرك أوليفد على الفور أن أماندا ترتاب في أمره . وإنها تصمد أنه هو الذي اساع أمنية حين كان في انتظارها على قيد حطرات من حائوت بالقاع الأسفحة .

وقال أوليفد

. فسمع هذا الحديث جانباً وأعيرني سمعت لأروي لك ما شهدت من عرائب وهجالب في أثناء رحلتي

- وماذا رأيت؟

- لقد جمعت نماذج من خطوط بعض المشاهير من الأحياء

- حقاً؟ ومن أي الدول؟

- من فرنسا ومن جواني باليات

- ونظر إليها أوليفد متبرساً فرأها ترتعد

وقالت تسأله متظاهرة بعدم الاكتراث :

- أهى بلدة جميلة؟

- نعم . . وقد تعرفت فيها بصاحبة حائوت للشباب فرفقتني

بالخودج خطي تقدرتها لماً له ألف فرنك

شحب وجه أماندا وأخذتها رعدة شامه فقال أوليفد مسترسلاً

كمن يروي حكاية ظريفة

- وهذا الأخودج عديل بتوقيع لته ندعى أماندا ريجامي أليس هذا هو اسمك؟

ولم يعد ثمة مجال للمراوغة أو الإنكار

قالت أماندا وهي ترتعد

- ولم تسألني ما دعت تعلم كل شيء؟

- وما الذي يحيفك من ذلك؟ لقد علمت بالأمر مصادفه ول

كنت لك صديقاً محلياً لقد بادرت إلى دفع دينك واسترداد الإقرار

حتى أرتد منك العار

فقالت الفتاة

- شكراً لقد اعترفت هذه الصعلة في ساعة طيش وجود

ولكن أين الإقرار؟

- في خزانتي إني أحفظ به

- ألا تنوي أن تعيده إلي؟

- كلاً ، فهي أحب كما قلت لك أن أحفظ بمادج الخطوط

فعالت بعصب

دع امراوغة جانباً يا بارون ، إن لك غرضاً خفياً من وراء

الاحتفاظ بالإقرار الذي كتبه أعرف فيه عني نفسي بالسرقه

فما هو هذا الغرض الخفي؟ أتريد أن تشتهر بي وترمي بي في

السجن؟

فقال ياسماً ،

- إنني أحبك ، ومحال أن يخطر ببالني أن أسوء إليك

- إذا؟

- كل ما في الأمر أن النجارب علمني أن أحذر النساء ولهذا

سأحتفظ بهذا الإقرار ليكون في يدي سلاحاً أستعمله حين تدعو الحاجة .

- إذا فقد أصبحت خاضعة لإرادتك!

- وهل في هذا ما يغيرك؟

فقالت تسأله بعد برهة

- كيف علمت بهذا الإقرار؟

- مصادفة واتفاقاً

فعالت بهجة ذات معنى :

وكذلك ابتاع المعتدي على لوسي المنية من خاسوت الغائب تحت

بيتها . مصادفة واتفاقاً!

وعند هذا التعريض لم يعد لدى أوليد شك في أنها تعرف أنه هو

المعتدي فقال :

- مهما يكن من الأمر فإن المعتدي على لوسي لم يساق إلى

السجن فإن لديه سلاحاً يرد به عن نفسه كيد خصومه!

وحين هم بالانصراف قالت له

- ما هو صوتك فقد يدعوني الأمر إلى الكتابة إليك؟

- حادري أن نكتبي إلي . فإن بي روجة وأولاداً!

وحين حلت أماندا بنفسها قالت

- إن البارون يعلم عدم القبح أنني أرتاب في أمره ولكن كيف

أشفي به وهي يله هذا الإقرار يتوعدني به في كل لحظة!؟

ولكن ما هو سره؟ وبم حاول أن يقتل لوسي؟

يبقي من لأن مصاعباً أن أثرد خطواته وأعرف جوانبه وعند

ذلك يهون عني اكتشاف سره .

ذهب أوليد سويسر إلى مقابلة جاك جارود وأطلعه على الورود

التي اشترعها من السجل وقال :

- لم يعد هناك شك في أن لوسي الخياطة هي أبة جان فورتيه

فقال جاك

ومع ذلك فسعي لاستيق من الأمر إلى عايت القصوى قبل أن

نقدم على أي عمل

- سأذهب إذا إلى المدعي وأسأل عن المنطقة التي أودعت فيه يوم

٦ نيسان ، أبريل من عام ١٨٦٢ وما كان معبرها بعد ذلك ، ولكن

أخبرني متى يعود نوسيان من رحلته؟

- بعد أربعة أيام أو خمسة

وهي الساعة الخامسة مساء عاد أوليد إلى مقابلة جاك جارود وقال

له

- لقد ذهبت إلى المنجى واطلعت على السجلات .

- وماذا عرفت ؟

- عرفت أن لوسي الخياطة هي ابنة جان لورتيه

فقال جاك باهتمام

- الآن يمكن أن تضرب العصرية الماضية وسرى إذا كان

لوسيان لابرو صيرصى بأن يروح ابنه المرأة التي قتلت أباه ؟

- ٩ -

بعد أربعة أيام كانت في باريس فتانان شتظان عسودة رجل
وحد وكل واحدة منهما تعتقد أنه يحبها وأنه لن يزوج سواها

أت هاتان الفتانان هما لوسي وميري هرمان رأت الرجل
فلوسيان لابرو العائد من زوجته إلى بلغراد

استقبلته لوسي وقد تئدت عيناها بالعيوب . . فقال وهو يضمها
إلى صدره .

ولما أنها كانت وشمة يأن تكون غجيعة ساحقة . . لو أنني
تفقت يوماً برفقة تبني بموتك ! لو أن هذا حدث مثلاً

فضحكت وقالت

- فسمع هذه التفتولات وحسب أن تراني أصابك على أم

صحة !

- ولكن كيف وقع لك هذا الحادث ؟

وراحت تروي له تفاصيل الاعتداء الذي كادت تذهب بحيته

وفي صباح اليوم التالي مضى لوسيان إلى المصنع فاستعمله جاك

مرحياً وقال له :

- إنني سعيد بأن اقتديتك لهذه المهمة فقد أحسنت أدائها
وجاءتني من أصدقائي من رجال الأعمال رسائل كثيرة يعبرونك
فيها .

ويعد أن روى له لوسيان نتائج رحلته فلما

لكن أخبرني أولاً يا سيدي . . كيف حال الأئمة ماري ؟

- مكيه لقد اشتدت رحمة الله عليها

لكنني أرجو ألا يكون الأمر خطيراً !

- إنك ستراها الليلة عانت مدعو بتناول العشاء عندنا . . ومكيه

منظمة إلى لفانك ولا حديث لها إلا عنك

وفي مساء مضى لوسيان إلى منزل جاك جارود

كانت ماري جالسة في صدر القاعة . . فمما رآته مقبلاً همت

واقفة ولكنها ما بثت أن توجهت ونهارت على مقعدها مبهركة
الغرى وقد شحبت وجهها

أسرع إليها أبوه جرعاً فحالت .

- إنني أحس إعياء خفيفاً يا أبله . . ولكنه قد زال . . ما كدت

أرى لوسيان حتى تبددت أوجاعي . . فبأن حبي له يطحن على
الأمي

فقال لوسيان

- وأنا سعيد برؤيتك يا أنسي

- أقول حقاً ؟

- بكن تأكيداً

فأشرق وجهها وانعرجت أساريرها . . وقالت :

- لم إذا لا مرور كل يوم؟ إنه ليسرني أن أذكرك تنزل العشاء

- نقد ذهبت إلى اسجرا واطلعت على السجلات

- وماذا عرفت؟

- عرفت أن لوسي الحياطة هي ابنة جان فورتيه

فقال جاك بأبتهاج

- الآن يمكن أن يضرب الصرب الماسونية - وسرى إذا كان

بوسيان لا يبرو ميرضى بأن يزوج ابنة المرأة التي قلت أباه؟

- ٩ -

بعد أربعة أيام كانت مي باريس متاثان تنتظران عودة ربح
واحد - وكل واحدة منهما تعتقد أنه يحبها وأنه لن يتزوج سواها

أتت هاتان الصلتان فهدت لوسي وماري هرمان - وأتت الرجل
فبوسيان لا يبرو المعاند من رحلته إلى بلعرا

استقبلته لوسي وقد تلت عساها بالعبرات - فقال وهو يصمها
إلى صدره

- رباه! إنها كانت وشيكة بأن تكون فجيعة ساحقة - لو أنني
تلقيت يوماً برقبة تبنني بموتك! لو أن هذا حدث مع حراً!

فصاحت وقالت

- ههههه هذه التفرقات - وحسبك أن ترائي أمامك على أنه
صحة!

- ولكن كيف وقع لك هذا الحادث؟

وراحت تروي له تفاصيل الاعتداء الذي كادت تذهب ضحية

وفي صباح اليوم التالي مضى بوسيان إلى المصنع فاستقبله جاك

مرحياً وقال له

إني سعيد بأن انتدبتك بهذه المهمة فقد أحسنت أدائها
وجاءتني من أصدقائي من رجال الأعمال رسائل كثيرة يطرونك
فيها

وبعد أن روى له بوسيان نتائج رحلته قل

- ولكن أخبرني أولاً يا سيدي - كيف حال الأيسة ماري؟

- مسكينة - لقد اشتدت وطأه البلاء حينها

- ولكنني أرجو ألا يكون الأمر خطيراً!

- إنك ستراها الليلة فأنت مدعو لتناول العشاء عندها - والمسكينة

متجهة إلى لكات ولا حديث لها إلا منك

وفي مساء مضى بوسيان إلى منزل جاك جارود

كانت ماري جالسة في صدر القاعة - فلما رآته مقيلاً همت

واقفة - ولكنها ما لبثت أن توجهت وبهاوت على مقعدها منهوكة
الغري وقد شحبت وجهها -

أسرع إليها أبوها جرماً تعال

- إني أحس إعياء خصباً يا أمه - ولكنه قد زال - ما كذب

أرى لبوسيان حتى تبددت أرجاعي - فيا حببي له يطعن على
الأمي

فقال بوسيان

- وأن سعيد يرفشك يا أنسي

- أتقرون حقاً؟

- بكل تأكيد!

فأشرق وجهها وانعرجت أسديرها - وقالت :

- لم إذا لا مروراً كل يوم؟ إنه ليسرني أن أدمرك لتناول العشاء

مع كل ليلة

داشتم: ارتباك لوسيان وقال:

- إنك يا أنسي تعوقني عنى بأفصالك!

مطلب هذا القول منه قبولاً ولكنه ما لبث أن أردد:

- إن إجمالي تشغل كل وقتي يا أنسي فهلاً أعصيتي من... -

فصاحته فلولها.

ستورداً في عطفه أيام الأحاد ولرجو أن تروونا أيضاً في هذه

الأيام

ومضت إليه بظرة ذات معنى فأدرك أنها تشير بذلك إلى ربهوته

لنوسى أيام الأحاد فقال:

- ولكنني أصدق يا أنسي لا يحسن لي أن أترودهم، لا في أيام

الأحاد!

عنى اللبس على قلبها واشتعلت بيراة حقدتها على غريبتها

وقالت:

- فأنت ترحمني حانية إذأ!

فتدخل أبوها في الأمر بقوله:

- إن من الانصاف يا ابنتي أن ندع به يوماً من أيام الأسبوع يكون

فيه مطلق الحرية يفعل ما يشاء

فصاحت بيأس:

- أصعب يا أبه! ولأن قد عرفت أنني أسرفت في مطالبي وما

كان ينبغي أن أمشي للنفس بتحقيق هذه الأحلام

ولادب بالخصم وسرت في وجهها سحابة من الاكتئاب -

وشعر لوسيان بالرتة لها

وحين قادر البيت عصب العشاء أحسن كأن وقرأ ثقيلة انراح عن

كتفيه ورج يقول لسه

- مسكينة هذه الفتاة إنها من تعيش طويلاً ومن القسوة أن

أدعها تموت معدة! ولكن كيف أخادعها فأزعم لها أنني أحبها

عنى حين أمي أحب سواها؟

أما ماري فالتفتت إلى أبيها عقب انصراف لوسيان وقالت بمرارة

ويأس:

لست أرايت أنه سم يحبي بعد!

- وكيف يا ابنتي؟ ألم يقل بأن يتناول العشاء مع كل ليلة؟

- ولكنه قبل الدعوة مكرهاً

ثم هتعت بيأس شديد:

- أبت! لقد طال انتظاري... وحال عداي... ولا بد أن أجهد

وسيلة أنقطع بها الشك باليقين... نعم... يجب أن أفعل شيئاً

وارتاع جاك لما كان يبدو عنده من انفعال شديد وهي تتعلق بهذه

الكلمات وقال:

- ابنتي - تريخي... إن لوسيان مستزوجك حتماً ونقي بي أقول

ولكنها تهافت فجاءت وغادرت الغرفة ولذت بمصدها

غير أن اليوم لم يطرף جميعها لحظة واحدة

وكذلك مات حاك أرقاً لا ينام! لقد خطر له أن ابنته تفكر في

الانشراح وأن هذا ما كانت تعيه حين قالت إنه ينبغي أن تعمل

شيئاً ما

في صباح اليوم التالي دعا جاك جاورود مدير مصنع لوسيان لاجرو

إلى مكتبه وقال له

- يسمي أن أقدم إليك الشكر على تظلمك مع صدي بالأمس
ولكن خبرني ما رأيك في صحتها؟
فقال لوسيان

- انني أرى يا سيدي أنها بحاجة إلى عناية مضاعفة
فهو الأب المسكين رأسه ييلس وقال

- إننا فقد صدق الأطباء . - إذ أتيت في خطر يا لوسيان . إنها
مقضي عليها الموت وبأسها من عوامك يضاعف عنها ولا
سبل إلى إنقاذها من الموت إلا بالزواج منك !
فقال لوسيان بارتباك .

- بالزواج عني !

- نعم . . إن حياتها وهية يكلمه تخرج من بين شفقتك . . انني
أهدك ثروتي كلها لكي تنقذ حياة ابنتي !
فقال لوسيان بهجة المتوجع .

- سيدي . اني لأندم موقفك الأليم . ولكني أرجو أن تترك
أنني أتعذب مد عرفت أن الأئمة ماري نجسي ! ولكن كيف يسمي
أن أنتعس عن حبي لبوسي ؟ لو أنك في موقف هذا يا سيدي
أكنت ترعى أن تحت بعهدك ؟

فقال جاك بحماسة .

- لا تسلي رأيي يا لوسيان . إنه ليس إلا رأي رجل يرى الله
على شعاع الموت فلا يبالى بما يقود أو يفعل في سبيل إتمامها من
الموت ! إنني أراها كل يوم تدب أمام حبي كالزهرة المسكينة ولا
أستطيع أن أمد يداً لإنقاذها ولو كان في يدك حباتي أو دمائي ما
يجتهد ليديها في غير تردد . انني أهدتك يا لوسيان بلهفة الرجل

الذي يعلم أن موت ابنته إنما هو بمثابة موته هو نفسه
ولست لوسيان صامتاً لا يجب فقال جاك :
- فأت مصر على الزواج لبوسي إنفا ؟
- ولا يسمني أن أتراجع يا سيدي
فقال جاك بصرامة

- إذا دعيت أكاشعك بأمر أهم أنه سينال منك . ولكنك أنت
الذي دعيت إلى هذا الموقف ! رواجك من لبوسي حلق أن يموت
شرحت ويحسك مسحة في الأفواه
فغلب لوسيان حياءه وقال

- ماذا تعني يا سيدي ؟ يُعجل إلي أنك تهين الفتاة التي أحبها !
- بل هي التي تهلك حين تقدم إليك بعبها !
- سيدي !

- أقدم من هي تلك الفتاة التي تنوي أن تسبغ عليها اسمك
الظاهر الشريفة ؟

- إنها فتاة طاهرة شريفة
- أحصلت يا لوسيان

فأجبت العتي وانما وقد احمر وجهه خصباً وصاح
- سيدي ! أرجو أن لا تهين زوجتي أكثر من ذلك

- إنها لقطة ريت في الملاهي لا تعرف لها أباً أو أمّاً

- هذا الخبر ليس جديداً عني يا سيدي . ومع ذلك فالعذر لك
يلحق أبويها !

- هذا قول لا يأخذ به إلا الشره وأصحاب الخيال . ومع ذلك
فهل علمت ابنه من هذه الفتاة ؟

- ابنة من؟

فقال جاك جازود يهلوه :

- ابنة المرأة التي كتب أبنت - ابنه جاك فورييه !

حملك لوسيان في جاك جازود كاندول - وإذ وعى معى
كسائه انطلقت من فمه صرخة يأس داوية .. ثم هوى على الأرض
مغمياً عليه

بيد كان هذا الحديث يدور بين بول هرمان ولوسيان لاير .
كانت ماري هرمان في دار لوسي تتحدث إليها -

قالت :

- ألك دخل غير ما يأتيك من شياطة الشياطين؟

- كلا

- هل تريد أن أدلع إليك بشرة كثيرة ثعبان عن العمل؟

فالت لوسي في دهش

- ماذا تعين يا سيدي؟

- أتحين أن أتحدث إليك بصراحة؟

- بلا ريب .

- سأعطيك ربع مليون فرنك . . بل أكثر من ذلك إذا شئت !

فاشده استعجاب لوسي وقالت في نفسها

- ماذا دعاهما ! أترأها حب؟

ثم رفعت صوتها وقالت

- ولكن لم هذا الخطء السخي يا سيدي؟

- لكي ترحي فرنسا فوراً على أن لا تعود إليها .

- حبيباً ! إني لا أدرك ما تعين

وساد الصمت برهة ثم قالت ماري .

- إني أحب لوسيان لاير . . ولريد أن أتزوجه . . فأرحمني عن
هذه البلاد وحدي من المال ما شئت ! لقد ملني الهباء ويكاد
مرض يقتلي ! أما إن تزوج لوسيان فقد أصبح أسعد الناس !

هبت لوسي واقفة وقالت

- إذا فقد سبب غضبك عليّ وقد كنت أسأل نفسي عن مرة
فلا أثبتّه ؟ سيدي التحسين أنني خلطة أن أرضى بهذه المساومة ؟؟

- ومن لا ترضين ؟ أتريد أن أضعف المبلغ ؟ إني على استعداد

فالت لوسي بأنفة وكبرياء .

- إني أرضى يا سيدي حتى ولو منحني الملايين التي لا
تحصى أتعرفين السبب ؟ إذا ما علمي أنني أحب لوسيان وأن

أحب ليس سببه بل بالمال ! إني أحبه وهو يحبني فلتدع له إذا
حق الاختيار وبعد فأظن أن الحديث قد انتهى وأن بي وسعت

أن تصرمي

ولكن ماري لم تعرفه؟

تلك الفتاة الشابة لشجيرة بسيت في هذه اللحظة كسياهما
وعجرفتها

جثت عن ركبتيها أمام لوسي . . ويسطت لها ذراعيها ومالت
بصوت مخسوع عبراتها تجري على وجنتيها .

- لوسي ألا تريد أني أتعذب ؟ ألا تريد أني أدوي وأمرت ؟
إن بأمر الحب هو الذي يقتلي فدعني أصرع إليك جائيه والشمس

ميت أن تهيب الحياة إنك إن رفضت فقد قضيت عليّ بالموت !

وأخذت لوسي بيد الغناء وقد أدركتها الشفقة عيها وقالت

سيدتي البهيمي إن غبي ينقطع حركات لأجلك .. ولكن
لا يسعني أن أفعل شيئاً إن القلوب ليس سعة مبيع وتشرى
فاتدب ع ماري عضباً وصاحت
إذا فانت ترفقي؟

- أرفض وأنا حرة مريحة لأجلك؟

فصاحت ماري يوحية

- إذا سألتكم! سأنتقم!

وتنادت الغرفة عن عجل!

لم تكذ ماري هرمان تصرب حتى أقبت جان فورتييه ترور
لوسي .

راعها ما رأيته في عيها من أمارات الحزن فقالت لها

- ما بالك يا ابني؟

وكان لهذه الكلمة العظوة حرة عميقة في نفس لوسي فما إن
سمعتها حتى قرأت بين دراعها جان .. وراحت بكى كما تبكي
معلقة صميرة محروقة تشعر بدفء صدر الأم المحنون

وحين صكر روعها قالت

- إني أتعذب!

وروت لها ما دار بينها وبين ماري هرمان

- ١٠ -

أفاد توميان لأبرو من إسمائه والتفت إلى جاك جتروود وقال *

- سيدي إنها تهمة خطيرة تلك التي ألصقتها بلوسي .. فهل

لديك البرهان؟

- بلا ريب .

ودفع إليه ورقة السجل المروعة التي تبين أن لوسي هي ابنة جان
فورتيه

اطلع لومسان على السجل ثم قال -

- صدقت .. انها ابنة جان فورتيه!

- أي ابنة المرأة التي قتل أبك!

- ولكنني مقتنع بردها!

- وهل يعيدك انتباهك من حكم القضاء وحكم الناس؟

وما يقرون عليك الناس إذا عرفوا أنك تزوجت بابنة المرأة التي
قتلت أبك؟

هههه لوسيان بلهجة يائسة .

- أصبت .. إن زواجي بها يات متحيراً!

- أرايت يا بني أنني أسديتك الصح!

وكان أسكين على حال من اليأس لا يمكن وصفها .. وكان
وجهه شاحباً كمن قضى مريضاً شهوراً طويلاً
وقال الأب مسروراً

- لقد أنقذتك يا بني من العار الذي كان حليفاً أن يلطخ اسمك

مدى حياة .. ويقاه هذا أسألك أن تقدر ابني من الموت

- ولكني لا أستطيع!

إني أعلم أنك رجل نبيل .. وقد أعتقدك فكيف لا تقدر ابني؟

- سيدي إن الأمر ليس هيباً إلى الدرجة التي تصوورها إن

هذه الصدمة قاتلة سحفة .. ولا بد لي من الاعتكاف أياماً أداوي

فيها جرح نفسي

- وابني؟! إن هذا الإعراض منك يضلها!

- أظلمها يا سيدي على السب حتى تعلم أن ليس في وسعي أن أتزوج لوسي.

- ولكن متى تتزوج انتي؟

- أمهلي يا سيدي أمهلي أياماً أخرى فيها وأتدبر الأمر ألا ترى أنني أتعذب؟

- حسناً . . . سنصبر إذا!

- أتأذن لي بأن أحتجب عن العمل يومين؟

- لئلا يشاء

وانصرف بوسيان وهو يقول في نفسه .

- نعم . . . يستحيل أن أتزوج ابنة المرأة التي قتلت أبي!

مكية لوسي! إن هذه الصدمة سفتتها! ولكن ما حيلتي؟! إنني أتعذب! أتعذب أكثر من عذابها ألتظر!

سار لوسيان هائماً على وجهه في طرقات باريس . . . كان كالمدهور المشدود لا يدري ما يفعل!

ثم يكن هناك شك في أنه حصد عن الزواج من لوسي ولكن الصدمة . . . كما قال . . . صحت قلبه وردته أشبه بالهالين .

وفدته قدمه إلى الخبير الذي تعمل فيه جان مورنيه . . . واد راته وهي جالسة في الردهة أسرعته إليه تقرب .

- سيد لوسيان . . . أنت في حاجة إلي؟ ولكن ما هذا الذي يبدو على وجهك من إشارات الانزعاج والاضطراب؟! ماذا؟! أتبكي؟ أخبرني بما جرى! إنك تريد أن تخبرني عن لوسي! ربه! كان قلبي

بعد الصباح يحدثني بأن هناك مكية توشك أن تحل بـ مد رلرب الأنسة هرمان بوسي .

همال باستعراب

- أزارت الأنسة ماري هرمان لوسي اليوم؟

نعم

وما السبب؟

فروت له ما حدث . . . فقال في هدوء

- إنني أتمسك للأنسة ماري هدراً عن غرامها!

فطرت إليه جان بلوتياي وقالت:

- ماذا؟! أم من كلمه ممانه عن لوسي؟! ألا تعلم أن هذه المقايه

كانت عذاباً بها؟

- إنها طبعاً جديرة بالعطف

- جديرة بالعطف؟! ما هذه الكلمات؟ كأنني بمعافيتك نحوها قد

مترت! ألم تعد تحبها؟

- ربي

امتقع وجه جان وصاحت بياس

- ماذا! ألم تعد تحب لوسي؟ أنت تهدي؟

- هناك حائل يصدي عنها!

- ولم لم يصدك بالأمس؟

- لأنني لم أعلمه إلا اليوم .

فالت جان بعصبه .

- إنني أعرف مصدر هذه الأكاذيب والمخريات . ترى لي اكلمه

أصقوه بها!

- ليست هناك أكاذيب أو معصيات يا سيدي
حقائق دامعة

- ماذا تعني أفصح؟

- يستحيل أن أتزوج لوسي!

- ولكن ماذا؟ لماذا؟

- لأنها ابنة المرأة التي قتل أبي!

فصاحت جان فورتيه بأس وقالت:

- ابنة المرأة التي قتل أبائك! ابنة جاك فورتيه!

- نعم!

- لوسي ابنة جاك الهاروي من السجن؟

- تماماً!

وكاد السر ينطلق من بين شفتيها كدبت تصيح

إذا لوسي هي ابني التي أبحث عنها منذ شهرين ابنتي إلى

حواري! وعلى قيد خطوه مي وأنا لا أعلم!

ولكنها تماسكت وتجلدت وقالت

- هذا بها غريب وقد أدهلي ولكن أناخذ الفتاة بجريته

أما؟

- وهل يعني أن أعمل غير هذا؟ ما يقول الناس هي ابنة هروا

أبني تزوجت ابنة ثلث التي مئكت دماء أبي؟

- ولكنك تعتقد أنها بريئة

- وهل ينبغي هذا الاعتقاد من اتهامات الناس؟

قبل أن أتزوج لوسي ينبغي أن أيرهن عن براءة أمها

- سيدي... إن لي رجاء عندك... انهي إلى لوسي... وكاشفها

في حرفت مي! قومي لها إن يتنا هرة عميقة يستحيل اجتيازها!

نقد تحطم قلبي لغرائف! ولكن الشرف يمضي علي يدك!

فألت جان بمرارة

- إنك معهد إلي يا سيدي بمهمة فوق الطاقة أتريد مي أن

أكتشف لوسي سر موبدها كأنها لا يكفيها بأس الحب حتى أصف

إليه عار الفضيحة؟

كلاً يا سيدي! لا تكل إلي هذه المهمة لوجوك!

وأولته ظهرها وانصرفت مسرعة والآخر يقطع رباط قلبها.

إذا فلوسي لنتها!

نقد حلتها قلبها بهذا وهذا الحب الذي تحسه الفتاة إنما بعثه

في قلبها بذاء الأمومة الخفي.

ولكن ما أودع النكبة! هي أي حرف أليم امتدت إلى انتها!

إنها بدلاً من أن تضحك إلى صدرها وتناقشها سنجدها مصها مكرمة

هي أن تتباعد عنها وتحمل عنها شحطتها!

بدن أن تقول لها: أنا أمك... مستعطر أن تصيح: كلاً... كلاً

إني لست أمك

وإذا به من عذاب محض يوم تنكر الأم أمومتها!

- ١١ -

كان أوليفر سويمر في خوف دائم من عشيقته أماندا

عرف أنها ترناب في أمره ونكاد تومس بأنه هو المعتدي على

لوسي... ولكنه كان موعناً من أنها لم نهض بعد إلى صوانه وأنها

تظن أنه يدعى البارون أربوند دي روس ولكنه كان يحشى أن

تعلبه سرّاً فتكشف أمره

وقال في نفسه ،

يسمي ان أسرع منه سرّاً وأعرف ما بطنى وإلى أي مدى
بلغت شكوكها بي . فسم لا أستمع إكسبير الحقيقة كما استمعت
من قبل . - يوم اقترعت من جاك جارود سره

وإذ صرّ على ذلك دعاه إلى قضاء أسبوع على ضفاف النهر
بالقرب من قونتنبلو

لبث أماندا الدعوة فسبقها إلى القصرية وحجزت له غرفة في فندق
«محنة الصيادين» رسلها أن تلحق به .

وعندما كان يصرّ في غايه امتك رأى جماعه مسجون على العشب
يسادلون الحديث

وكان أحدهم يقول

- وشاءت الأقدار أن تسافر إلى أميركا على ياخرة واحدة في عام
١٨٦١ . - وقد تعرفت إذ ذاك على المخترع الشهير بيومي مورتيمر واسته
وبنيسي يدهي بول هرمان تزوج الفتاة فيما بعد

فصحبك أحد الحاضرين وقال ،

- لقد ذكرتني بما حدث . فقد سرق أحد النصوص مالي ولكن
بول هرمان رآه فأعاد إليّ المال المسروق

- ولكنني لم أسمع بهذا الحادث؟

- هذا لأن بول هرمان رجائي أن أصور عن الرجل إكراماً لأسرته

وعند الرجل وهو طيب يقول :

- وعلى هذه الياخرة . . وكان اسمها لوردمير عيم أذكر . - لمبت
كثيراً حدثني عن دواء معروف باسم «إكسبير الحقيقة» إذا شرب منه

الإنسان تنطلق يتحدث بكل ما يخطر ،

- وهل جرّته؟

- مراراً ونجحت التجربة .

ونظر أوليفر في ساعته فألقى أن موعد الغطار قد دنا . فتعصق
إلى المظلة واستقل أماندا عند قدومها ومضى بها إلى الفندق

وفي اليوم التالي لزم أوليفر عرقه بحجبه الصدع فخرجت أماندا
وحدها تنزّه .

على أنها ما كادت تغادر الفندق حتى يادر إلى وجاجة الشراب
فخرج بها قدراً من هذا السائل الهندي المعجيب المعروف باسم إكسبير
حقيقة

وعندما كان أماندا رجعة إلى الفندق رأى حشداً من الناس
يرحمون الطريق . فاضربت من الغوم مرأت شاةً عذداً على الأرض
والدماء تترق عنه وقبل لها إن مبرة صلبته

ما كادت أماندا تتأمل وجه المصاب حتى همت باستغراب :

- عجباً أ دشمال !

فقال أحد الحاضرين يسألها

- أتعرفينه؟

فقالت مستدركة ،

- كلا . . إنه شبه برجل أقرقه !

وجاء الصيب مرعاً فحصى المصاب وأمر بتغبه إلى الفندق

أمر أوليفر سوليبر أن يرسل بالطعام إلى غرفته في الفندق
وجلس إلى المائدة وأماندا مباله

وراح يقدم إليها الشراب المروج بإكسبير لحصة .

وب كاد يستمر في جوفها حتى بدأت الأعراض المبهدة تبدو
عليها .. ظمأ شديد .. وإعياء .. ثم ضحكات مرتفعة

وما هي إلا خطوات حتى انطلق لسانها وبدأت تصوف بكل ما
تبط

وعرف أوليد أنها عملة بسره وأنه هو المعدي على لوسي وان
في بيتها أن تتعقبه وأن تفصح أمره

وكانت هي تتحدث تنكلم بصوت مرتفع حاد النبرات فصاح بها
أوليد

- اصمتي .. حمضي من صوتك !

فصرحت :

أنت .. كلاً .. محال أن أسكت .. يجب أن يعرف الناس
جميعاً أنك لص نازل

ثم اشتد بها لاثقمان فأصبحت بنوية عنمة .. وأخذت تهلي
ثم تفصحك ثم خشق صوته .. ولم تعد الكلمات تخرج من
حلقها

وحجاء هوت إلى الأرض خالية عن الصواب

أسرع إليها أوليد فجلس يدها فوجد بارد مثلجة وبسببها ضعيفاً
فأدركه الخوف وخشي أن يكون الإكسبر قد قتلها

أفرغ في الخوص م عني من .. حاجة للشراب وفتح باب العرصة
فألغى صاحبة الفندق على قيد خطوات تتحدث إلى رجل كهن

وقال أوليد يسألها

- أريد طبيباً .. لقد اغشي على صديقتي

فخدم الكهن الذي كان يتحدث إلى صاحبة الفندق وقال

- إني طيب يا سيدي .. وقد جئت إلى الفندق لأعالج جرحاً
- أرجوك أن تعحصها إذا !

فحص الطبيب أمالما وسفاه دواء أخرجه من حقيقته

ثم التفت إلى أوليد وقال

- لو أنني تأخرت ربع ساعة ماتت هذه المرأة ولكن أخبرني

لم سقيتها من إكسبر الحقيقة ؟

فقال أوليد مراراً :

- إكسبر الحقيقة ؟

- دعك من الإنكار ! لا ريب أنك أردت أن تشرع أسرار هذه

المرأة .. ولكنك تجاوزت القدر فكنت تقتلها

إني نعلت هذا يا سيدي .. لأسباب خطيرة

س من شلني أن نبحث لأسباب !! بولاي لكنت الآن موقفاً

إلى السحر ! إني لم أبلغ الشرطة على شرط أن تعذني بأن لا تعود

إلى هذه العملة مرة أخرى ..

- أعدك بذلك يا سيدي

وانصرف الطبيب بعد أن وعد بالعودة مرة أخرى في المساء

أبت جان قوربيه أن تكشف ابتها لوسي بأن لوسيان هجرها ..

إذ لم يطاوعها قلبها على تعظيم فؤاد ابتها

ولكن جاء يوم الأحد .. ولم يحضر لوسيان إلى رباتها كالتعود

دبت الشكوك إلى قلب لوسي .. وبدأ اخرون يظنوا عليها

وحاولت جان أن تسري عنها .. ولكن الفتاة كانت متوجهة ..

جعلت تقول

- لا ريب أنهم أغفروه بالكل على هجري .. مما يذريهم أنهم

عرضوا عليه ربع مليون أو نصف مليون كما عرضوا عني لقاء أن

يتحلى عي ؟

وتنصب ساعدي السهل وهي في الانتظار تارة تنب إلى السادة
وتأخذ الطريق بعينها ! حذرة ترثي على فراشه وتسم نفسها إلى
البكاء

وهي الذين . ولم تطلق المسكينة صيراً . قالت

- إني ذليقة إلى ذلوه لأرى ما صرفه عني !
ولقيها البراب يقول

- إن السيد لوسيان لا يرو مسافر منذ يومين .

- مسافر ! ألا تعلم وجهته ؟

- كلاً

ومى يعود ؟

- لا أدري !

عادت لومى وقد أدهشها هذا السر العجائبي وأثار مخاوفها
على أنها ما إن استعدت خطوات حتى لمحت عشاها مائدة
لوسيان . رأت الغصن يبعث منها . . إنه لم يسافر إداً !

ورجعت إلى البواب خاضعة ثائرة

وقال الرجل يلدغ عن نفسه :

- إنه هو الذي أمرني بأن أبحث أنه مسافر إذ سألت عنه !

- هو الذي أمرك بذلك ؟

- نعم . وقد وصفت لي . . ألسنت أنت الأتسة لومى ؟

وما كانت لومى في حاجة إلى المرید

رجعت إلى غرفتها وهي تبكي بكاء مرأ . ترامت على صدر
جان وجعلت تقول :

- لقد هجرني . لقد تخلى عني

وروت لها ما كان من أمرها مع البواب

وهنبت بصوت محس

- والآن ما بيعة الحياة بعد أن هجرني ؟ إن الموت عتلي أعذب

من الحياة

وراحت جان تسري عنها نكلماتها وحانها والمسكينة مسكي
سكاه مرأ ملحاً وصاحت

- لا بد لي من مقابله . . ينبغي أن أعلم السو في هجره لي !

- لا داعي لذلك يا ابنتي . إن علمت باخفية قد يفاجئ من

عندك

- ما هذا الذي تعوي ؟ أراك تعرفين شيئاً ؟

- كلاً يا ابنتي . . إني لا أعرف شيئاً

- ولكن ماذا هجرني ؟ لأني لفيطة ! لأني فسيحة ! ولكنه كان يعرف

ذلك من قبل ! لا بد أن أذهب إليه . إني ذليقة إليه فوراً

وسأوعمه عني أن يكاشعني بكل شيء !

وحاولت جان أن تثني استنها عن الذهاب . . فقامت

- إن لوسيان بهجك . . وما خانك . . ولكن زواجكما مستحيل .

- مستحيل ؟ ولماذا ؟ لا ريب أنك تعرفين شيئاً . نكلمي ! أكان

أبي لصاً ؟ أو قاتلاً ؟

صاحت جان

- لا تهسي أباك يا ابنتي فقد كان من أشرف الرجال !

- أكنون أمي بذاً هي أصل البلاء ؟

ولادت جان بالصمت . لم يكن في وسعها أن تقول .

- نعم . . إن أمك هي سبب الهلاك . . وإن كانت بريرة شريفة
وأنا هذه الأم التي سحقته فؤادك

- تكلمي يا أمك ما كنته ؟ ماذا يجري لوسيان ؟ إلي أكاد
أجي

وكانت انكسرت أنفه يا هاني .

وصاحب

- إذا عرفت السبب علمت علي نكيتي وانتمت للوسيان عذراً

وأمام هذه الإلحاح لم تجد جان يداً من الكلام . قالت

- لوسيان لا يستطيع أن يتزوجك . لأن

واسمعي عنها الكلام . . ولكنها ما ليشت أن قالت بصوت

محتق

- لأن أمك هي تلك المرأة المتهمة بقتل أبيه

فصرخت لوسي صرخة دامية . وجمدت كالصعق .

وبعد برهة قالت

- إذا فأني هي التي قتلت جول لايرو وأحرقت مهنه ؟

- لمت بريرة يا ابنتي فلا تنديسي إيمانك بها

- ولكنهم ادانوها ؟

- ظنمنا أنسيت أن لوسيان نفسه يعتقد أنها بريئة ؟

- ما دام هذا هو اعتقاده فلماذا يجري ؟

- لأن حكم الناس وحكم القضاء أقوى من اقتناعه

- أكنت تعرفين أمي يا سديتي ؟

- إنها من أشرف النساء يا بسبي

- وهل هي بريئة ؟

- إنها بريئة دلاً قلعياً

- ست ألعبها ! انسي ألعب لها الرحمة ! ولكن كيف يسعى أن

أنسى أنها كانت مصدر عذابتي !

وهي يا ابنتي ! ألم تتعذبه هي أيضاً ؟ حرمت منك ومن أبحث !

- أكان لي أخ يا سيدتي ؟

- نعم . . ولا يفري أحد مهنه الآن . . وقد هربت أمك من

السجن لا لتعلم بالحرية وإنما لتبحث عنك وعن

وظفت جان تحدثت إلى بوسي وتحاول أن تسري عنها حتى

سكن زوجها فلادت بسويها واستقرت في اليوم

وفي تلك الليلة لم يغمض جان عرويه جمل

ظلت طول الليل يبكي وتتعبد كما لم تحدث أم من قبل !

- ١٢ -

في ذات يوم ذهب المصور إتيان كاستنل يزور صديقه المهندس

لوسيان لايرو وأثناء تحيلاً بأيدي آخرى فقال له :

- ما لي أراك يا صديقي حزيناً مهموماً وقد كان يبسي أن تكون

مرحاً ؟ لقد ولدتني ماري هرمان وأنبأتني أن أباه يسوي أن يتحدثك

شريكاً

فقال لوسيان بأسى

إنك سم تعلم يا صديقي بالثقة التي حلت بي ولو أنك علمت

بها ل طرحت علي هذا السؤال !

- أمة نكهة ؟

- لقد قطع ما بيني وبين لوسي !

- كيف هذا ؟ ما السبب ؟ كنت اعرف أنك هائم بها !

فروى له توميان مآ ما عرفت من أنها ابنة فائله أليه

فقال المصور إنني كاستل

- ومن قدم إليك ورقة السجل ؟

- السيد بون هرمان

فبدت الدهشة على وجه المصور وقال :

- وكيف أتى بها ؟ أصي كيف توقع أن تكون لوسي هي ابنة جاد

فورتيه فيبحث عن السجل وأتاك به ؟ أتراه كان يهرب جاد في

شبابه فترأى ما بين لوسي وجاد من تشابه ؟

- لا أدري فابحث في هذا ليس من شأني .

فقال إنني

- ولكنه من شأني . خيبرني . ما هي الآلة التي كان أبوك

مشتغلاً في صنعها قبل أن يقتل ؟

- آلة يعقل الأجسام المظفرة غير استوية

- إنها إناء شبيهه بالآلة التي اخترعها بون هرمان وكانت مسبباً في

ثرواته !

- أظن ذلك .

وحين رجع المصور إلى دلوه أخرج من خزانته علاناً كبيراً لفت

ودراج يقرأ ما فيه من مذكرات

وكانت كلها تدور حول مسألة المصنع المحروق .

وإذ مرغ من تلاوتها قال وهو يهز رأسه

- يحيل إليّ أنني عرفت من هو جاك جالود . ولكن لا بد من

الدليل أولاً . نعم . لا بد من الدليل !

والآن خطوة إلى الوراء . . .

حين أقابل أماندا من إقاماتها عجبت لما كانت محبة من الإعياء

وانسراحي وعوكت إلى البارون أرمولد دي ريس (أي أوفيد) سأله عن

لأمر فقال لها

- إنك أصبحت عقب العشاء بضرورة تشجية حادة كانت تقضي

عبك بولا أن تادرت إلى استدعاء الطبيب .

فقلت العتاة

هذا عجيب . ما لا أذكر شيئاً من هذا ! ولكن كيف أصابني

هذه النوبة بعدة دون مقدمات

وقبل أن يجيها على سؤالها قرع الباب ودخل الطبيب .

أقبل على أماندا يمحسها ثم قال .

- إنك الآن أحسن حالاً يا سيدتي وقد زالت نوبة الخطر .

- ولكن كيف يمكن أيها الطبيب أن أصاب فجأة بهذه النوبة ؟

هكت الطبيب هبة ثم قال

- سلمي اليدرون فهو أكثر مني على الإجابة عن هذا السؤال .

وحين خرجت أماندا إلى نفسها واستعدت كدمات الطبيب قالت

- تخأني بهذه الكلمات تعوي سرّاً هامضاً . لا شئ أن البارون

دس لي سمّاً في القتراب . . . !

وأنسرحب إلى رجاحة الشراب لكي تصحس ولكنها وجدتها

دروعة ليست بها فطره واحدة . فقالت في نفسها

- الآن قهقت . . . أنا لم أشرب من هذه التزجاجة إلا كأسين

ولكنه أفرغ ما فيها حتى لا يكشف أمره ! لا شك أنه مروج بها

سماً! قدم أراد أن يقتلني . ؟

في ذلك المساء عاثر أوليفيد الفتى وسار على شاطئ النهر
يسره على حين برمت أماندا غرقتها إذ كذب لم ترتد ثيابها بعد
وكاذ الهوى شديداً فأطار قبعة عجوز من الشترتين وأسرع أوليفيد
في أثر انقبعة وحملها إلى صاحبها

وقال الشيخ العجوز يشكوه

- أشكرك كثيراً يا سيدي ! إنني

ولكنه أسك بفتنة عن الكلام !

حملني في وجه أوليفيد وصاح .

- أنت هنا . . . إنني أحرفك

فقال أوليفيد باستغراب :

- بؤسني يا سيدي أنني لا أذكر من أمر تعارفنا شيئاً !

- كيف هذا؟ أنسيت ربه بؤسك الذي سرقت أمواله على متن

الناشرة لورد مير ؟

فرح أوليفيد إذ سمع هذه الكلمات ولم ينتظر لحظة واحدة وانما
انطلق راجعاً إلى الفتى وقد أخذه الخوف .

لزم أوليفيد غرفته في ذلك المساء وأخذ يشلى بقراءة الصحف إذ
كانت أماندا قد هبطت إلى الحديقة تترقب

وفيما هي جالسة انتهت إلى أديها أصوات قريبة

سمعت رجلاً يقول : «الآنضد الرجل قبعتي وعلتها إلي . . . فمما
تريب وجهه عرفت أنه من أكبر المجرمين»

فقال صوب آخر تبست فيه أماندا صوت الطبيب الذي مولى

علاجها

- إنه مقيم في فندق (محنة الصيادين) وهو يدعى البارون أرموند

في ريس

- البارون أرموند في ريس ! هذا اسم مستحل ! إنه مجرم يدعى
أوليفيد سوليفير ! وهو الذي ذكرت لكم بالأمس أنه سرق مالي وتولا
شعاعة بول هرمان فيه لكاذ الآن في السجن

فقال الطيب

لقد كاذ يصحح بالأمس ثلاثاً فقد مرج بشرابه صديقته قدراً
من ذلك السائل الهندي العجيب الذي يرغم المرء على الإباحة
بأسراره . . . ولكن القدر كان أكثر مما ينبغي فكاذ يقننها !

وقيم كان هذا الحديث يدور بين الصديقين كانت أماندا جالسة
على كتب وقد حجبتها الأشجار سمعت إلى كل كلمة بانبيه

وقالت لنفسها

- الآن عرفت السر ! إنه يدعى أوليفيد سوليفير . . . وأوليفيد بول
هرمان يرعاه ويسيطر عليه حمايته !

وقد حاول أن يقتل لوسي التي تحب ثياب ابنه بول هرمان

لا ريب إذاً أن هناك علاقة خفية بين هذا القاتل وبين هرمان

فما هي هذه العلاقة ؟

ذلك ما سوف أهندي إليه قريباً !

حين رجعت أماندا إلى غرفتها في الفندق وجذب أوليفيد في
انتظارها . . فقال لها -

- إنني مسافر إلى باريس لأمر خطير وسأعود بعد يومين

- ومنى تنافر ؟

الآن فوراً

ثم قبلها وعاد الغزو بعد أن حمل معه حقيقه

فحب أماندا الجرس وقالت للخادمة التي لبست البهاء

- أحب أن أقابل المصباح الذي صدمته السيارة على أن تكون هذه

المقابلة سرّاً لا يعلم بها أحد

ومضتها بمبلغ من المال فقالت الخادمة

- سأندبر الأمر فاطمئني .

لم يكن ذلك المصباح الذي صدمته السيارة إلا واقول وشجان

الموظف في دار العمدة في بلدة جواتي والذي برع من السجلات

الزوجه الخاصة بابنه جان فورتيه وبعدها إلى أوليف سوبير لقاها وده

ديوه

وقد برت الخادمة بوعدها فذبرت أمر النقاء السمري بين أماندا

ودشمان

وحين دخلت عنده أماندا تولاه الدهول وحلف -

- أماندا! أنت ها ؟!

فأخذت بيده وراحت تتحدث إليه برفق وهو حريص المراش لا

يقوى على الحركة . ثم قالت

- لقد جئت بأبحاثك في أمر خطير يا واقول

- أي أمر يا ترى؟

- أنعرف البارون أرموند في ريس . - أعني ذلك الرجل الذي كان

في جواتي منذ شهر وأخذ من بائعه الشاب الإقرار الذي اعترفت فيه

بمعلنتي ؟

يقال واقول -

- نيتاً له - أفعل هذا ؟ إنه أخذ أيضاً من تاجر الخمر السنتين

النتين وورثهما

- إنه عدوك يا واقول وفي بيته أن يوقع بها .

وراحت تروي له ما عرفتته من أمر أوليف وجرائمه واسمه

لحقيقي

وقال

- والآي يجب أن نكاتف يا واقول ومعمل على الانتقام من . .

فهل تشاطري هذه الرغبة؟

- من كل قلبي !

- إذا لا بد أن نتصر . ومتى شفقت من جرحك شرعنا في

منازلتك . إنه عندو رهيب ولكنك مستصر

- ١٣ -

في ذات يوم وصلت إلى لوسيان لايرو رسالة من المصور إتيين

يدعوه فيها إلى تناول الشاي عنده - فتمما حضر جلس يتحدث إليه

ويقول :

- تمت بي مرة إلى السيد بون هرمان هو الذي أعطاك ورقة

السجل المزورعه لحافه بلوسي ابنة جان فورتيه .

- هو ذلك .

- ألا والي لديك؟

- نعم

إذا لوجوك أن تأتي بيها عدلاً فلني بحاجة إليها

- إني أراك شديد الاهتمام بهذه المسألة !

- هذا لأنني سأأت أعطفك أنني عرفت قاتل أبيك

وصاح لوسيان في حش:

- حقاً! لو أنك فعلت لكنت مديناً لك مدى الحياة!

- اصبر حتى يتحقق الأمر. وبهذه المناسبة بست أن أبتك بأنني دعوت بول هرمان وابته إلى تناول الشاي مع الآك أيضاً

فأجعل لوسيان وقال

- ولم جمعت بينا وأن أتحاشى لقدمها؟

- إن لي غاية من ذلك

ومرغ الباب إذ ذاك ودخل بول هرمان وابته ماري

وما إذ رأب ماري لوسيان حتى تفرجت وبحثها احمراراً على رعم العنقه التي تنحرف في صدرها وبدا عيني أنها أسعد السوء

بعد أن قرغ القوم من تناول الشاي قال المصور إتيين:

- والآن تعالوا لمرجكم على لوحاتي الأخيرة.

وانتهى بهم الطواف إلى لوحة كبيرة تشغل من الغرفة جداراً

كاملاً. ولزاح المصور الستار عن اللوحة وهو يقول:

- هذه اللوحة تمثل حادثة محرقة قديمة وقعت عقب مصرع أبيك يا بوسيان. ومن أشخاص هذه الصورة المرأة التي اتهمت بقتل

أبيك

كان المصور يلقي هذه الكلمات وهو ينظر إلى بول هرمان باتساع شديد.

واضطرب جاك اضطراباً ظهراً ولكنه ما لبث أن سيطر على أعصابه ببراعة

وقال المصور مستطفاً

- أما هذا الطفل الصغير فهو ابن السيدة داريه أخت كاهن

البلدة. وقد أصبح الآن من مشاهير المحامين وأصي به جورج داريه

ومال لوسيان

- عجباً! إن هذه التهمة بقتل أبي شبه امرأة أعرفها شبيهاً غريباً

فقال المصور

- اتعني الخياطة لوسي؟

- كلاً. بل أعني امرأة في الخمسين من العمر هي السيدة بيره بيرس بالغة الخبر. وهي من أهالي المورنيل وأبانتني أنها كانت تعرف أبي

- وأين تقيم هذه المرأة؟

- في المنزل معسة الذي تقيم فيه بوسي. أعني رقم 9 شارع بوربون

وحين خلا المصور إتيين كاستل بغضه قال:

- لقد اشتدت ريتي بهذا الرجل! حين وقعت عيناه على اللوحة اضطرب اضطراباً عيباً وكانت نظراته تسبح بحوله فهل يكون

هو جاك جارود؟ لقد تولد الشك لي بمسي مد عرفت أنه اختزع آلة صعل

وقد أظهر هذه الآلة في أميركا وعقب مصرع لابرر بشهر واحد إنه كان يعرف أن لوسي هي ابنة جاك. فكيف عرف هذا؟

بعم - يعذب على ظني أنه هو جاك جارود!

ولكن أين الدليل؟! هذا هو الشيء الذي ينقصني!

يتما كانت هذه الحوادث تتلاحق كانت لوسي فورتييه مربية

الفراش بعاني حتى شديده مرلت بها إثر هذه النكبات التي ذهبت
صحتها

وقد نزلت جاك قوربييه ابنتها وسهرت على تزيينها حتى زال
عنها الخطر واضمأنت عليها فقالت بي نفسها
- والآن ينبغي أن أعيد هذه الأوراق إلى صاحبها

أما هذه الأوراق فمسلح قضية خاص بهامي جورج دارييه عشرت
عليه ملفي على قارعة الطريق منذ أيام - ولكنك لم تستطع أن
تحضي به إلى صاحبه إذ اضطرت إلى ملأمة ابنتها .

حملت جان اللب إلى بيت الحامي وقدمته إليه وهم بأن يمسحها
عنده ولكنها آبت .

وبدا التردد على وجهها ثم قالت

- سيدي أريد أن تسدي إليّ خدمة لا تسي ؟

إني رهن إشارتك يا سيديتي .

- إن لي صديقة مسكينة اضطهدت وطوردت دون أن تحيي
دياً . كل جريرتها أنها ابنة امرأة حكمت عليها بالسجور
- وكيف اضطهدت ؟

- وشئ به أعداؤها إلى صاحبة مشمل الحياطة الذي يعمل فيه
وذكروا لها أن أمها مجرمة - فم كان منها إلا أن طردتها من
المشعل . . أليس في القانون عذاب صبي هذا ؟

فقال جورج دلويه

لا أفكر يا سيديتي أن هذا الاضطهاد جريمة شائنة . . ولكن لما
يؤسف له أن القانون لا يرى أنها من الجرائم التي تستحق عقاباً
- إنه قانون أبر هاند

- هو ذاك يا سيديتي

وأحسن جورج دارييه بالمعطف على هذه امرأة الكريمة الصواد التي
تتصر بحرارة لفافة تعرضها - وبذلكه جان ميه دون أن يحظر لها أنه
ابنها . ودون أن يخطر له أنها أمه

وقيما هما في هذا الحديث دخل الخادم يقول

- السيد بول هرمان يا سيدي .

ما إن سمعت جان فورتييه هذا الاسم حتى هتفت :

- بول هرمان ! إنه يا سيدي سبب هذه النكبة التي حدثت عنها !

فقال جورج دارييه

- بعلك كنت تتحدثين عن لومي خلية بوسيان لا بول ؟

- قداماً يا سيدي !

- إذا تعالي فتحدث إلى السيد هرمان في الأمر ويرجوه أن يتوسط

لدي السيدة أوجستين لكي تبيحها إلى عملها

وأخذ يدها ودخل على بول هرمان وهو يقول

- إن هذه السيدة العنسة الفعنة قد جأحك فتحدث إليك في شأن

فتاة مسكينة هي بوسي فورتييه إنها تدعى مدام ليوا بوسين . ولد

عرفت بوسي لأنها تبعتها الخبر

كان جاك جازود قد سمع بأمر هذه المرأة وهو يشارر الشيء عند

المصور آتين . وقبل له إنها شديدة الشبه بصورة جان فورتييه .

أرسل إليها بصره فغرقها على الفور - وحين سمع صوتهها سم

بعد يحالجه في أنها جان فورتييه

لمسمع وجهه وبكته ثمالك أعصابه وقال

- وماذا تريد مني يا سيديتي ؟

- أنومل إليك أن تنقد لوسي . إنها ستموت بجوعاً . فكفنا
بحيث عن حسن أقصر أصحابه بالسبده أوعتير ملامتلام عها
مبقول بهم إن أمها محكوم عيها بالسجن فيرصدون الباب مي
وحها

فقال جاك جارود :

- وما شأني أنا إذا كانت أمها قاتلة سفاكة لدماء ؟

فصاحت جان مورتيه

- أليس لديك ما نقوله يا سيدي غير هذا؟ أسألك العون فلا أجد
ملك غير تجريح هذه المرأة الشكينة التي حكم عيها ظمناً !
وحلفت بذمها حاك جارود فكرة طرقة . قال في نفسه :
إنها لم تعرفني . . ولكني قد عرفتها . فلم لا أغتم هذه
الفرصة لكي أخلص منها إلى الأبد !

فصاح بها

- إنك تتحدثين يا سيدي بدهجة مبهمة من الاتهام والتهج ما يشير
الشبهات حتى لكأنك لست صديقة بها ! وبالأمر رأيت عند
صديق لي من المصورين صورة بهذه العجوزة جان مورتيه . ويتكسي
أن أقول إن الشبه يكما شديداً

اضطربت جان عندما سمعت هذه الكلمات فصاح جاك جارود

- إنك إذا لست ليوا يبرين ! أنت جان مورتيه الهاربة من
السجن لا بد من القبض عليك يا سيدي . وسأنادي رجال
الشرطة بمضي

ولكن جورج داريه اعترضه بهوله

- لا يمكن أن أسمع بهذا يا سيدي !

ثم تحرك إلى جان مورتيه وقال

- سيدتي . يمكنك أن تنصروني بسلام ! لن يجزق أحد علي أن
يكن بسوء ما دمت أحب نصف بي

انطلقت جان مغري وهي تكاد تفقد الوعي . وحاول بول هرمان
أن يلحق بها ولكن جورج داريه حال دون خروجه وهو يقول

- إن اهتمامك بالقبض عليها يا سيدي قد يشي ريتي عليك كما
أثار ريشك فيها اهتمامها بالدفاع عن لوسي مورتيه !

وأمام هذه الكلمات رأى بول هرمان من الحكمة أن يكظم مباحه
وأن يرجع عن اللحاق بجان مورتيه

حين رجع بول هرمان إلى داره دس إليه أوفيد سوليمر وروى له
التطورات الأخيرة التي لم يكن يعلم بها حتى انتهى إلى حديث
مقابلة جان مورتيه . وكف حواره أن يقبض عيها لولا أن صده
عها جورج داريه

وقال بول هرمان

- ونقد خطري أن أبلغ الشرطة عنها ولكني أحشى أن يشعب
النجسين فيكشف أسري إذ لا بد أن حورج داريه سيدرك أنني أن
الذي رشت بها

- وبم مشير إذا؟

بقننها . هذا هو سبل الخلاص

فقال أوفيد

- إنني أرى القتل جديراً بأن يشير شبهات أشد وأقوى . إذ ستجد
الشرطة صلة وثيقة بين قتلها ومحاولة اغتيال لوسي ! راء أنكشفت
هذه الصلة كذا من الهالكين

- إذا ما الذي ترى؟

- سأقنعها ولكن بوسيلة أخرى . سأدير الأمر بحيث يبدو موتها كأنه حادث وقع قضاء وقدرًا
- أصبحت أهدأ هو عين الحكمة
وأنياء بعنوانها ووصفها له

وبعد نصف ساعة عاود أوليفد البيت وقد ثمنت دهنه من خبزة محكمة للقضاء على جان فورتييه

هي تلك الليلة نفسها . وقبل الفجر بساعة عاود أوليفد داره ومضد إلى شارع بوربون وانزوى في ركن قريب من دار جان فورتييه

وفي نحو الساعة الخامسة صباحاً رأى امرأة غريبة من الدار تنطبق عدها لأوصاف التي ذكرها جانك جرود . فاضطرب في أثرها حتى إذا بلغت المخرج وأحدث وميلاتها يناديها باسم لير أدرك أنها هي جان فورتييه التي يعذبها .

وبعد ظل حيلة النهار يحجب خصواتها من بيت إلى بيت ومن شارع إلى شارع حتى عرفت المراقبة التي تسلكها . وفي السماء رجع إلى داره وهو يقول في نفسه .

- لا ريب أن موتها أصبح محققاً ؟ وإذا ما قتلتها لم يعد هناك خطر يتهدد .

- ١٤ -

كان المصور إتيين كاستل مجتهداً في البحث عن قاتل جول لايرو . فكان كلما وقع على أثر تتبعه حتى يبط اللئيم عنه .

- 262 -

ومد أخذ من لوسيان الورقة المزروعة من السجل وسافر إلى جواني وعرضها على العمدة فقال له هذا .

- هذه سرقة . - فمن الذي ارتكبها يا ترى ؟ لا ريب أنه لايرو
دشمان فقد ظهرت عليه بفتة مظهر الثراء بعد أن شوهد برفقة رجل غريب عن البلدة مبطها قداماً من باريس
- وأين دشمان هذا ؟

- لقد فصل من عمله وسافر إلى باريس . - وعلمنا أنه أصيب في حادث تصادم فنقل إلى فندق محطة الصيادين في فونتسفو ولم يتردد إتيين في السفر إلى هذه البلدة
قالت له صاحبة الفندق

- هذا صحيح يا سيدي . - لقد نقل إلى هذا الفندق عقب إصابته . ولكنه سافر اليوم إلى باريس غير أنه ذكر لي أنه سيمود يوم الأحد مع الأكنسة أماند
- ومن هي هذه الأكنسة ؟

- إنها صديقة كهل يدعى البيرون أربولد دي ريس
وكان منصور قد عرف من تحقيقاته في جواني أن البيرون هذا هو الذي أغرى دشمان بسرقة السجل فقال :

- إذا فالبيرون صديق دشمان
- كلا . فإن الأكنسة أماند لم تقابل دشمان إلا بعد رحيل البيرون .

- أتعلمين عنوان هذا البيرون ؟

- نعم . - إنه مدفون عند في السجل .
ولكن حين سافر إلى باريس وبحث عن هذا البيرون في المعاول

- 263 -

الذي ذكر له ثم يجد أحداً بهذا الاسم . فعرف أنه هو الذي كان
دونه البارون في سجل الفندق العمية وتضيفاً
وقال المصور لي نفسه .

- لا سبيل إلى جلاء هذا السر العائض إلا إذا اجتمعت بدشمان
وأماندا والبارون دي ريس . ويؤسف له أنني لا أعرف عوان
أحد منهم .

ومضى إلى منزله وقد اشتد به اليأس

في اليوم التالي مضى المصور إلى زيارة ريسه الخاصي . نقص
عيب ما كان من لقاء جان هورتييه بالسيد بول هرمان في مكتبه
وكيف حاول أن يقبض عليها بولا أن تصدي له جورج .

وقال المصور

- هذا عجيب . لا تعرضي مسألة تتعلق بجان هورتييه إلا وجدد
ليول هرمان أصبحاً فيها ؟ ما شأنه ؟ وما الذي يهيج به هذا الاهتمام
الكثير ؟

- أترتاب فيه ؟

- نعم . . لقد كنت أعتقد أنه هو جاك جلرود كما أتيتك . ولا
يتخفى إلا الدليل الدامع . ولكنني موثقة من أن انتظاري من يطلب
أب أوليفر فكان لي خلال ذلك منهكاً في تدبير مكيدته للقضاء
على جان هورتييه .

وفد تعقبها كما ذكرنا وعرف الطرقات التي غادرت أن تسلكها
وفي اليوم التالي كوّم فوق سور أحد المنازل الخالية كومة كبيرة
من الحجارة ووقف ينتظر مرور جان .
ورآها مقبلة على البعد فتهايم بعمل

حين صارت تحت البيت دفع كومة الأحجار فانهارت وسقطت
فوقها وفوق غلام كان يسير أمامها
وسقطت جان والعلام على الأرض وقد انبعشت الدماء من
جراحهما .

أما العلام فمات لحظة واحدة . وأما جان فأصبحت برفوض وجرح
خفيف

ولكن أوليفر حين رآها مريحة على الأرض أيسر أنها ماتت وطار
إلى صاحبه جاك يرف إليه البشري

في صباح يوم الأحد سافر المصور إثين إلى فندق المحلة
الصيادين . ولث في انتظار قدوم دشمان وأماندا . إذ كانت صاحبة
الفندق قد أنبأته أنهما سيحضران في ذلك اليوم

ولم يطل انتظاره إذ ما لبث الخادم أن جاء بهطره بقدميهما
وقدم إليهما المصور معه وقال .

- لقد جئت بأبحاثكم في شأن بول هرمان . ألت أنت يا سيد
دشمان الذي سرق ورقة السجل وأعطيتها لبارون دي ريس ؟
حاول دشمان أن ينكر في أول الأمر ولكن أماندا قالت له :
- وما الذي يدعوك إلى الإنكار ؟ نعم . هو الذي فعل ذلك
لقد أخرب هذا الرجل بأنا . . ولكنك مستقيم .

وزوب له أماندا قصة الأرواح المروية . وكيف أن البارون يحتفظ
بها ليستخدم سلاحاً قديماً . وأنهما يسعيان لأن يبي أسرارهما
وقالت منبرسة

- ومع ذلك فهو يتحلى لقب البارونية !
وزوبت له ما علمت من جرائمه وأنه يدعى أوليفر سوينغر . . وأنه

يعمل حساب بول هرمان .

فقال المصور .

- هذا كله يؤيد شكوكي . إنني أعتقد أن بول هرمان يتحمل هذا الاسم وأنه يدعي جاك جانرود ! ومن دمتما تصيبان إلى الانتقام من أوليفر سم لا نتكاتف جميعاً على الانتقام وإظهار الحقيقة وثرة تلك الملكية جان فورتيه ؟

وتم الاتفاق بين الثلاثة . وراحوا يسبرون الخطة الحكيمة التي ستجح

وقال المصور .

الرأي عندي أن نبحث سريّة إلى بول هرمان مدبلة بتوقع أوليفر سولجر نقول بها

أقاربني هذا المساء في منزلي ؟

وفي خلال ذلك يكون دشمان كدماً بالقرب من مسرح هرمان دون رآه خارجاً تعقبه . وبهذه الطريقة يسهل علينا أن نكتشف مجاً أوليفر م دمتما قد يحتمل عنه طويلاً بلا جدوى .

- ١٦ -

حين عرف أوليفر سولجر أن جان فورتيه دم قت . . وأن الخبارة التي سمعت فوقها أصابها بجراح جمعية ما ليتب أن شعيت منها بعد أيام قليلة . . بعث برسالة إلى إدارة الشرطة يعرض فيها إن باتعة الخبير لير يبرين ما هي إلا جان فورتيه

وحين كتب أوليفر الرسالة إلى رئيس الشرطة دخل إلى حانة وكتبها فيها ، وكانت تلك الحانة هي الحانة نفسها التي يجتمع فيها

الخبازون عادة وجان منهم وكان جميع أولئك الخبازين يحبون جان ويحترمونه ، فلما علموا أنها سلمت من الخطر وشعيت من الجرح الذي أصابها أرادوا أن يحضروا بها الشعاء ويأمنوا مأدبه فررروا أن يجمعوا ثقتانها منهم إكراماً لها

وقد علم أوليفر ، وهو جالس بينهم يسمع حديثهم ، مقصدهم ، فاشترك معهم في إعداد هذه المأدبة ودفع خمسة فرنكات وهي القصة المعروضة ، لأنه خطر له خاطر هائل يؤيد خطته الشائنة .

ذلت أنه خطر له أن يسقي جان من إكسير الحقيقة الذي كان عنده ، حتى إذا فاجأته الشرطة مداعة الوليمة كان الشراب قد بلغ منها ما عرفت بحقيقته اسمها ولا يبقى سبيل لدفاع الخبازين عنها

وكان موعد الوليمة في اليوم التالي ، فجاء أوليفر إلى تلك الحانة قبل الموعد بساعة ، وقد أحضر معه رجاجة الشراب ، وجلس في انعائه العمومية ، مشرفه على الشارع ولها باب من رجاج يرى منه المار في الشارع جميع الجالسين في تلك الحانة

وقد اتفق في تلك الساعة أن السيدة أوجستين أرسلت مائدة بمهمة إلى إحدى رباتها ، وقد مرّت بذلك الشارع قرأت من خلال الزجاج وجه أوليفر ، فدخلت إلى تلك الحانة من باب غير باب القاعة العمومية ، وجلست في غرفة محادية للمكان الذي كان فيه دور أن يراها ، على رجاء أن تقوم أثره حين خروجه

وبين هر جالس جده خادمه الحانة تسأله عما يشرب ، فمشى إليها ولاطفها وأطرب في مديح لير بيرين التي سيحضرون بشعائنا قرّرت الخادمة بهذا المديح ووثقت من أن هذا الرجل يحترم بلادة

الخيز كما كان يحترمه الجميع

وعند ذلك أخرج أوليد من جيبه علبة تحتوي على قرطبين من
الميرور وقال للخادمة

إني أعددت هذين القرطبين هبة لبيزا بيرين ، وسأقدمهما لها
ساعة لاحتمال .

ثم أخرج علبة أخرى تحتوي على قرطبين مماثلين أيضاً وقال

- إن هذين القرطبين لك إذا ساعدتني قيد أريد .

مدهشت الخادمة لقرنه وقالت به :

- وماذا تريد مني ؟

- إني أخدم عن ليرا ما لا تعلمون ، فلأن لها صوباً بمن الجماد ،

ولكنها امتعت عن العناء منذ عهد بعيد لكبه أصيبتها بمن تحب

ولمّا كانت هذه الوبيحة معدة لها وكان صوتها على ما وصفت

لث فقد أردت أن أحتال على سماع صوتها الرخيم

فذهلت الخادمة وقالت :

- كيف تكون هذه الحيلة ؟

- إنّ لديّ شراباً عديداً إذا شرب المرء منه يضع يده على سمومه

وإدفع في العناء ، فلوذا وافقتني على أن أسقيها جرعة من هذا

الشراب بوصف يقطع مني في كأسها أعطيتك هذين القرطبين ، فإنّ

شومي إلى صوتها شديد .

ولجأته هائلة

- ذلك سهل ميسور ، ولكنني أخاف أن يؤذيها ذلك الشراب

- كيف يؤذيها ، ولنا أريد أن أسقيها به ؟ وأي مأرب لي في إيذاء

هذه المسكينة ؟ كل ما لي لأمر أنني أريد البساطة والحيلة على سماع
صوتها

- ولكن كيف أسقيها هذا الشراب دون الخاضعين ؟

- أعطيتك زحاجة صغيرة فيها سائل تصعيب منه ثلاث نقط في

كأسها وهذا كل ما أسسه إليك مقابل هذين القرطبين

فوافقت الخادمة على ذلك ، وأخذت منه القرطبين والرجاجة ،

ودخلت إلى العربة التي كانت فيها أماتها ، فخذت أماتها بيدها

وسارت به إلى غرفة أخرى بعيدة عن المكان الذي كان فيه أوليد

وقالت لها

- لقد سمعت كل ما دار بينك وبين هذا الرجل الأثيم من

الحديث ، فإنه أغواك على أن تسقي تلك المرأة المسكينة من ذلك

الشراب ، وهو يريد به الشرّ والأذى ، فإني أعرف هذا الشراب كما

أعرف مقاصد هذا الرجل

ولا شك عدي بأنك لم توافقيه على مراده إلا وأنت رافقه من أنه

يريد المراح وأنه لا صبر من هذا الشراب ، ولكن الأمر على عكس

ما أوهمك

فعضبت الخادمة لأنها كانت تحب جدّاً كما كانت تحبها جميع

طائفة الخبازين وقالت لها

- سأعود إلى ذاك الأثيم هارمي القرطبين في رجليه وأكلمه بما

يستحق

- بل احتفظي بالقرطبين عندك وبصهري بموافقتك على ما أراد

واتصحي منه بشرابه نفسه

- كيف ذلك ؟

- ذلك أن تضعي تلك العط من الشراب في كأسه بدلاً من أن تضعيها في كأس ليرا

- وماذا يعمل هذا الشراب؟

- إن من يشربه يسوح بكل أسراره ، فإذا شربه هذا الأسم ياح يدويه وعرف الحاضرون جميع أثاره ، وكل دس من دسبه يُجأزى عنه بالشق ، فإذا سقيته من هذا الشراب عرف الناس كل بوابه فإنه ألد عدو للير

- إذا فاعلمي يقباً يا سيدتي أن يبرا لن تشرب من هذا الشراب ولكن من يكون هذا الرجل؟ فإني أريد أن أخبر عنه صاحب الخانة - احذري أن تغلي ، فإنه يطرده ولن تعلم شيئاً من توبيه -

- إذا سألحك الشراب في كأسه وأكنم لأمر -

فأخرجت أماند ، ورقين قيمتهما مائت فرنك ودفعتهما إليها ، ثم انصرفت عائدة إلى المنزل

وعند ذلك جلس الجميع إلى العائلة ووضعوا جان في رأسها وأمامها طاقة الأهاز

وهي هذه الأثناء دخل اثنان من رجال الشرطة ، وكان أوليد جالساً بقرب جان ، فأبصر أن هذين الشرطين قدماق للقبض عليها ، ولكنهما بن يفعل ذلك إلى أن يتم الحمل

كان الجميع فرحين مستبشرين ما خلا أماند التي كانت قد عادت من المنزل وجلست في تلك الغرفة التي كانت تراقب منها ما سيجري ، وهي تتنظر بصراع الصبر أن تنهي تلك التولية وأن يعمل الشراب عمله بأوفد

وهي الساعة الثالثة خرجوا من الطعام ، وذهبت الخادمة القهوة

لجميع ، وقد وضعت نطق الشراب في قنجان أوليد وهو يحسب أنها وضعتها في قنجان جان

حتى إذا فرغوا من شربها وقف أوليد فامتدح جان التي يحتفلون بها وقدم لها القرطين هدية ، فصنق الجميع استحساناً

ووضع أوليد يده على جبينه ، لأن الشراب كان قد بدأ يؤثر فيه ، وبدأ الحاضرون يندهشون لما رأوه منه ، فإن عينيه قد احمرتا وبانتا كعيون السكران ، فقال له صاحب الفندق - ما أصابك يا سيد لويس؟

ضحك أوليد ضحكاً عالياً وقال

إني لا أدعي لويس أبها الليلة كما أوهمتكم ، بن إني ادعي أوليد سوليمر ، وأن أعش من ذلك الإيزاد الذي عيته بي اس خالي بول هرمان العني الشهير -

فارتعشت جان حين سمعت هذا الاسم ، ودهش الجميع لما سمعوه ولما رأوه من أوليد ، - ومضى في حديثه فكان -

- إنكم تعرفون بول هرمان ، فهو صاحب معمل كوريسوا الشهير ، وقد قذت لكم إنه ابن خالي

ولكني كنت كاذباً ، فإن هذا الرجل سن بقربي وما هو من أهل الشرف ، بل إنه سارق حارق قاتل

معهم فقد عرفته منذ واحد وعشرين عاماً ، إذ التقيت على باخرة مسافرة إلى ميوبرك ، وكان هارباً من فرنسا لارتكابه تلك الجرائم الثلاث ، فتكّر باسم بول هرمان ابن خالي الذي كان قد توفي ، وقد كشف سره بات أطوع لي من البان منذ ذلك العهد إلى الآن أن اسم هذا الرجل الحقيقي فهو جاك جارود -

هزمت جان مدعوره وقبضت على يد أوليد وقالت جاك
جارود ؟ - أهو جاك جارود المتكرر باسم بول هومان ؟

- نعم ، لقد قتلت وأن أعيد ما قتلت ، فإن بول هومان الحقيقي مات
من عهد بعيد ، وهذا الرجل المتكرر باسمه يدعى جاك جارود ، وهو
الذي قتل رئيسه جون لأبو هند واحد وعشرين عاماً في معبده في
ألمودوميل ، وقد سقيته من الشراب الهندي قباح لي بجميع سره ،
كما سميتك أنت يا ليرا بيرين ومتزوجين بأسرارك

عدهشت جان وقالت

- ماذا يعني بي يقول ؟

- فقلت بها الخادمة ؟

- إن هذا الشراب الذي أعدته لك قد شربه هو دون أن يعلم

- فتم يتبه أوليد لقول الخادمة وأتم حديثه مع جان فقال

- إن هذا الشراب الذي سقيته ليه ميطلق سانت بأسرارك
متزوجين أمام جميع الخاصريون أنك لا تدعين ليرا بيرين بل جان
فورنيه

- فارتعبت جان رعباً عظيماً وقالت

- اسكت

- نعم أنت جان فورنيه ، التي حاولت أن أقتل انتها كما حاولت
أن أسحق رأسك بالحجارة ،

نعم أنت هي جاك الهاربة من سجن كارمون

فصار الجميع في امرهم ، وجمعوا ينفرون إلى جان وإلى أوليد ،
أما جان فإنها رقت وقالت

ويح لك أيها الشقي ، فأنت أنقستني وها أنت تحاول صاهي ؟

نعم أيها الأصحاب ، لدي أدعى جان فورنيه المحكوم عليها
والهاربة من السجن ، ولكني هزمت بالجرم التي ارتكبتها جاك
جارود ، وقد سمعتم حقيقة من دم هذا الشقي ، ولكني ما هزمت
لأن لأبحث عن ولدي ، ابنتي التي حلول هذا الشكك قتلها

ويح لك أيها الشقي ، إنك اعترف أمام شهود عدول ، وستراني
الحكمة بإفترارك فلا يتلوث وبداي بهذا العار

وأسم ليها الرفاق ، فقد صرتم لأن من أنا ، وما نقيته من
مصلاب ، كما عرفتم حقيقة أمري ، فاحكموا علي بما ترون ،

فقدم الجميع إلى جان وصاححوها ، أما أوليد فإنه سقط على
كرسي وقد أصيب شتات عصبه شديدة

وعند ذلك فرو الشرطيان الناس عن جان ودعا أحدهما منها فقال
بها

- يا جان فورنيه الهاربة من السجن إني أقض عليك باسم القديسون

فقال صاحب الخانة :

- بل يجب القبض على هذا اللص السعك لا على هذه المرأة

الفاضة

- واشتدت حماسة الناس ، فحالو بين الشرطيين وبين جان ،

وعسى أحدهم في أثناء قتالاً

- أسرع بالفرار فذهب خبير فرصة تفهم

فهرت جان ولم يستطع الشرطيان مقاومة الخاصريين ، ولبت أوليد

على حاله

فقال أحد الشرطيين مخاطباً صاحب الخانة

- لقد صدقت ، إذ يجب أن يعيد هذا الرجل أنواله أمام المحكمة

وعند ذلك نقلا أوليفد إلى مركبة وسارا به إلى دائرة الشرطة
ولمّا تفرق الناس دخلت الخادمة إلى العرقة التي كانت فيها
أمسا فلم تجد لها فيها إذ كانت قد أسرع إلى المصور لإخباره بما
حدث

ولكنها لم تجده في المنزل ، فعادت إلى مربها وألمت فيه تنظر
عودة وأقول حتى إذا كانت الساعة الكاملة جاءتها رسالة من راؤول
يقول لها فيها إنه وقع على أثر أوليفد ، وأنه قد لا يعود إلى
العمالة وأجهت إلى السرير كي ينام ولكنها لم تستطع النوم
نقل أوليفد إلى دائرة الشرطة ووضعوه في غرفة منعزل ، فلما زال
تأثير الشرب أعفاه اليوم

وعندما استعظ في الصباح وجد نفسه نائماً على سرير من
الخشب وبجانبه شرطي فدهش وقال

- أين أنا؟

- إنك في السجن .

لدعمر دعراً عظيماً ووثب من السرير وقال :

- متى سيجت؟

- منذ الساعة الخامسة من مساء أمس ، وقد كتب فلفد الرشد

للم يدكر أوليفد شيئاً من ذلك ، وكان جسه منهكاً فعاد إلى
سريره ووضع يده على جبينه فتذكر ما جرى بالأمر لعمره وقال في
نفسه

- لا شك أن الخادمة قد أعطت الشراب في كأس يدي

من أن يضعه في كأس جان

- ويلاء لقد أقصى عليّ قهقهة مبرماً وجيت على نفسي يدي

ويعد عصابة دخل ثلاثة من رجال الشرطة وذهبوا به إلى قاضي
المحسين ، فبدأ القاضي سؤاله فقال له

- ماذا تدعي؟

- بيار ليريرين؟

- فحدث القاضي به وقال :

- بل أنت كاذب

فأجابته بهجة وقحة قائلاً

- إذا كنت تعرف اسمي أكثر مما أعرفه أنا فكيف تسألني هذه؟

- نعم أعرف اسمك فأنت تدعي أوليفد سوبير

- إن كان هذا الاسم يرشحك فقد رضته لنفسي

- لا تحاول أن تفعل بكلام لا يجديك ، فإنك إذا لم تجبي على

أسئلتني أجابني عنها بول هرمان ،

- فارتعش أوليفد وقال في نفسه

- لا شك أنني أكثر من الكلام في تلك الحالة .

ثم قال مخاطباً القاضي :

- أرى يا سيدي أنه يوجد سوء تفاهم بيننا ، فإنك تسألني كما

يسألون المتهمين فما هي هذه التهمة؟

- سئرها قريباً ، فأجب الآن من بول هرمان أين خالك؟

- نعم .

إنك تكذب أيضاً ، فقد قلت في حانة الخبازين إن بول هرمان

مات ، وإن هذا الرجل الذي تدعي قرانه متكرر باسم قريب بيت

فأيقن أوليفد أنه باع بكل مكوناته وقال :

- إنني كنت مسكران حين تكلمت في تلك الحانة فلا أدري ما

قلت

- إذا لقد كنت مكران أيضاً حين اتهمت لير بربها تدعى
جان هوربيه النهارية من المحس؟
- من هي جان فإني لا أعرفها؟
- هي تلك المرأة التي حاولت قتلها بالحجارة كما حاولت قتل
ابنتها بالمدينة .

- من يجر على اتهمي بهذه التهمة؟
- الذين اعترف أمامهم ، فإن لسانك انطلق بذلك الشراب الذي
أعربت الخادمة على أن تسقيه لتلك المرأة ، سمعت ياء فبحب بكل
أسرارك ، والأقل قل ك لير تقيم؟
نضم أوليفد قبضتيه مضطرباً وقال :
- لقد أسأت إلى نفسي في سبيل خدمة سراي وأخطأت خطأ لا
أخفئه لنفسي

لأعدهم الآن أنني أقسم في شارع كيني غره ١٧ ، ولا تسألني غير
ذلك فإني لن أجيب
- إن بول هرمان الحقيقي قد مات وأنا لا أتكلم باسمه الآن يدعي
حاك جارود ليس كذلك؟

فهر أوليفد كتمه ولم يجب ، فأمر القاضي بإدخاله إلى السجن
وفي المساء جاء رئيس الشرطة إلى قاضي التحقيق وقال له
- هل تريد أن نداهم منزل أوليفد مولير؟
- ذلك لا بد منه ، وسندع عند منتصف الليل كي لا نلفت
الأنظار فاستعد

كان بول هرمان قد ذهب في تلك الليلة يدا على البرقية إلى
منزل أوليفد سوبير ولؤلؤ في آله ، فدهش إذ لم يجد في سريره ،

وحصر ساعة على يعود ثم انصرف

وكان ذلك لمرل في جهة مقفلة ، فاعتم راؤول هذه الفرصة
وكسر باب لمرل ثم دخل إليه فوجد الصناديق ممتلئة بحملها إلى
بويس أيرس ، ورأى هناك درجاً استلمت نظره فكسره ووجد فيه
كثيراً من الأوراق المالية تركها فيه ، ويبحث في محفظته فوجد فيها
السندين اللذين ورثهما واعتراقه أماندا بالسهم وشهادة المسشم
الثقة وقته بول هرمان

فأسرع ووضع هذه المحفظة في جيبه ، وقد فرح بها فرحاً لا
يوصف ، وأركب إلى الفرار
وبعد هبة أنيل القاضي التحقيق ورئيس الشرطة وبعض أعوانه
فوجدوا الباب مكسوراً .

وبعد البحث وجدوا الأوراق المالية لا تزال في موضعها فعلموا
أن كسر الباب لا يريد السرعة ، وحسبوا أنه شريك لأوليفد في
جرائمه ، وأنه جاء لسبب ما عنده من الأوراق التي تزيد التهمة ،
فحاصروا شبيعتهم بول هرمان وضطوا جميع ما كان موجوداً في
لمرل وانصرفوا

وبما كانت أماندا جالسة في سريرها وهي شديدة الاضطراب
دخل عليها راؤول وقال لها .
- هلمني وأسرع ليذهب إلى إيس المصور فقد عثرت بالأوراق
- أوتنا؟

- نعم وأصيبي إليها الشهادة المؤيدة برفقة بول هرمان بعد
سرخها من منزل أوليفد وهو لم يعد إليه إلى الآن .
ذلك لأنهم قبضوا عليه ، ثم حكمت له بـ ١٠ سنوات وهي تليس

ملايه ما اتمق لأوليد في تلك الحانة ، وسار الاثنان إلى منزل
المصور

كان المصور ينتظر عودة رافون بمارغ الصير ولد جس إلى
طاولة يكتب كتيباً إلى جورج داريه

وقد بدأ حملاً كي يرسل إليه معه ذلك الرسم الكبير الذي
صنعه لأجبه ووضع في صندوق كبير وقاية له من الطوارئ

وجاء الخيال وحاول وضع الجواد الخشي فوق الصندوق فقال
يد

- دع هذا الجواد على الأرض ، فأحمله بيدي

مرفع الخيال الصندوق وقدر الاتفاق أن يقع ذلك الصندوق من
يده على الجواد فانكسر وشعر م في جوفه من الأوراق

أسف للمصور أسفاً شديداً ، لأن جورج كان يحتفظ بهذا الجواد
منذ حديثه لاعتقاده أنه عليه من أمه .

لم يكثر ثلث الأوراق ، فأرسل الصندوق مع خيال ، وعاد
إلى ذلك الكتاب الذي كان يكتبه إلى جورج ، وهو يقسم مهنته
ببلوغة الخامسة والعشرين من عمره ، وأنه سيرويه في الساعة السابعة
لإخباره بأمر خطير بمناسبة يوقعه هذا المس

ويعد أن أتم الكتاب وأرسله ، نظر إلى الأوراق التي خرجت
من بعض الجواد وقال .

- ترى ما هذه الأوراق ؟

ثم جعل يبحث فيها برأى قطعاً مختلفة من الجرائد ، إلى أن
عثر بورقة ارتجف لها واصفر وجهه ، إذ رأى عليها توقيع جاك
جارود ، فقال في نفسه :

- رباه ! أيمكن أن يكون هذا الكتاب هو نفسه الذي كتبه إلى
جان وحيت أن النار التهمت ؟

ثم أخذ تلك الورقة ومراها بعين بصوت يتهدج م يأتي

أحبيبي جان

القد أحمرتك أمس يأتي أهد لك ولولديك وسائل المستقبل
ولأن أخبرك يأتي صحت هذا المستقبل بطريقة سريعة ، فلاني هذا
ساكون من لأغنياء وسأظهر باعتراف يكون لي منه أرباح عظيمة
ربما تأتي ألف قرنتك لتعيد هذا الاختراع .

تسجني يا جان ولا تحشي عاراً ، فإن ولديك سيكونان
ولدياً ، وأنا أنتظر في الساعة الحادية عشرة مساء عند جسر
شارنتون فتهرب إلى الخارج ويصبح من الأغنياء

أولا تأسي لعراق هذا العمل الذي طردوك منه ، واحضري
لتعيشي مع من يحبك أفضل عيش ، فإنا سم تحضري دعمني إلى
اليأس ، ولكنك ستحضرين .

أيلول مبصر سنة 1861

«جاك جارود»

نصاح المصور صيحه انتصار وقال

- هذا هو البرهان الحلي الذي سمحت عنه ، وستثبت به براءة

جان لا محالة

وعند ذلك قرع الباب ودخل دشماك لأخبره بالتقيض على
سوليفر وسرفة الأوراق المثبتة وفاة يوز هرمان وبأن واند ماري إنما
يدعي جاك جارود

كان اضطراب المصور عظيماً ، إذ لم يبق لديه مجال لشك .

فنادى خادمه وقال له

- اركب مركبة ولسرع بها إلى لوسيان لابرر في معمل كورسوا
وقل له ان يأتي إلي في الحال لشأن خطير

وبعد ساعة أجاب لوسيان وهو مضطرب فقال له

ماذا حدث؟

- لقد ظهرت بقاتل أليك بفضل هذا العنق الذي فصع امره ،

وأشار إلى الأول

- من هو؟

- سأخبرك قريباً ، والأكل هلموا بنا جميعاً إلى منزل القمامي

جورج داريه .

كانت لوسي قد قامت إلى العاقية ، وقد انتظرت جان في
تلك الدليلة التي كشف فيها أوليد أمره فلم تحضر ، ولذا لم تعرف
الرقاد في تلك الدليلة . وعند الفجر أرسلت من يسأل عنها في الخبر ،
فعاد إليها بأخبار مهمة ملخصها أن ليرا بيرس متكررة باسم آخر ،
وأنها متهمه بأنها كانت في السجن وهربت منه ، وأنهم لا يعلمون
أين هي الآن ويحشون أن تكون في السجن

فكادت منكودة غي يأساً وقالت في نفسها

رباه كلف السبل إلى مساعدة هذه المرأة المحبوبة التي
كانت لي بمثابة أم ، فقد كان لي رجا بلوسيان لأنه يحبها أيضاً فلم
يقف في حجر جورج داريه ، فإن ليرا أخبرتني أنه أشفق عليها

وبعد ذلك أسرعته إلى منزل جورج داريه وأخبرته بما اتفق
بالأرمه ليرا بيرس ، فاضطرب جورج وقال

- أمي تلك المرأة التي جاءني بالملعة المفقودة؟

- نعم

- وأنت تدعين لأتمة لوسي ، أليس كذلك؟

- نعم يا سيدي

فصهرت دلائل الاشمزاز على جورج ، إذ أبقر بأن بوب هروان

قد وشى سبوا ، ثم نظر نظرة حمو إلى لوسي وقال لها

بقيت علي مسألة يا سيديتي ، فهل أخبرتكم تلك المرأة

بحقيقة اسمها؟

- لقد أخبرتني بأنها تدهى ليرا بيرس

- إنها كانت متكررة بهذا الاسم ولا يمكن إيجادها الآن إلا في

السجن

- لقد أرعبتني يا سيدي ، فهل كانت مجرمة حقاً؟

- لا أعلم ! ولكن ليرا بيرس حكم عليها منذ واحد وعشرين

عاماً بالسجن المؤبد ثم هربت من السجن ، أما اسمها الحقيقي فهو

جان بورتيه

فصاحت لوسي صيحة يأس وقالت :

- ربه إنها أمي ، ولكن حكم عليها ظمناً وعدواناً ، وقد

أخبرتني لوسيان نفسه أنها عويت بدفب سراها

وبلاء لقد عرقت لأن سبب حتره علي ، فإنها أمي ! وما

أصعب الآن بلبات براسها؟ وحملاً يا سيدي إنك من مشاهير

المعلمين وقد عرفت بالقدر والشفقة فرد إلي أمي .

وبعد ذلك فتح الباب فجاء ودخل مع لوسيان وإثنين

ودثمان ، فدهش خروج لعدومهم معاً ، ودن لوسيان من لوسي

وضمها إلى صدره وقال

- لقد حوينا أن نلص

فقال جورج

- لقد جاءت إليّ لتخبرني ما حدثه ليرا

فقال المصور بكّة

- لا بأس فسيجدي .

- معاوية بوسي عند ذلك أن تخرج ، ولكن المصور اعترضها

قائلة

- ابقني يا آنستي لتكوني شاهدة على ما سيكون .

ثم التفت إلى جورج وقال له بكل الحزن :

- لقد بدعت اليوم يا بيبى الخامسة والعشرين من عمرك ، وهو

اليوم الذي يجب عليّ فيه تعبد وحسب ذلك للكاهن الجليل الذي

ربناك فخذ هذا الكتاب واقراء بصوت عالٍ ، وأنشأ يا لوسي وي

لوسيان أصغيا

فمض جورج للعلاء وقرأ ما يأتي :

- أيها الابن الحبيب

«في شهر أيلول/ سبتمبر سنة ١٨٦١ جاءت إليّ امرأة تحمل

طفلاً لا يتجاوز الثالث من العمر ، وكان الجلود يطاردون هذه المرأة

للكودة لاثامها بثلاثة جرائم وهي تدعى جان مورتية»

اعني أن هذه المرأة أقسمت لي بربها ومولدها أنها بريئة ،

وكانت الحقيقة تتمثل في عينيها وهي بمرات صوتها ، فوفقت من

صدها ولا تزال وثقاً إلى الآن .

«ولكن ما حببني ا فإن جميع الأدلة كانت تزيد التهمة عينا

صحكم عليها بالسجن المؤبد»

«على أنني لا أزال معقداً ببراءتها بالرغم من هذا الحكم ،

وعندي أنها لم تكن مجرمة بل كانت شهيدة خطا القضاء ، وما

لمكنت من معها إلا بترستي ولدها وثبته باسم جورج داريد» .

فصاح الجميع صيحة اندعاش لما سمعوه ، ولال جورج :

- أن ابن جان مورتية وأخو لوسي؟

فأسرعت لوسي إلى معانقتها وهي تقول - يا أخي ا

فالت دموع الحاضرين حراً لهذا المشهد ، وضمت جورج أخته

إلى صدره وهو يقول

- نعم إننا ولدا محكوم عليها ، وهي بريئة في عيوننا ولكنها

متهمه في عيون الناس ولا ميل إلى تبرئتها وأصدق .

فأخذ إتياس يده وقال له

- كلاً . - فإن يراهم برامها لفيّ ، فخذوا قرا

ثم دفع إليه كتاب جاك جارود إلى جان ، فلف مراراً جورج

كاد يطير سروراً ، قال

- إنه خير برهان يثبت البراءة فأبى وجدته؟

- وجدته لي بطل جوادك الخشبي .

- نعم لقد ذكرت الآن أمي بيبا ، كنت في عهد حديثي اللاعب

هذا الجواد ، وقد كان سقط مني وشق يظه ، فجمعت أحشوه بأوراق

محمدة ، ثم رأيت أمي قد كوّرت بيدها ورقة وألقتها معصبة إلى

الأرض فأسرعت إلى التقاطها ووضعتها في بطن جواد

ولكن ما حيلت الآن في جاك جارود وهو من الأموات؟

- بل هو حي يرق وهو يدعى بون هومان

- ما الذي يثبت ذلك؟

- لا بد أن يكون لديك خط بون هومان فتقابل بينه وبين خط

فصنع جورج ووجد الخططين عثمانيين ، وكان دعو لوسيان
شديداً فقال

- ويح لهذا السعائك ، إنه كان يعرف من لنا ويحاول أن
يروحي ابنته وهو مائل أبي ، ثم إننا لا نستطيع (دائمه نفسي المدة
المانوية بعد ارتكاب الجريمة ،

فقال إني

- إنه إذا سلم من عقاب جرائم المورتميل فهو لن يتجو من
عقاب محاولته قتل لوسي وجاد ،

فقال جورج

- لتبحث الآن عن أمي ، ماذا جرى لها ؟

فقال لوسيان

- إننا سجدها وسكون أمنا جميعاً

- وماذا صنع يول هرمان ؟

فقال إني

- لنعمل متصحي ؟

- نعم

- إذا هلمو معي ، وخرج القمصية من منزل جورج ، فركبوا
مركبتين ، وأوقف إني مركبته عند بائع تبغ واشترى منه ورفعتين
عليهما تمعة الحكومة

- ١٧ -

كانت حاي بعد أن عرفت من تلك الحادثة قد ذهبت هائمة على
وجهها ، وقد أصبح الدعر وشدها ، فلم تزل تسير حتى وصلت إلى

مكان مقعر ، وهناك جلست على حجر فحملت رأسها بين يديها
وجعلت تقول

- رباه ! لقد قضى الامر وقدور لي أن أدرك ابنتي إلى الأبد

ولكن جاك جروود لا يزال حياً كما قال أوليفيد ، وهو متكر
باسم يول هرمان ، وهذا الرجل لا يمكن أن يكون كاذباً فإنه ما يباح
بمكثومات سره ، لا بعد أن شرب ذلك الشراب وهو قد قبض عليه
دون شك وسيعمون أنهم حكموا علي خطأ ويقضون ببراءتي فأرى
ابنتي وأبحث عن ولدي .

نعم إن جاك قد يكون عرق بالأمر وأركن إلى الفرار . وعند
ذلك جعلت تنكي بكاء أليماً .

ثم أغمي عليها فدم تستعق من إغمائها إلا في الصباح ،
وأحدث تسير هائمة كالجماعة تخشى سهم الصياد فلا تدري أين
تستقر ، حتى وصلت إلى نهر الجي ، وهناك خطر لها خاضع وهيب
جمعت من أثره تسروح بين حب الموت واسبعاء الحياة ، إلى أن
تعلب عليها حب ابنتها فرجعت عن الانتحار ورغبت في الحياة رغبة
لقائطين ، ذلك أنه خطر لها أن تذهب إلى جاك جروود

تمت شطر باريس ، وهناك سألت عن منزل يول هرمان
فأعادت إليه وطرقت بابه وطلعت مقابله صاحبه باسم أوليفد مولير ،
فلم يجد جاك بداً من مقابلته وقد شغل باله من نوم هذه المرأة
باسم شريكه ، فأدب بإدخالها إليه ، حتى إذا رآها ترجع إلى الوراء
مدعوراً وهو يقول ،

- آه ! يوم الشور والبحث من القبور .

أما حان فإنها مشت إليه متناطئة وقالت له بصوت أجش :

- لم يبقَ شك في أنك صيرت قتلي بدلين ومهلك الآن حين رأيي في قيد الحياة

فرأى جاك أنه لا مدَّ له من الثبات في هذا الموقف فتحالت نفسه ، وقال

- ألنَّت هنا أينما الشقية ، ماذا جاء بك وماذا تريدين؟

- ومع لك أيها السعدي ، أنجسوا أن تسألني عما أريد بعد أن علمت من أنت؟

بهزَّ جاك كتفه وقال -

- لا شك أنك مجنونة !

- لقد جئت سنين طويلة منك ، وقد طعنت بعد ذلك وأنت أنا قشك الحساب يا جاك جارود .

تكلَّف جاك الاندحار وقال :

- عا هذا الاسم؟

هو اسمك

- بل إنني أدعى بول هرمان ، فلا شك أنك مجرَّه يا لير

ميريس

- وأنا لا أدعى بهذا الاسم مانت تعلم يقيناً أنني أدعى جان

فورتيه ، وكماك كذباً فقد عرفتني عند الهامي جورج داريه وعرف أنني تلك الشهيدة التي عوقبت يديك

- اسكتي -

- كلا لن أسكت ، غيائهم يطردوني ليعطوني إلى السجن ،

وسكني أثبت إليك ولست أحرج من هـ ، لا وأنت معي إلى ذلك السجن ، وهناك لا بد لك أن تعترف بأنك الجاني وأنا البريء

محاول جاك أن يجيبها ، ولكن ابنته دخلت في تلك اللحظة لأخته وقالت

- ماذا حدث؟

فأجابها أبوها قائلاً

- عودي يا ابنتي إلى غرفتك ، فإن هذه امرأة مجنونة وهي تنذر وتزعج

- بدأ سألندي الحليم فطردها ، ثم دنت من جان فقلت لها

- من أنت؟

- سلمي أباك

- ماذا تريدين؟

- أريد للحمل وأريد أن يجلس على هذا الرجل معي -

فقال لها أبوها

- أترين يا ابنتي أنها مجنونة؟

وقالت جان -

- أرايت يا سيدتي أنه لا يجوز أن يستقيث من جنوبي

فذهبت ماري وقالت

- ماذا لا تفرع الجرس يا أبي؟

فقالت لها جان

ذلك لأنه خائف

فحاولت ماري أن تفرع الجرس ولكن أنما أسرع إلى اعتراضها

وقال لها

- كلا لا تفعل

- ماذا؟

فأجابته جان قائلة :

- ذلك لأنه لا يريد أن يعلم الناس أن بول هرمان هو جاك
جارود اللص السفاك .

فجمد الدم في عروق جاك وقال لها :

- اسكتي أيتها الشقية رحمة بلبتي على الأقل !

- أيتها الشقي ! ألملك رحمتي ورحمت ابنتي ! إنك سفكت دم
جول لا برو وأحرقته معمله وسرقته ماله واغترابه ، ثم ألحقت بي
تلك اللهفة الهائلة ، فسجنت بها واحداً وعشرين عاماً بعيدة عن
ولدي وابنتي ؟

وقد تركتهما طفلين وضعيعين ، ثم إنك تنكرت باسم رجل
غريب ، وعدت إلى هذه العاصمة بعد أن أثريت بالجرائم وجعلت
تستخدم أموالك للإصرار بإبنتي فسحقت قلبها وحاولت قتلها .
ولم يكفك ذلك حتى قطعت رزقها ، ثم تريد مني بعد ذلك أن
أسكت ؟

وكالت ماري تسمع هذه الأحوال وتظر إلى أبيها قشري من
اضطرابه ما يدل على صلتها ، حتى إذا أتمت جان حكايتها وأظهرت
حقيقة أمر هذا السفاك غطت ماري وجهها بيديها استحياء وقالت :

- رياء . - إن ذلك هائل فظيع .

وعند ذلك حاج جاك حاج المهانين وقال :

- أيتها الشقية ! إنك أثبت لشهدتي لي منزلي وستلقين فيه الموت
الذريع . ثم انقض عليها يحاول خنقها .

وعند ذلك قرع الباب فتراجع مدعوراً ، ودخل الخادم فأنبأه بقدوم
زائرين ، فدفع جان إلى غرفته وأقبل بابها ، ودخل إذذاك راؤول

دشمان وإيتين المصور ، فالتحى إيتين أمامه وقال له :

- أخشى يا سيدي أن نكون قد أزعجناك بهذه الزيارة على غير
موعده ، فلإني أرى وجهك مصفراً وبديك تضطربان ، فهل أنت
مريض ؟

- نعم ، إني مصاب بصداع اليم ، فأهلاً بك وبهذا الزائر الجديد .

فقال إيتين :

- إنه السيد راؤول دشمان ، وسأعبرك يا سيدي عن السبب في
هذه الزيارة لتفضل بالجلوس لتتحدث .

فجلس جاك بإزائه وبدأ إيتين الحديث فقال :

- ألم تخرج يا سيدي في مدرسة الصنائع والفنون في شالون ؟

- نعم .

- ألم تسافر بعد ذلك إلى سويسرا ؟

- نعم .

- وقد أقمت فيها عامين ؟

- نعم .

- أريد أن أسألك عن رجل هو اليوم في عداد الأموات كان

يشتغل بصنعتكم وهو يدعى جاك جارود فهل عرفته ؟

- جاك جارود ؟

كلاً . . إني لا أذكر أنني عرفت رجلاً بهذا الاسم ، ولكنني أذكر

أنني سمعت بهذا الاسم منذ عهد قريب ، إن هذا الرجل كما قرأت
في الصحف كان يشتغل في معمل جول لا برو ، وقد اشتهر بشهامة
يوم احتراق هذا المعمل .

- هو ذلك يا سيدي ، فهل عرفت هذا الرجل ؟

- كلاً .

- هل أنت واثق مما تقول ؟

- كل الثقة .

- وعندما سافرت إلى أميركا ألم تسمع بهذا الرجل ؟

فزاد الشك في قلب جاك وقال :

- كيف أسمع به وهو ميت ؟

- ذلك لأن كثيرين من الناس يعتقدون اليوم أنه لا يزال حياً ، وأنه

خرج من ذلك المعمل المحترق بعد أن سرق اختراع صاحبه وما كان فيه من المال وبعد أن قتل صاحبه ذلك المعمل أيضاً .

فابتسم جاك وقال :

- إنها خرافة قديمة ، لأن الذي قتل لابرور امرأة حكم عليها بالسجن المؤبد .

- ولكن هذه المرأة تدعي أنها بريئة وأن لديها كتاباً من جاك جارود نفسه يثبت براءتها .

- إن ما يدّعي على قساده هذا الزعم أن هذا الكتاب لو كان موجوداً لأظهرته يوم المقاضاة ؟

- بل ما أقوله لك هو الحقيقة بعينها فإن الكتاب موجود .

فلم يسمع جاك إلا الاضطراب بالرغم من سيطرته على نفسه ، وقال :

- كيف وجد هذا الكتاب وأين ؟

- وجد في بطن جواد خشبي .

- إن ما قصّته عليّ يشبه الروايات الموضوعة ، فأسمح لي أن لا أصدقك .

- إذا ، فانظر هذا هو الكتاب .

ثم قال له :

- أسمح لي أن أقرأه أمامك ؟

- وما يعني من كل ذلك ؟

- سوف تعلم .

ثم وضع على المائدة ورقتين عليهما تمغة الحكومة ، ونظر إليهما جاك فقال :

- ما هذا ؟

- كما ترى .

- نعم ، ولكني لا أفهم ؟

- سوف تفهم لأننا سنتحدث في شؤون مالية ، وأنت من الماهرين في الحساب يا مبيدي ، فكم تبلغ فائدة مائتي ألف فرنك في مدة واحد وعشرين عاماً ؟

- إنها تبلغ ثلاثة أضعاف الأصل .

- إذا قأنت مدين بستمائة ألف فرنك للموسميان لابرور وهو المبلغ الذي سرقته من أبيه سنة ١٨٦١ .

- إنني أدعي بول هرمان ، وإليك تهينتي ؟

- بل إنك تدعي جاك جارود ، وإنك لصر صفاك هذه هي شهادة المستشفى التي تثبت وفاة بول هرمان ، وستناقشك المحكمة الحساب عن ذلك .

أما الآن فيجب أن تدفع مئتمائة ألف فرنك .

فهاج جاك كالمجنون وقال :

- لا مجال لدي للدفاع عن نفسي ، وبلاء لقد سقطت إلى

الخصيطس وسقطت معي ابنتي البرية .
 - ذلك منوط بك ، فلادفع المال في البدء وسوف ترى .
 قديب الرجاء في قلب جاك وقال :
 - ليس لي مال هنا .
 - بل إنك قبضت اليوم أكثر من هذا المبلغ لتعطيه إلى ذلك الأثيم
 أوفيد سوليقر .
 فلم يجد جاك سبيلاً للمقاومة ، وأخرج من درج مكتبه ورقاً مالياً
 بهذه القيمة ودفعها إلى إيتين .
 فأخذها المصور وقال له :
 - لقد بقي عليك أن تكتب على هذه الورقة ذات التمغة ما أمليه عليك .
 فامتل جاك مكرهاً ، وأملى عليه المصور ما يأتي :
 - أنا الموثع أدناه ، جاك جارود ، أعترف بعصوور إيتين كاستل ،
 وراؤول دشمان . .
 ثم توقف عن الكتابة قائلاً :
 - ولكنك تسألني أن أقرأ بجريمتي وأعترف بذنوبي ، وذلك يتلهم
 شرف ابنتي فلن أفعل .
 فمشت ماري إليه مشياً بطيئاً ، وقد أوعتها هذه الحادثة فبانت شبه
 النائم نوماً مغنطياً وقالت :
 - بل اكتب يا أبي ؟
 فركع أبوها أمامها وسالت الدموع من عينيه وقال :
 - إنهم يريدون نلهم شرقت يا ابنتي !
 وعاد المصور إلى الإملاء فكتب جاك ما يأتي :
 - أعترف أنني في أيلول / سبتمبر سنة ١٨٦١ كسبت إلى جان

فورتيه هذا الكتاب الموثع باسمي والموجود في طيه .
 وأعترف أيضاً أنني سرقت في تلك الليلة مائتي ألف فرنك من
 صندوق جون لاير و سرقت اختراعه وقتلته وحرقت بمعمله .
 وأعترف أنني أغريت أوفيد سوليقر بقتل لوسي فورتيه وأنها جان
 فورتيه الشهيرة باسم ليزا بيرين بائنة الخبز .
 وعند ذلك سقط القلم من يد جاك التي كانت ترحلجف .
 ففتح الباب فجأة فدخلت جان فورتيه من الغرفة التي كان حبها
 فيها ، وقد وضعت يدها على عنقها وقالت :
 - ليحترف أيضاً أنه حاول خنفي منذ هنية أمام ابنة .
 فذعر جاك ودهش إيتين ، ودنت ماري من أبيها وقالت له :
 - اكتب يا أبي ، فكتب ما أرادته جان ، ولم بذلك الاعتراف ،
 فأمره إيتين أن يوقع على اعترافه .
 حتى إذا امثل أخذت ماري منه تلك الورقة فدفعتها إلى جان
 وقالت لها :
 - هذا هو برهان برأيتك يا سيدتي .
 ثم التفتت إلى أبيها وقالت :
 - ليخفر الله لك يا أبي ، لما أنا فلاني سأمرت لحسن الحظ .
 - ثم خرجت من تلك الغرفة التي ساد الصمت فيها ، ولم يُسمع
 غير تنفس جاك الذي كان يخرج من صدره كالزئير .
 *
 وإنهم في هذا الموقف إذ جاء لوسيان وخطيبته لوسي والحامي
 جورج داريه وقاضي التحقيق ورئيس الشرطة وبعض الجنود بفردون
 أوفيد سوليقر .

فانطرحت لوسي بين ذراعي أمها وهي لا تصدق أنها تراها ، ودنا
رئيس الشرطة فوضع يده على كتف جاك وقال له :
« إني أقبض عليك باسم القانون » .

ثم التفت إلى جان وقال لها :
« أما أنت يا سيدتي فقد أذن لي بإطلاق سراحك ومستظهر براءةك
الشامة في أقرب وقت بعد أن ظهرت لنا أدلتها » .

ثم أخذ من إثنين ذلك الكتاب الذي كتبه جاك إلى جان .
وهنا عرفت جان أن جورج ولدها ، فكان سوقغاً مؤثراً ، أسال
الدموع من العيون .

وبعد هنيهة ساروا بألوفيد وجاك إلى السجن ، وقد مروا بالقاعة
المعموية لوجدوا ماري مبيتة على مقعد وقد حطت بيدها ورقة
مفتوحة كتبت فيها ما يأتي :
« إلى لوسي فورنييه . . . »

« لقد أسأت إليك كثيراً . ولكنني أحبته جداً وقد انتقم الله لك
خير انتقام فصلي لأجلي واغفري لي » .

« ماري »

بعد ذلك بثلاثة أشهر حكم على جاك وألوفيد سوليفر بالأشغال
الشاقة .

غير أن جاك لم يتحمل هذا السجن فوجد وسيلة للانتحار
فانتحر .

ولما تمت براءة جان عقد زواج لوسيان على لوسي وعاشا أهنأ
عيش مع جورج أخيها وأمها جان ، ولقيت تلك الأم المنكودة من
الهناء مع ولديها ما أنساها مرارة تلك اللستين الغائرة .